سور القاهرة الوردي

قصص قصيرة

عصام الصاوي



١٩٩٦

تصميم الغلاف : الفنان ماهر الشمسى

الاخراج الفنى : محمد المحجوب

أقدم لسيادتكم الأستاذ [illegible]

كصوت جديد في القصة القصيرة ـ على مستوى فني.

نجيب محفوظ

٢٢/٢/١٩٧٤

اهـــــداء

الى من علمتنى كيف اتكلم واكتب ٠٠ امى ٠٠

لكل اصدقائى فقـد احببتهم كما احبونى ٠٠

الى زوجتى وابنى ٠٠ عـائلتى الصغيرة ٠٠

عصام الصاوى

● ابتسـامة يـوم الخميس

مشوارى الى طبيب الأسنان دائما كان ثقيلا على قلبى ·· فانى اخاف انتظارى الطويل ثم جلستى فوق كرسيه والنور مركز على وجهى يبهرنى فاتحا فمى باستمرار لمدة طويلة وهذه الشكة المؤلمة لابرة التخدير .. ثم آلام خلع الأسنان أو على الأقل دوران آلة الحشو وابتسامته التى يجود بها ليخفف ألمى ، ورغم أنه صديقى الا أنى أكره أن أضطر أن أجلس كالمربوط ليمرح فى فمى بأدواته غير المفهومة حتى تناقصت أسنانى الداخلية ولم يتبق سوى الأمامية منها أحاول الاحتفاظ بها ويحاول هو التخلص منها ليصنع لى طاقم أسنان يعيش معى باقى العمر ·· واليوم الخميس موعده الذى أجلته من أسبوعين هربا من المقدور وجلستى المرعبة التى لابد وأن تكون فهى حتميـة مهما هربت منهـا وقررت ألا أخاف فانتابتنى الشجاعة وذهبت ·

عندما دخلت العيادة رأيتها تجلس فى الركن هناك ، ورفعت عينيها الى مندهشة ، وللحق كانت مفاجأة لكلينا ، ولاحظت ارتباك

حركتها عندما حاولت ان تتظاهر بأن شيئا متوقعا يحدث، وان رؤيتى لم تحدث تأثيرها فيها .. سنوات كثيرة كانت قد مرت منذ آخر لقاء واليوم هى أمامى .. وجلست لأرى اثر الأيام ، وسكت انا لأسمع كيف مرت عليهــا السنوات ·· حكت فى البداية عن المهــا لفراقى رغم فرحتها بالخلاص ·· قالت ·· شعور غريب انتابها لا يحس به الا من جربه ، الألم والفرح امتزجا ، ثم تواريت فى ادراكها وعقلها ·· لقد ازاحتها الفرحة بعيدا عن ماضيها معى ونفضت عنها كل الأيام القديمة وابتعدت عن كل ما يجعلنى اشخص امامها ولو فى كلمة او صورة ثم اقبلت على حياتها الجديدة تتناسى لتغرق فى تفاصيل الأيام والأحلام والمواقف ·

رأيتها مازال يشدها للخلف عمرها ·· ولابد انها مازالت تكذب المرآة وتصدق عينيها كل صباح ، فتهرع كعادتها خائفة تخفى سنها عن نفسها لتكذب المرآة مرات وان قنعت داخلها أن تحت القناع ليال كثيرة وعمر طويل قد فات . تضحك بصوتها وعينيها ويديها وتهتز لتؤكد أنها تضحك من قلبها وسعيدة ، ثم توجم داخلها بعد ان يسألها قلبها عما يضحكها ، فتسرح بعيدا لأنها تعرف أنها تتصنع لتوهم الجميــع بسعادتها وانطلاقها بعــد ألم عمرها ·· أعرفها جيدا ·

الم عمرها كان انا ·· هى قالت ·· اكدت ذلك فى سـنوات كثيرة مضت ومازالت تؤكد ذلك حتى هذه اللحظة وتبتسم وتضحك وتهتز ثم تصمت وترنو عيناها بعيدا فيها لمحة من دموع جافة ربما تعبر عن أساها الداخلى ·· هى ترى انها لم تنجـح فى علاقتنا وانها ناجحة الآن مع الآخرين وان عثرة عمرها التى هى انا قد ولت بعيــدا واصبحت من الآثار القديمة التى لا يجب ان تزورها أبدا ·· قالت ان لقاء اليوم الصدفة رتبته لتجدد آلامها واضطرتها أن تاتى وتجلس لأحملق فيها هكذا ·

سالت وتساءلت واستفهمت عن حالى واحوالى وايامى بعدها تظن ان الدنيا عندى توقفت لحظة فراقها وتجمدت انا داخل اللحظة ربما لانتظرها تعود متعطفة حانية متفضلة لتلملم شملى وعواطفى وذكرياتى وايامى ، تخيلت انى واقف على الأطلال ابكى ضعيفا نادما على ان فرطت فيها ٠

أزاحت شعرها للخلف تظهر وجهها وقرطها مشنوق فى اذنها فلمحت جرحا اسفل شعرها تداريه عن العيون ٠٠ وجهها بالجنب اعرفه جيدا فطالما اشاحت به بعيدا غاضبة ملوية ٠٠ من جانب وجهها رايت ايامى الماضية زاد عليها سنوات الفراق فوقها طبقة من الكريم عليها البودرة الوان نضرة صبية تخطف العين اليها لتترك جلدها وبشرتها وخطوط عمرها فى حالها ٠ ورات نظرتى المتسائلة فتحركت راسها فنزل شعرها ثانية ليخفى جرحها وجانب وجهها ووضعت نظارتها لتدقق النظر لملامح وجهى ٠

آه ٠٠ يداها وعنقها ٠٠ حملت عليهما من الأساور والسلاسل والخواتم ثروة .. كان ذلك جزءا من مالى اخفته عنى فى سنواتها القديمة تظهرها الآن وزادت عليها ٠٠ هى لم ترث من اهلها شيئا وما تحصل عليه لا يكفى لشراء ما ترتديه من ملابس ٠٠ ملابسها كلها جديدة غالية الثمن تخطف العين لتترك جسدها وخطوطه التى برزت للخارج ولأسفل .. عينى تعرف تفاصيله وظلت تحبه حتى عندما تدرجت السنوات وكان التغير مقبولا ولم اعترض حتى يوم الفراق .. ثم رضى بها من لم يعترض . ماذا يفيد الجسد اذا كان يحمل راسا فارغا .. ؟

الراس ثانية .. كم حوت من فراغ على مر السنوات تظن ان الملابس والألوان هى كل الدنيا ولم تر غير ذلك ، ولم تبك ولم يتحرك

قلبها لانسان ضعيف أو مسكين أو مهموم . فقط بكت لنفسها من نفسها وألمها ولم تبك لابنها أو أبيها بل كانت عيناها جافة لكل الناس كجفاف قلبها ونظرتها فارغة كقلبها ولم اعرف ما يدور فى هذه الرأس أبدا يوما .

يداها ٠٠ هذه اليد عصبية حركاتها مازالت تنم عن اضطراباتها حفظت ذلك عبر السنوات ٠٠ كم نامت فى يدى ، تذكرت يوما تعجبت فيه عندما أحسست أن هناك حجرا نائما فى كفى بلا حرارة ولا انفعال فقط لأنه يجب أن ينام هكذا فى يدى وتعجبت جدا .. بعدها أيقنت أنى أقف فى بداية النهاية .. هى نفس اليد والأصابع أحس بعينى لمستها وبرودها ، تستطيع أن تمسك فرشاة شعرها وأحمر الشفاه ولا أظن أنها تقدر أن تربت بها على رأس طفل صغير ، فلن توصل احساسها له ولا شعوره اليها فمن أين ستأتى بالانفعال ٠

مازالت تسأل كيف الأيام تسير وهل تحملت الحياة بدونها ، انها لا تتوقع ذلك وتعتقد أنى لا أحس طعم السكر فى الفاكهة ، وكل الطعام مر فى فمى ، وعيناى لا ترى شيئا ، أسهر طول الليل أفكر فى أيامها ولا يبدو عليها أنها تشفق على حالى الذى تظنه بائسا للغاية ٠٠ ظلت تسأل كثيرا ولم أسألها أبدا ، كانت كمن تطمئن نفسها على أهميتها فى حياة البشر ٠

مددت ساقى على طولها وأشعلت سيجارة أتشاغل بها عنها ولأرفع بعض ثقل نظراتها عنى ٠٠ كنت أود أن أحكى لها عن الدنيا التى لا تتوقف لغياب امرأة أو رجل ٠ فالأيام لابد أن تمضى ، وأن المستقبل بعدها كان يحمل البسمة والأمل وأن أيامى كانت بدونها أجمل وأرق وأعذب وأكثر سهولة بعد أن أزالت حملها عنى وأن

ايامها كانت ثقلا على قلبى ولم يمسكنى اليها الا أولادى أشفق عليهم حتى كبروا وتوسمت أنهم سيتحملون ، ثم بعدها صارت أيامى وادعة هادئة أحس فيها بجمال كل شىء كما يراه الناس الأسوياء استمتع بحياتى مثلهم ، ولحظى أنها عندما ذهبت أخذت معها كل الألم والحزن لأنه كان منها دائما ٠

الكلمات اوقفتها لأتركها فى وهمها وبخلت عليها حتى بصوتى بعد أن بخلت عليها بأيام الشيخوخة الهادئة لأعيشها بدونها ، وظللت أحدق فيها وأسمع وأتعجب من نفسى أنى اخترت يوما أن أبقيها بجوارى طوال شبابى كله رغم معاناتى ولم ألفظها فور اكتشافها ٠

أشارت لى المرضة باسمة أنه يجب أن أدخل الى الطبيب ، أومأت اليها شاكرا والتفت فلم أجد السيدة مكانها فارتبكت واتسعت ابتسامة المرضة قائلة ان السيدة قد انصرفت منذ ساعة تقريبا . ! ابتسمت أنا أيضا أوارى ارتباكى ودخلت الى صديقى طبيب الأسنان مبتسما الذى قابلنى هو الآخر بابتسامة واستسلمت لقدرى فوق كرسيه واتسعت ابتسامتى لينفتح فمى كله فأضاء المصباح القوى فى مواجهتى ٠

❊ ❊ ❊

كانت المفاجأة يوم الخميس ، عندما كنت فى عيادة طبيب الأسنان فقد دخل من الباب وتبادل مع المرضة كلمات والتفت يبحث عن مقعد وجلس يتفحص الوجوه حتى التقت عيوننا فقد كنت أجلس على الكرسى المواجه له .. الحق انها كانت مفاجأة مزدوجة لقربنا بهذه الصورة بعد السنوات فتح فمه دهشة غير مصدق مرتبكا وقد نطق اسمى ولكن تعلق الحرف الأول فوق أسنانه ولم يخرج ٠٠ وهكذا جلسنا متقابلين مندهشين معا ٠

ولما تمالكت نفسى قليلا ادركت انه مازال يحدق فى وجهى متخذا وضع التمثال المدهوش وقد سرحت عيناه تنظر الى لاشىء ، وأربكنى ذلك اكثر رغم محاولتى التشاغل عن نظرته اللانهائية هذه فتوقعت ان يتكلم ·· هكذا كان دائما فعندما يواجه الموقف الصعب فانه بجلس يركز تفكيره حتى يتحرك بحساب .. كل شىء عنده بالحساب ·

فى لحظة تالية احسست بالمكان يضيق ·· يضغط على صدرى يخنقنى ·· وتسارعت دقات قلبى واحسست الدميصعد الى راسى ليحتقن وجهى ، وتلمست وجنتى فوجدتها ملتهبة وكانما صاروخين اندفعا من الكرسى ليقذفا بى خارج العيادة فى خطوات سريعة حتى اصبح الباب خلفى ·

فى الشارع وقفت اشير الى التاكسى حتى مر منها اربعة امامى لم يتوقف منها واحد وتوقف شاب بسيارته يعرض ان يوصلنى بكلمات باهتة رقيقة ·· والتفت اليه ولكن يبدو انى كنت مازلت متوترة فصاح مرعوبا مهرجا وانطلق بسرعة ليزيد من توترى هو الآخر ·· كانت حجتى ان اسنانى مازالت تؤلمنى فدخلت حجرتى واغلقتها اتلمس الراحة فى الوحدة وكانت فرصة ، فقد هجمت على افكارى ومشاعرى كلها معا فجاة وعندما سحبت الغطاء فوق وجهى لم يغير ذلك من الأمر شيئا حيث استمرت تحاورنى وتاتى من كل اتجاه ، ويبدو أن الانسان يجب ان يضع فى اعتباره كل المواقف فلا شىء يدوم ابدا وما نتوقع لا يحدث ويحدث مالا نتوقع .. عندما تزوجته كنت أظن أن هذا الوضع نهائى لا رجعة فيه ولا تغيير فارتبطت معه كل الأيام والليالى والأحداث وتصرفت على هذا الأساس دائما احسب حسابه باستمرار حتى لا يغضب مرة أو أضايقه ، ولم يكن هناك انسان قادر أن يشغلنى عنه ابدا فقد كنت

احبه ورتبت عقلى على حبه وقربه .. كل الناس خارج الدائرة ، دائرتى ودائرته تطابقتا ولا يدخلها احد ابدا .. كنت اظن ذلك

اقتحـم الدائرة فى البداية المجموعة الأولى من أهلى وأهله بمناوشات استطعنا التخلص منها بخسائر بسيطة وكان الظن انها انتهت ، ثم اقتحم الدائرة بعد ذلك الأولاد واحد تلو الآخر ، ولم يكن هناك اقتحام بالمعنى المفهوم بل كانوا جزء من الدائرة برز فجأة ، ولم اكن أحسب ان الأولاد بهذه المسئولية الضخمة بدء من لحظة علمى بأن الجنين فى الطريق وحتى يوم الطلاق ، وكل يوم يكبر الأولاد وتنتهى مشـاكل لتبـدأ أخرى من نوع جديد مختلف يشدنا اليه لنحل الموقف فى ايام او اعوام ليستجد غيره ونتحمـل راضين أو متأففين حتى ينتهى ‥ واقتنعنا بأن الحياة يجب أن تكون هكذا ، فى الوقت الذى يضغط فيه الآخرون من جانب واحد فى اتجاه واحد حتى حدث الاختراق من أهله ‥ يتدخلون حتى فى عناصـــر فكره .. وتحملت كل المشـــاق الســـابقة وحدى أهتم بكل شيء داخل الدائرة لأجده يضـع يده فى جيوبه متفرجا ينظر الى كيف اتصرف فى المواقف ، وبعد أن انتهى يسألنى هو لأحل موقفا يخصه ‥ لا يريد أن يبذل مجهودا ولو مرة واحدة وعندما اسقط مريضة فانه يلوم على عدم تمام طلباته ورغباته ، ودروس الأولاد ايضا لم يتدخل فيها أبدا ‥ استقبلهم واراجـع دروسهم وواجباتهم ‥ أجيب أسئلتهم واتابع المدرسة والمدرسين واجهز السندوتشات والملابس كاملة مكوية وتليفوناته كلها مدونة عندما يكون خارج المنزل ‥ هم جميعا أولا ثم انا ‥ استريح او انام او أمرض فى الوقت الذى يسمحون فيه والا لاحقتنى نظرات وعبارات اللوم والاتهامات بالاهمال والتراخى فى حق الملك واولاده

ولا يقبل أبدا أن تساعدنى فى أعمال البيت شغالة أو خادمة فانه يأنف تماما من وجودهم ولا يأمن لواحدة أن تأتى البيت ولو مرة كل أسبوع أو حتى شهر حتى حرمت أن أرفع صوتى اطلب مساعدة أو أشكو ٠٠ وهكذا أصبحت أنا المسئولة عن كل شيء لأكون الأب والأم والخزينة والشغالة علاوة على عملى الأصلى كحلالة للمشاكل التى يجلبها الينا دائما من أهله حتى اتخذت موقف الدفاع الدائم عن دائرتى وتفانيت وكل مجهودى لهم ولم يتبق لى شيء ٠٠ زميلاتى فى العمل كن يسخرن منى دائما وكلهن نصحونى فى البداية أن أترك العمل وأتفرغ للبيت ، واحدة فقط نصحتنى أن عملى هو سندى فى الحياة وأمانى ومستقبلى ٠٠ ربما كانت صادقة ولكن ضاع المال كله يوما بيوم وشهرا بشهر حتى أنى كنت أستدين مقدما جمعيات أدفع منها مصروفات مدارس الأولاد وملابسهم ، وتبقى الآن لى سندى للمستقبل عملى أضع فيه همى حتى لا يضيع هو الآخر ٠

لماذا انزلقت أقيم ما كان بيننا وقد انتهى أمر كل شيء ، لقد كان حبا وزواجا ثم الأولاد والحياة بكل حلوها ومرها حتى غلب المرار . وافقت لأجد نفسى يحاصرنى هو والأولاد يعتصرونى حتى الثمالة ٠٠ وأحمد الله انى لم أبق بينهم حتى أسقط صريعة ٠٠ كان ما كان وانتهى ٠٠ لماذا يفرض الماضى نفسه مرة أخرى بعد أن راح كل الى طريق ٠٠ تمردت ٠٠ نعم قررت العصيان لألتقط أنفاسى وليتنى ما فعلت ٠٠ ساعتها ضاع من قدمى الطريق ٠٠ عندما قررت كنت جادة تماما فى التجربة ، فقط أن أجرب كيف تفعل الأخريات ويكون لهن كل ما يردن فى الحياة ، وكنت كمن يجرب اللعب بالديناميت وخطأ واحد كفيل بأن يدمر نفسه والآخرين وكل ما حوله ٠٠ وانفجر ٠٠ لم يتحمل ما افعله لكى أوقظ فيه الرجل

ليحس ويرى ويسمع ويقدر ، ثم يفهم أهميتى فى الدائرة . وأرادها وحده بعد ذلك يعيش وأولاده فيها بعد أن أخرجنى منها ·· وكان يجب أن أعيش وعشت ·· أيامه كانت صعبة ولكن لها طعم ما لن يتكرر أبدا ·· ومرت السنوات وربما فقدنا القدرة على الاحساس بالطعم ·· ربما ·

حياة المطلقة أيضا لها طعم خاص ، ذقته رشفة بعد أخرى حتى استوعبته تماما لأبكى وحدى وأمام الناس ، حتى وأنا نائمة أحس الطعنة تخترقنى فى ألم مستمر لم ينقذنى منها الا رجل آخر كنت قد وجدته أمامى قبل الطلاق بشهور حينما كنت أجرب لعبة الديناميت ، تشبثت به كثيرا وبر بوعده ولم يدم طعم المطلقـة فى فمى سوى شهور ثلاث كانت الويل لى ·· أتمزق بين حياتى الأولى والثانية التى أوشكت أن أبدأها مجبرة على اختيار مفروض ثم انزلقت مضطرة اليها لأنسب لنفسى الفضل فيها ولا يفترق طعم المرار فى كل مرة فهو فى النهاية واحد أحسه وحدى ·

تكاد السنوات لا تظهر عليه ·· ربمـا شـعيرات بيض هنا وهناك ومازال كما هو يده تروح تدلك ركبته بعد أن وضع ساقا فوق الأخرى يتظاهر بالكبرياء وأنا أعلم أن الروماتيزم يغازل ركبته اليمنى من زمن طويل ويكابر أنه مازال شبابا تفضحه النظـارة الكبيرة ·· لقد سمكت عدساتها ·· أعرف أنى لم أستطع نسيانه فهو أول رجل فى حياتى ·· ماذا أفعل والذكريات من وقت لآخر يقطعها أشـــباح سوء التفاهم والمنازعات والمشاجرات حتى بترها الطلاق أخيرا .. كنت أحاول الاحتفاظ ببعض الذكريات الا أن الأيام لطخت الصور الجميلة لتدفعنى بعد ذلك للندم على ضياع عمرى ومجهودى ومشاعرى وظلمت من حولى واتهمتهم بسوء التقـدير حتى وضحت الحقائق وقيمت الأمور ورأيت أن كل له عيوبه وهو

لم يكن ملاكا ابدا ٠٠ فقط كنت احاول اظهار احسن ما لدى وفى النهاية فشلت رغم النجاح الظاهرى الذى عشته السنوات الأولى يوم كان رقيقا شغوفا شفوقا بى وبكل همسة وكلمة اقولها ويوم كان صلبا عنيفا قاسيا فى النهاية .. ايام لن انساها ابدا فقد احببته فى كل حالاته حتى يومنـــا الأخير وزاد على حبى لهفتى وخوفى وارتياعى لشعورى بذنب عميق ٠

كبريائى وكرامتى وانوثتى تحت الاختبار بعد الطلاق ولم يكن هناك مفر ٠٠ كلهم فكروا وقرروا وانتهى الأمر عند المحامى ينازعه حقوقى حتى بعـد أن اقر بها كلهـا وزيادة فرفضوها ليذهب الى المحكمة بكل معاناتها ٠٠ اعلانات وجلسات وشـهود وتحقيقـات وتأجيـــلات ، حتى يقلقوه ويجعلوه يندم على فعلته ، ومرغمة تماشيت معهم من اجـل كبريائى وكرامتى ٠٠ اما انوثتى فكانت شيئا خاصا بى بعد أن جرحها واهدرها ٠٠ انا اتحت له الفرصة وانتهزها غدرا ورغم انى مخطئة فانى لا ارى أن له الحق أن يمتهنها الى حد طلاقى هكذا .. والآن لم يعد كل ذلك يساوى شيئا بعد أن باعدتنا الأيام والمواقف ، نادمة شامتة حيرانة أحس الخزى انى تزوجت مرة أخرى فى هذه السن يهددنى أولادى واقاربى بنظراتهم فكلهم يلومون ويقارنون وقد يجرؤ أحدهم ويعاتب بعد المقارنة ، واقر ذلك داخلى وارفض المناقشة حتى تباعدت مع اكثرهم لأدخل فى دائرة زوجى الجديد لأجدها عجوزا باهتة بلا طعم اضطر أن أعيش أيامه .. وعندما اكون وحدى ادخل دائرتى القديمة لاخرج منها دامعة نادمة لا اطلع مخلوقا على احاسيسى هذه ٠٠ وهكذا تمزقت وتمنيت أن أنتقم ولكن كيف وممن سأنتقم ثم اطوى كل ذلك داخلى ٠

تمنيت يوما أن أقابله لألقى له بكلمات تفقده الشهية للحياة جزاء عما فعله بى ودفعنى اليه ، ثم تفرقت الكلمات منى وفقدت الرغبة بمرور الوقت ثم نسيت الموضوع كله حتى جلس أمامى ·· ليلتها لم أنم فقد مرشريط حياتى أمامى ورأيت فيه الجميع ·· أبى وأمى واخوتى وأولادى .. وهو وابتسامة أياس ومرارها من يوم خطبتى وحتى طلاقى ، وأعدت حســـــابات كل شىء ووجدت أنى أخطأت كثيرا رغم معاناتى واخلاصى أيضا ، ورأيته أخطأ مرات ، فعندما تبادلت معه المراكز وجدت أنى كنت أفعل مثلما فعل تقريبا وليس ذلك معناه أن الخطأ كله الى جانبى ·· ولم يتحمل أى منا الآخر ثم كان الألم ·· وهكذا قررت بعد تلك الليلة أن أحاذر الذهاب الى مكان أتوقع وجوده فيه خاصة عيادة طبيب الأسنان ·

***

هناك أيام تكون العيـــادة هادئة رغم زيادة عدد المرضى وأيام أخرى تكون مرتبكة كثيرة الأحداث ولكنها مسلية تكسر رتابة الأيام ·· جلستى خلف مكتب استقبال العيادة كانت من ســنوات عندما فتح الدكتور سيد عيادته وحظى كان أن أعمل فى النهار فى وظيفة حكومية وفى المساء ممرضة أقابل نماذج البشر المختلفة ·· أيامى الطويلة جعلت لى منهم معارف كثيرين أتبادل معهم أخبارهم أتقرب بها اليهم وتزيد هباتهم مع زيادة عدد مرات ترددهم ، ومنهم من له سنوات وثق بعدها ألا يفتح فمه لغير الدكتور سيد ، ويغيبون بالشهور والسنوات ليأتوا مرة أخرى لأستقبلهم مرحبة باســمة كأصدقاء ·

كان الخميس الماضى يوما غريبا أحداثه كثيرة فقد تأخرت عن موعد فتــح العيادة عنــدما وجدت اثنين من مرضاى القدامى يلوموننى لتأخرى ، وثلاثة آخرين حضروا واحدا بعد الآخر يلحون

أن اتجاوز عن الدور حتى أن أحدهم وضع عشرة جنيهات كاملة بقشيشا لى ، وبالطبع لم أغامر من أجلها بأن أفسد الترتيب وأزعج الدكتور سيد أو باقى المرضى ، وناقشونى بصوت مرتفع غلب على صــوت التليفزيون ممــا ضايقنى ، علاوة على اثنين من مندوبى شركات الأدوية ثم صديق للطبيب أيضا ، وكلهم يريدون الدخول .. كل ذلك متتاليا زاد من ضيقى بهذا اليوم ·

فجأة حضرت السيدة تماضر بعد غيبة طويلة أظنها خمس سنوات ، تبادلت معها الكلمات والابتسامات ، وعندما سألتها عن الأستاذ توفيق أجابت مبتسمة ·· أنه بخير ·· وعرفت ترتيب دورها فوضعت على المكتب أجرة الكشف علاوة على جنيهين لحسابى أنا ، وخفف ذلك من ضيقى بعدم انتظام العيادة ·· اختارت الســيدة تماضر كرسيا الى جانب صالة الانتظار توجهت اليه وجلست تراقب الموجودين وبرنامج التليفزيون وانشغلت بعملى بعض الوقت .

عندما حضر الأستاذ توفيق كانت مفاجأة لى أن أراه فلم أكن أتوقع رؤيته بعد أن حضرت السيدة تماضر وحدها منذ أكثر من نصف ساعة ، وسألنى عن الطبيب ووضع أمامى أجرة الكشــف وجنيهين أيضا هو الآخر ثم استدار يبحث عن كرسى ليجلس بعد أن عرف ترتيب الدخول ·· رأيته قد توجه الى كرسى فى الجانب المقابل للسيدة تماضر ثم وقف أمام الكرسى لحظة وجلس متباطئا فى مواجهتها واضعا ساقا فوق الأخرى ويده تعدل نظارته فوق أنفه ·· دارت عيناى بينهما ولما لم يتبادلا الحديث بدا ذلك غريبا فى تلك اللحظة ، فقد كانا طوال السنوات الماضية يحضران معا دائمــا ·· يجلسان متجاورين لا يمــلا الحديث الهامس والبسمات وأولادهما معهما ، وربما مارس أحدهما شقاوته أو أكثر من أسئلته وأشركونى معهــم مرات حتى كبــروا ويأتون هم أيضــا بأولادهم

الصغار بعد أن جعلوا الأستاذ توفيق والسيدة تماضر جدودا فى وقت مبكر ، فقد كانت السيدة تقاربنى فى السن أو أكبر قليلا ، خمنت أنهما اليوم متخاصمين عندما رأيتها تتشاغل بفتح حقيبتها تبحث فيها عن شىء ثم تداعب خاتمها تديره حول اصبعها ثم تعدل من وضع عقدها فوق البلوزة وتتلمس أزرارها مرتبكة ، ورأيتها وقد أصبحت ملامحها حادة عصبية توافق توتر حركتها التى رأيتها واضحة . السيد توفيق هو الآخر بعد أن جلس واضعا ساقا فوق الأخرى ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة يصاحبها تقطيبة صغيرة فلم أفهم ان كان قد تضايق من وجود السيدة تماضر أمامه أو أنه سر ان وجدها تنتظره ·

السيد توفيق أعرفه جيدا ولم أر ملامحه تتخذ هذا الشكل من قبل ولا جلسته المتباعدة والصمت الذى يلتزمه ازاء السيدة تماضر كما لو كانت غريبة عنه ، وانقبض قلبى فقد كنت أحبهم وأرتاح اليهم كعملاء ممتازين ، ليس من أجل نقودهم فقط ، وأحسست أن فى الأمر شىء غير واضح · ارتفع صوت أحد المرضى يحتج على دخول مندوب شركة الأدوية الى الطبيب ويطالب بدوره لأنه متألم للغاية ولا يستطيع الانتظار وجرس الطبيب يطلبنى مع جرس التليفون فى وقت واحد وعيناى تدور بين الأستاذ توفيق والسيدة تماضر أحاول أن أفهم ·

معظم أيام الخميس فى العيادة هادئة حيث يميل أكثر العملاء الى الحضور فى الأيام الأخرى حتى لا يعكروا صفو أجازة نهاية الأسبوع بآلام الأسنان ، وقد يمر اليوم لا يجاوز عدد المرضى عن عشرة موزعين على كل الوقت ولم يحدث أن تجمعت مثل هـذه الأحداث فى يوم الخميس . زاد على ما حدث مكالمة من أحد اخوتى

يطلب منى أن أمر على أمى عند عودتى فهى مريضة وتحتاج الى حقنة ولا أحد يستطيع أن يفعل ذلك غيرى ٠

السيدة تماضر والأستاذ توفيق أثارا فضولى وشدا انتباهى بشدة والأمر لم يستغرق دقائق ولم تتح لى الفرصة أن أفهم ٠٠ فقط كنت أحاول عندما فوجئت بالسيدة تماضر وقد احتقن وجهها ورفعت يدها تتلمس وجنتها ثم وقفت كمن تذكرت شيئا واندفعت تسير بخطوات سريعة فى اتجاه الباب دون أن تنظر ناحيتى ومرت متجهمة الوجه كأنما تزفر نارا وقوة خفيـة تدفعها للأمـام حتى تجاوزت باب العيادة دون أن تعتذر عن الكشف أو تطلب نقودها وتركتنى بينما كان السؤال مازال حائرا وكلمة توقفت فلم تدع لى الفرصة أن أفهم ما يحدث أمامى ٠

تحولت أنظر الى الأستاذ توفيق فوجدته كما هو يجلس واضعا سـاقا فوق الأخرى يحرك يده فوق ركبتـه اليمنى ببطء وهدوء ومازالت ابتسامته الغريبة وتقطيبة وجهه فى وضعها السابق كأنه لا يأبه لانصراف زوجته ٠٠ ولفتت نظرى جلسته المتصلبة حتى مر الوقت وناديت على الرقم تسعة ولم أظن أن هذا هو رقمه ٠٠ ناديت مرات ولما لم يستجب أحد من المرضى راجعت الكشف فوجدت أن الرقم يخص الأستاذ توفيق فناديته باسمه مرتين فلم يلتفت حتى قمت ومشيت نحوه وتوقفت أمامه وناديت اسمه مرة ثالثة فانتبه وأشرت اليه باسمة متعجبة أن يدخل الى غرفة الطبيب ٠٠ مرت دقائق خرج بعدها الأستاذ توفيق يضع منديله فوق فمـه يخفى نصف ملامح وجهه ورفع يده محييا وانصرف ٠

سـألت نفسى عن سـر يوم الخميس هـذا ، والربكة التى صاحبته ، وحتى الآن لم أفهم الموقف الذى حدث بين الأستاذ توفيق والسيدة تماضر ، ربما يحضر أحدهم يوما وتتضح الأمور ٠

● بـــدون أخطـــاء

كان الحاج صفوت يرقب اهتزازات زوجته التى تجلس أمامه فى عربة القطار ويتعجب كيف سمنت الى هذه الدرجة ، فقد كانت كغصن البان أيام زمان ·· وتراءت له فى شبابها ونضارتها ، ولم يقلل مقدارها عنده سمنتها هذه أبدا ، بل فى بعض الأوقات يفخران أو يسخران منها معا ·· كان مشواره الى القرية هذه المرة ليحصل ايراد الأفدنة الستة التى ورثها عن أبيه والتى لا يزيد ما يجمعه منها عن مصروف شهر واحد فقد اختلت الموازين وتمنى لو أنه نجح فى الحصول على فتاة ·· أى فتاة تساعد الست منيرة زوجته فى أعمال المنزل التى بدات ترهقها .

مشواره كان موفقا وجمع الايراد كله فى رحلة واحدة ومن الله عليه وأرسل صابحة التى خدمت أمه من قبل سنوات طويلة ، أتت اليه ليساعدها أن يجد عملا لنور العيون ابنتها، واستحلفته الا يتأخر عنها . الحاج صفوت كتم فرحته واتفق مع صابحة على أجرة نور العيون وانصرفت تدعو له بالخير وتعدها لتسافر معه .

الست منيرة لم تصدق ما سمعته من الحاج صفوت ·· فتحت لها طاقة نور ·· سوف تستريح كثيرا بوصولها بعد أن فارقها الأولاد .. مصطفى هاجر منذ سنوات وهند تزوجت العام الماضى ·· كانت تساعدها دائما ·· وحتى عندما خلا المنزل من الأولاد وأصدقائهم فانها لا تقدر على المجهود وهى فى رشاقتها هذه وتبتسم وتتحسس ذراعيها فى دلال ·· الست منيرة أصبحت جدة وهى لم تتجاوز الخامسة والأربعين ، والحاج صفوت يكبرها ببضع سنوات . كانا صديقين العمر كله ، ولكنه سافر وحده للحج وهذه تحسبها عليه غلطة لأنها لن تستطيع السفر وحدها ولا هو يقدر مرة أخرى على تكاليف الحج . انساقت وراء خواطرها فى قاعة المنزل القديم حتى موعد السفر بينما تدخل اليها سيدات العائلة يبادلنها السلام والأخبار ، وعندما حضرت صابحة أشرق وجهها بالأمل وبدأت تفرح عندما رأت ابنتها نور العيون وكأنها اسم على مسمى ·· كانت عروسا سمراء جميلة تجاوزت السابعة عشر بقليل ، طويلة ممشوقة صبوحة الوجه ضاحكة خفيفة الظل . وقبلت الست منيرة أن تعمل لديها الفتاة وأوصتها صابحة أن تحرص عليها كما حرصت على ابنتها من قبل ·· وتمادت صابحة كثيرا وهى توصيها بنور العيون حتى بدأت منيرة تتضايق من كثرة حديثها ·

لما وصل الركب الى القاهرة كانت الرحلة قد استهلكت كل مجهود الست منيرة التى استلمت السرير حتى الصباح ، وعندما استيقظت وجدت المنزل فى حال غير الحال ، كأنما مسته يد سحرية امتدت ورتبت ونظفت وأدت كل ما كانت تطمع أن تؤديه فى أيام تالية ، وأثارت نور العيون اعجابها بنشاطها وذكائها وأعجبها أكثر حلاوة لسنها ·· فعندما سألتها الست منيرة عن أول أحلامها فى القاهرة أجابتها بسرعة وبدون تفكير ·· نفسى فى حلق

بدلاية .. قالت الست منيرة .. حاضر .. كأنما أمرتها ، وردت نور العيون ·· يحضر لك الخير ·

الخير كان مع قدوم نور العيـون ·· ارتاحت الســت منيرة وابتسمت واتسعت الابتسامة وجدت وقتا أطول تقضيه بعد الظهر تجلس مع الحاج صفوت فى الشرفة يتحدثان مع قهوة العصر ·· ومع الراحة سمنت الست منيرة أكثر هذه المرة ·· أما نور العيون فقد تحسنت كثيرا وظهرت عليها آثار القاهرة فقد استطاعت أن تنظـم طعامها وعملها وملابسها وسمنت هى أيضا وامتلأ عودها وأصبح ميادا وأظهـرت تقاطيعه الملابس التى أخذتهـا من منيرة هانم ·· ملابس الست الصغيرة كأنمـا جهزتها لها من قبـل ·· واستدار وجهها وظهر جمالها أكثر ولم يغرها ما هى فيه بل تمادت أكثر فى اخلاصها للست منيرة وحماسها فى خدمتها ·

نور العيون تروح وتجىء أمام عيون منيرة لترى جمـــــالها يزداد ورشاقتها وتقارن بينها وبين نور عندما كانت فى سنها .. وانزلقت مع الحاج صفوت يتذكران أيام زمان من ربع قرن فقط .. كانت أجمل وأحلى عشرات المرات ، وأثار همتها أنها لاحظت أن الحاج صفوت يراقب نور باستمرار ويتتبع حركتها بعينيه .. انها تثق فيه كثيرا وتثق فى ايمانه ولكن الشيطان شاطر ويجب أن تأخذ حذرها ، ووجدت منيرة أن الحل يكمن فى التخلص من الكيلوجرامات الزائدة حتى تستعيد رشاقتها وحيويتها السابقة ولكن مشـــوار التخلص طويل للغاية فقد تجاوزت علامة الميزان أوزان الرشاقة والتالية ثم التى بعدها وعليها أن تتخلص من عشرات الكيلوات حتى تصل الى ما تريد ·

الصحف اليومية وركن المرأة ومجلات حواء دائما يكتبن عن

الرجيم والتخلص من الوزن الزائد ·· طرق كثيرة ومملة ولكـن اهمها الارادة وهى تنقصها ·· فى المساء كانت فى عيادة الطبيب ·· اعطاها برنامجا غذائيا وادوية وتمارين خفيفة فى المنزل وساعتين كل يوم تسير على قدميها ، والدواء مر والشفاء من الوزن امل .. والوزن الزائد أصبح حملا ليس على ساقيها بل على تفكيرها أن يميل الحاج صفوت لنور العيون ·

أسـبوع وأسبوعان ووقفـة جديدة على ميزان الطبيب الذى دهش من فقدها عشر كيلوجرامات فى هذه الفتـرة القصيرة ·· شجعها ذلك .. كادت تصوم عن الطعام وأرهقت نفسها فى تمارين ومشـاوير وأدوية وكل زيارة دهشـة جديدة وتشـجيعة أخـرى وابتسامات أعرض ·· الحاج صفوت متحمسـا تبرع بالساعتين يوميا ورتب أوقاته واشترى حذاءا رياضـيا حتى لا يفوته هذا التمرين هو أيضا يحتاج اليه بعد أن قارب الخمسين فى الأسـبوع الماضى ، ووجد أن السير مع منيرة فى شوارع المهندسين الهادئة أصبح يلذ له تحدثه ويحدثها ويستعيدان معا أيام الجامعة والسير فى حديقة الأورمان سـاعات طويلة تنتهى بسرعة ·· واسـتفاد كثيرا ورجعت اليه حيويته وطاقته ونشاطه وروحه المرحة ومنيرة ترجع لاهثة الأنفاس تتصبب عرقا (هفتانة) ودش بارد فى الشتاء لتفقد سعرات أكثر لتشتد فى اليوم التالى فى سيرها أكثر وتصوم عن كل الطعام ·· وأصبحت تقف أمام محلات الحلوى تنظر للأصناف كأنما تتذوقها وتبلع ريقها فى استسلام مقهور لتقف مرة أخرى أمام ثلاجة الجزار والبقـال تزدرد لعابها وتصـبر حرمانها وتصـور لنفسها صورة رسمتها لغصن البان من ربع قرن من الزمان .

الترزى أخذ المقاسـات الجديدة ·· كل الفسـاتين أصبحت واسعة جدا فضفاضة ·· دهش الترزى من التغيير ومدح وأثنى

وشجع فسوف يصنع ملابسا كثيرة لها هو معتاد على ذلك من السيدات السمينات ولكن منيرة أسمن زبونة لديه ولم يكن يتوقع هذه الطفرة .. داخت الست منيرة فى محل الترزى .. شعرت بالدوار وهى تدور أمام المرآة فى الفستان الجديد ·· دوار وعرق وزغللة واصوات تتداخل .. وسندها الرجل ومساعدته الا تقع فوق الأرض وأفاقت بعد أن شمت الكولونيا ..

فى المنزل وقفت أمام المرآة ودارت ولاحظت الاختلافات ·· لقد قطعت شوطا طويلا ولا يجب أن تتوقف بعد أول دوار ·· فقط يجب أن تعتنى أكثر بالنظام .. لقد تهدل جلدها بعد أن فقدت كيلوات الشحم والدهن وسوف تتحمل هذه الترهلات ·· الطبيب قال انها سوف تزول ·

رغم هذا المجهود فان منيرة مازالت تلاحظ عينى الحـــاج صفوت تراقب نور العيون فقد أصبحت تستقر وقتا أطول للمراقبة والتملى ويجب أن تدفعه بحذر بعيدا حتى لا تتفوق عليها نور وتجذبه رغما عنه اليها ، انه لو انحرف فسوف يتزوجها فورا ·· تعرف انه يخاف الحرام .. اذن لابد من مضاعفة الجهد .. وشجعها شهر رمضان ، تصوم اليوم كله وتكتفى بالقليل فى الافطـار وتصوم بدون سحور ثم صامت ستة أيام بعده ثم صممت أن تكون أيـام الأسبوع كلها صيام وافطرت يوم الجمعة ولم تتناول سوى الماء كأنها مازالت صائمة .. معدتها قفلت لم تعد تتقبل الطعام وأصبحت معظم أيامها صيام ورياضة ومشى مسافات كبيرة ، واضطرت مرة اخرى أن تزور الترزى بمقاسات أصـــغر وبدأت تتابع الموديلات الحديثة التى أصبحت تناسبها الآن ·· لقد نقص وزنهـا كثيرا لدرجة أن بعضهم لا يكاد يعرفها وهى تسير فى الشارع أو عندما

يزورونها بالمنزل ٠٠ شجعها اكثر اهتمام الحاج صفوت بمراقبة الميزان معها كلما ارادت دفعة جديدة .

مرت سنة كاملة وهى تنقص وزنها ويصيبها الدوار وترتدى ملابس بمقاسات أصغر وتزداد فرحتها بما تصل اليه تحاول أن تتحدى لتكون غصن البان مرة ثانية وتراقب نور التى استدار جسمها وأصبحت فى أحسن حالاتها ايضا ٠٠ قاربت الست منيرة أن تصل ولكن هذا الدوار اللعين لم يعد يجدى معه الفيتامينات والمقويات ، أصابها الهبوط ونصحها الطبيب مرة بعد أخرى الا تقسو على نفسها . وقست هى أكثر حتى لا يفتر حماسها .. انها تريد أن تحتفظ بالحاج صفوت ٠

مرضت نور العيون ، ارتفعت حرارتها ، احتارت فيها الست منيرة ، وعندما حضر الحاج صفوت استدعى لها الطبيب واعتنى أن يشترى الدواء فورا ونصحها بعدم اهمال تعاطى الدواء فى مواعيده حتى أنه يضبط المنبه مرات لتتذكر الدواء أو ينادى أن وقت الدواء قد حان وتابعها وهىتتماثل للشفاء ٠٠ طيب الحاج صفوت يراعى ضميره دائما ٠٠ انه هكذا يهتم بكل شىء ٠

يوما سقطت الست منيرة فى الحمام وكانت نور أمام الباب وسمعت صوت السقوط وكسرت الباب وجرتها خارجا ثم ساعدتها فى الصعود الى السرير وغطتها واستدعت الطبيب والحاج صفوت أيضا ٠٠ وقفوا حولها ينتظرون كلمات الطبيب ليطمئنوا عليها بينما أمسكت منيرة بيد الحاج صفوت تضغط عليها لتستمد منها القوة وتنظر اليه تحاول أن تقول شيئا تتمتم به ولا يفهمها أحد ٠٠ وانزلقت من عينيها دمعة واحدة أغمضت بعدها عيناها الى الأبد ٠

قال أحدهم وهو يسير فى الجنازة يدلل على معرفته بالأمور أن الست منيرة كان مكشوفا عنها الحجاب .. كانت تحس أنها سوف تموت وأشفقت على الأربعة الذين سوف يحملونها ٠

وانتهت أيام العزاء وأحس الحاج صفوت بالفراغ وكان يترك المنزل يدور فى أى مكان ليرجع كل مساء ويجد نور العيون باكية ٠

قال الحاج صفوت لنور العيون ٠٠ مر الآن شـهران وأنت مازلت تبكى ٠٠ اشفقى على نفسك قليلا ٠٠ لكنها استمرت تبكى فى حرقة ٠

وضبط الحاج صفوت يده تربت على كتفها فى حنان يبدو أبويا بينما ابتعدت عنه نور العيون ٠٠ قالت : يا حاج صفوت يوم وفاة المرحومة دق جرس التليفون وكانت مكالمة من بلدنا أبلغونى أن أمى ماتت فى نفس اليوم ، والآن أبكى نفسى .. لقد أصبحت وحيدة فى الدنيا فقدت أمى والست منيرة فى يوم واحد ولم يبق لى سواك فى الدنيا ٠٠ وانهارت باكية ٠

اقترب الحاج صفوت منها ووضع يده على كتفها مرة أخرى وقربها اليه قائلا : تتجوزينى يا نور ٠

● كرامة عم صلاح

كان صلاح فى شبابه قويا يلعب المصارعة الرومانية وساعده جسده الضخم أن يتفوق فى الساحة الشعبية المجاورة لبيته ، وكان زملاؤه يتراهنون عليه أن يفوز ، لذا كانوا يجلسون اليه دائما ويشجعوه أن يغلب الخصم ويكافئوه دائما على ذلك ٠٠ وكانت المكافأة عند الحاتى القريب يلتهم أرطالا من الضأن المشوى والنيفة وعدة أرغفة من الخبز وأطباقا من السلاطة الخضراء .. انزلق صلاح فى هذا الاتجاه ولم يتعد حدود الحى الذى يعيش فيه بالقرب من العتبة ، وكان ذلك له تأثير واضح على دراسته حيث كان يتعارك مع زملائه ضد زملاء آخرين فاكتفى بالابتدائية مؤقتا ثم التحق بمدرسة الصنائع القديمة حتى يكون حرفيا ممتازا ، وعند التخرج الحقه رئيس الساحة الشعبية بعد أن توسط له عند المسئولين بمصلحة المجارى الى جوارهم حتى لا يبتعد كثيرا عن الساحة ٠

الأسطى صلاح كان له أربعة اخوة ذكور وأربعة أخرى بنات

وكان ترتيبه فيهم الثالث فلم يحظ باهتمام الأب أو الأم علاوة على تفرغ أبيه فى الصباح لتجارته ، وفى المساء لمتابعة الراقصة التى لمعت كثيرا فى الأربعينات بميدان الأوبرا يحاول أن يجذبها بماله بعد أن ولى الشباب فأنفق عليها رأس ماله وأربعة فدادين هى كل أملاك زوجته ومات فقيرا لا يحمده أحد من أولاده . عندما يتذكروه قد يذكرون اسم الراقصة أولا واسم محل تجارى جديد اشترى محل والدهم عندما أفلس ، وعندما يتذكرون الأم فانهم يتذكرون السلبية والجهل وعدم الاتزان الذى ورثته لهم هم والاخوة البنات أيضا .

عندما أراد عم صلاح الزواج انتقى جارة له فى الخامسة عشر تلعب مع البنات فى فناء المنزل المجاور ، وكانت أمها تكبره بسنة واحدة لذا كان الفارق بينه وبين زوجته أكثر من خمسة عشر عاما فاستطاع أن يضغطها فى القالب الذى يراه مناسبا ، وكانت صورة أمه هى مثالا للتكامل فأنشأ زوجته أمية جاهلة لا تدرى من أمور الحياة سوى أعمال المنزل ، وقد يأخذها فى نزهة الى احدى الحدائق أو فيلم ليوسف وهبى ·· وهكذا حبسها ·

رزق عم صلاح بأربعة أبناء ، بنت واحدة وثلاثة صبيان .. الولد الأكبر ظل يرسب فى الكلية التى التحق بها سبع سنوات متصلة فوق الأربعة فخرج بعد أحد عشر عاما من الدراسة ليكون ظلا لأحد أساتذة الكلية برز فيما بعد فيسنده من آن لآخر فى عمل يدر عليه مالا كثيرا بلا مشقة ويتغاضى عن سرقاته ورشاويه فى علاقة غامضة · والابن الثانى لعم صلاح ظل فى الثانوية العامة يعيدها عاما بعد عام حتى نال من الضرب ما يكفى لاصلاح تلاميذ فصل كامل ، ثم نجح بالصدفة والتحق بعمل كتابى باحدى المصالح الحكومية · وعندما جاء الدورعلى الابنة فانه رأى أن تكون أمله فى الحياة ، فانهم ينادونه الآن فى المصلحة ياباشمهندس ويجب

أن تكون ، فألحقها بكلية الفنون وكانت على قدر كبير من الألمعية والذكاء فاجتازت سنواتها الخمس بالكلية اسمها يحمل فوقه كل أسماء الناجحين من الدفعة ويحمى المؤخرة . أما الولد الأخير فقد جاء بعد فترة من اخوته على غير انتظار وكان عم صلاح قد تجاوز الخمسين ، وعندما وصل الولد للثانوية العامة كان عم صلاح قد تعدى السبعين من عمره وان كان مايزال قويا متماسكا يستطيع أن يسير مسافات كبيرة محتفظا بذاكرة قوية وصوت عال الا أنه كان قد مل تربية الأولاد فترك هذه المسئولية للأم بعد أن عاتبته على سماحه للابن الأصغر بالخروج كثيرا ، ووجدها فرصة ليعلن عدم مسئوليته ·· وهكذا كان له الحبل على الغارب خارج سيطرة الأم والأب معا ·· والغريب انه نجح بتفوق والتحق بكلية محترمة بدون تدخلهما ·

عندما التحقت الابنة بالكلية خطبها شاب ثم تورط فى هذه العائلة وكان أن أكمل المشوار وتزوجها وأنجب منها ، وعندما اتضحت الصورة متكاملة له أصبح من الصعب الانسحاب ، الا أنه استطاع أن يرى خلال الفترة التى قضاها مع هذه الأسرة أن الأب يسرق أدوات المصلحة التى يعمل بها ورآه بنفسه يتقاضى الرشاوى من الجمهور تحت ستار الاكراميات والدمغات والرسوم ، وأثار ذلك زوج الابنة لكنه لم يفصح لأحد عما يراه وانسحب من المواقف التى قد يورطه صهره فيها مستغلا مركزه الاجتماعى واتصالاته ·· العجيب أن زوج الابنة قد أعجبه الرجل فى البداية فقد كان فى استطاعته أن يكمل كل الآيات التى يرتلها القارىء فى الاذاعة ويستطيع أن يبرهن على صدق أقواله بآيات من القرآن والأحاديث الشريفة ، ثم أعجبه أيضا الرجال الذين قدمهم اليه على أنهم أفراد الأسرة ، فكلهم صحتهم جيدة وملابسهم نظيفة ويستطيعون أيضا أدارة الحديث بلباقة ويشغلون مراكز عادية أو فوقها بعد أن قاربوا

سن المعاش وان فضح مستواهم تصرفات زوجاتهم أو أبنائهم ، وجذبه حديث الأب الشيق عن شبابه وبطولاته فى الساحة الشعبية وكميات الطعام التى كان يلتهمها وقوالب الزبد وأكواب السمن والعصير التى يتناولها بعد وبين الوجبات ، وما يصاحب ذلك من نوادر وحكايات ، وكان يحلو لعم صلاح أن يتندر على اخوته فى صباهم وشبابهم فحكى الكثير مما عابهم بعد ذلك ٠

ابن عم صلاح كان قد فسخ خطوبته لفتاة رقيقة ابنة وكيل وزارة وحارب الجميع بعد ذلك ليتزوج من رق قلبه لها فهبط كثيرا بالمستوى الذى كان يحلم به وكانت لا تزيد أبدا عن ابنة عم صلاح فيما بعد ، وتم زواجه فى هدوء وصمت بعدها نسى أهله وربما قاطعهم حتى لا يزوروه فىبيته الجديد فلم يكن سوى مرتبة واحدة فوق البلاط وصندوقين من الكرتون ليجاهد بعد ذلك كثيرا بمساعدة أستاذه ٠٠ وبعد عشر سنوات كان منزله يحوى كل تكنولوجيا العصر لخدمة المنزل وربما تكرر عدد الأجهزة ترمى باهمال فى جميع الأركان وقد يحصل بعض الأصدقاء من زوجته على ما يريدون دون أن يعلم ! وأنجب منها الأولاد واستمر فى حياته بدون أهل أو اخوة لا يكاد يعرفهم الا فى المناسبات لدقائق ثم يختفى لسنوات ولم يساند فى موقف أو يتعرض لمشاكلهم ٠

الابن الثانى لعم صلاح عندما أراد الزواج فاجأ الجميع أنه غدا يتزوج سيدة ، كانت مطلقة سيئة السمعة تشرب الخمر باستمرار ، حياتها كلها فى كأس فوق السرير تفيق لتشرب وتتمتع وتنام . وهكذا انهارت صحته بعد شهرين عاشها كأنه صائم لا يتناول الطعام ثم يفطر معها فوق السرير الخمر والمزة حتى سقط وأسعفه الطبيب ونصحه بالطلاق قبل أن تدمر حياته فطلقها فى صمت كما تزوجها ، ثم تزوج فتاة طيبة فرأت ما رأى زوج الابنة

فابتعدت بزوجها الى بلد بعيد ·· ربما كان فى الامكان عدم التلوث أو الطلاق ·

الابن الرابع أصغرهم كان أريبا منذ صغره واستطاع النجاح فى أول الطريق وكان جميلا وسيما فأعجبت به احدى زميلاته وقدمته لأمها فاستطاع أن يقنع الأم بأنه فرصة لا تعوض فبدأت ترمى عليه الشباك ولم تكن بالنباهة الكافية حتى تقدر الأمور وانحصر اهتمامها فى الحصول على زوج لابنتها فأعمتها هذه الرغبة عن التأكد من نسب الشاب وعائلته وأتاحت له فرصة كبيرة أن يستذكر مع ابنتها الدروس ! وهكذا بعد شهور صمم ابن عم صلاح أن يتزوج زميلته وأعلن ذلك فجأة ، وفى أسبوع واحد نقل كل كتبه وملابسه الى شقة أم زميلته وتزوج وبدأ نجمه يهوى قبل أن يسطع ، ثم استطاع النجاة من امتحانات الجامعة بعد أن أضاف الى سنوات دراسته خمس سنوات أخرى رزق فيها بطفلين وأعمال ثانوية بعد الظهر كمندوب للمبيعات للشركات حتى يمكنه شراء بعض الأشياء ، وساعدته حماته كثيرا ثم تركته يفعل ما يستطيع بعد أن خيب الأمل فيه ، وسافرت بعيدا ، وبعد أن بدأ يستقر طلق زوجته ، فقد رأى أنها تميل كثيرا لصديقه الوحيد الذى تزوجها بعد طلاقها فورا ·

الأم الطيبة أصبح عمرها يجاوز الستين بسنوات ترضى بما قسمه الله لها وأصبحت تعرف الكثير ولم تصبح جاهلة كعهدها الأول ولكنها مازالت ضعيفة منكسرة فى مواجهة عم صلاح وأولادها .. فاجأها القدر بشلل أصاب زوجها عم صلاح وتركه مشلول اللسان ويد وساق لا يتحكم فى حركة أو رغبة ، وربما أمضى اليوم كله ساهما لا يستطيع أن يتذكر أسماء أولاده أو أن يفصح عن رغبته فى الحركة أو الطعام ، وهكذا وجدت نفسها وحيدة مع

صلاح المشلول عندها الوقت الكثير لتفكر وتجمع احداث حياتها امامها لتجد أن أمها تخلصت منها بسرعة لتتزوج رجلها الثانى وأن صلاح قهرها العمر كله وحرمها من كل ما تتمتع به النساء الأخريات ، وأنه ربطها الى المنزل وشئونه بحاسبها بمنتهى القسوة ان خالفته وتضطر أن تمسك أحد الأولاد جيدا ليستطيع أن يضربه باحكام على قدميه أو مؤخرته عقابا له على الرسوب ، وكانت هذه هى الحالة الوحيدة التى يثور فيها لتربية أولاده ، ربما لفشله سابقا فى دراسته وغيرها لا يأبه للمشاكل التى قد يثيرونها ٠ ثم رأت أنه حرمها من أولادها تماما ، فكل منهم بمجرد أن استطاع أن ينهى دراسته فانه يفر من المنزل كأنه مسكون الى حضن أول امرأة تفتح له الباب ولا تهم النتائج طالما هرب من أبيه ، ووجدت أيضا أنه فوق ذلك توج أعماله بأن حرمها من الفرح طوال عمرها فلم تطلق زغرودة واحدة بين الجدران الأربعة التى تعيش بينها ، والصبيان هربوا وتزوجوا بعيدا فى سكون ، وحتى ابنتها التى زوجها فى نفس البيت ، قبل الفرح أقام مشكلة مع العريس وأهله ، فكان الزفاف كموكب جنازة من حجرة العروس حتى كرسيها فى غرفة الصالون ، وانشغل الناس فى التقاط الصور مع العريس ثم استلموا علب الحلوى وقبل التاسعة مساء انفض الفرح وتركوها مع صلاح وحيدين يشعران بالانقباض لأياما طويلة ٠ إن صلاح حرمها الشباب والأولاد والفرح والسعادة والمال وحبسها فى قمقم الخوف أن يثور عليها يوما يرميها خارجا لا معين لها ولا سند ٠٠ اذن ٠٠ المارد اليوم مشلول وغل السنين تمكن منها فى شهور قلائل بعد أن أفاق من غيبوبة الشلل واصبح يدور خلفها يشير اليها بما يحتاج ٠ هذا هو الوقت المناسب حتى تشفى الغليل وتبرد نارها ٠٠ واستأسدت الأم وفجرت طاقات كبتتها سنوات ، وسمع صوتها فى أنحاء المنزل تأمر وتنهى وتلوم وتهدد بالعقاب والأسد

الجريح تظهر انفعالاته فى عينيه بعد أن بدأ يفيق من هجمة الشلل وبدأ يعالج آثاره ، واستطاع الطبيب أن يعيد الحركة الى اليد والساق والوظائف اللاارادية ، ولكنه ترك الزمان ليصلح النطق والذاكرة فكان صلاح أشبه بالرجل الأبله تقتاده زوجته من مكان لآخر آمرة زاجرة متأففة تلوح من وجهها قسمات القرف وعدم التحمل ، وتمنت لزوجها الموت مرات عديدة سمعها هو بنفسه وتساقطت دموعه بسببها كثيرا وأحيانا أخرى لم يفهم من حوله السبب فى هذه الدموع ٠

حفيد عم صلاح جلس فوق حجره يوم الجمعة وأدار معه حوارا ، كان الطفل أذكى من الجميع ، كان ذلك منذ أكثر من عشر سنوات ، قبل أن يصاب الجد بالشلل وكان فى أوج صحته وقوته ٠٠ فاجأ الحفيد الجد بالسؤال ٠٠ لماذا لا تصلى معنا الجمعة ؟ وأتبعه بالسؤال التالى قبل أن يجيب الجد ، وسأله عن سبب افطاره ٠٠ انه لم يره مرة واحدة يصوم أو يصلى .. وضحك الجد بعصبية وضحك الجميع حوله ، فلم يكن أحدهم يصلى أو يصوم ٠٠ وهكذا أنجب عم صلاح أربعة أبناء وأنجبوا أولادا كثيرين كلهم لا يعرفون من دينهم الا اسمه ويستطيعون جميعا فعل أى شىء بدء من الكذب وما يليه ٠٠ وبالطبع اكتشف زوج الابنة بالتدريج أن كل اخوة عم صلاح يماثلونه وأنتجوا أحفاداكثيرين أيضا على شاكلتهم ، وعرف انه الوحيد الذى استطاع النجاة هو وأولاده من دائرة اعتقادات عم صلاح بأن الله غفور رحيم وليس عليه الا أن يشهد بوجود الله ويمارس حياته بلا قيود الواجب والحلال والحرام والعيب ٠٠ واكتشف أيضا أن الأم تنتمى الى عائلة نصفها يدين بنفس دين عم صلاح ، والآخرون يتاطعونهم ويمارسون حياتهم ودينهم بما يرونه صحيحا بلا شذوذ فتجنبوهم واطلقوا عليهم الحكايات والأقاويل ٠

ظل عم صلاح حبيس الشلل سنوات ثلاث انفض فيها كل من حوله وتناهى اليه أخبار أقاربه واخوته يموتون الواحد تلو الآخر والشلل قد أصاب معظمهم قبل أن يموتوا عدا واحد منهم نجا منه ومات بالسرطان فأصابه الاكتئاب علاوة على سلاطة لسان زوجته وفجورها الجديد بعلو صوتها واهانتها له ، وأصبح ينتظر الموت ويتمناه كثيرا ، وبدأ يقضى وقته نائما فى سريره أو أمام التليفزيون أو على كرسى فى الشرفة ينتظر أن يحضر أولاده يوما . ويمر يوم بعد الآخر ولا يحضرون ، ولا يدق جرس التليفون ليسمع صـــوت أحدهم دون أن يستطيع أن يبادله الكلام ، حتى حضر الابن الثانى من القرية البعيدة التى يعمل بها واضطر أن يقضى ليلته فى القاهرة مع أبيه .

كانت زوجة عم صلاح قد اتخذت غرفة أخرى لتنام فيها بعد مرض زوجها حتى لا يزعجها أثناء الليل بطلباته أو شخيره ، وعندما حضر الابن رقد فى سرير مجاور لأبيه ، ورغم انه مرهق فقد جافاه النوم وتسلل اليه احساس بأن أبيه على موعد مع الموت هذه الليلة ، وهزه هذا الخاطر كثيرا وطرد النوم من عينيه حتى أحس بأبيه يتساند للوقوف وتابعه يرقبه ويتسمع حركته حتى عاد من الحمام ورقد مرة أخرى وجذب الغطاء فوقه .. وانسابت موجات الذكريات من بعيد تعيد شريط حياته مع هذا الرجل عندما كان يحرمه من مصروفه أو من خروجه مع الاصدقاء ، وأيضا عندما كان يربط رجليه فى عارضة السرير وينهـال عليـه ضربا بالحزام الذى فلت مرة وأصاب راسه ذهب بعدها للمستشفى حيث خيطوا جرحه الكبير ، وترك ذلك أثره واضحا بعد أن نحل شعر راسـه وأصابه الصلع وأصبح الجرح من علاماته المميزة ، وتذكر موقف أبيه عندما لم يساعده أبدا فى مرتى زواجه كلتيهما . وحاول أن يجد سببا معقولا

لذلك ولكن دون جدوى ٠٠ قطع أفكاره شخير صدر من والده ٠٠ شخير مختلف يحاول الشهيق ٠٠ نط واقفا وجرى حتى دون أن يلبس فى قدمه شيئا ، وجرى الى حضن أمه واخبرها عما حدث ليخيفها بخوفه حتى جذبا معا الغطاء يحاولان النوم ٠

فى الفجر ، دون أن يدخلوا الحجرة ، نظروا من بعيد وفهموا واستدعوا الآخرين بالتليفون ، واخبرهم الطبيب أنه مات منذ ساعات .. عندما حضرت الابنة صاحت وهى واقفة أمام الباب وجرت وارتمت على جسد أبيها تقبله .. ثقلها أخرج الهواء من صدره ٠٠ صدرت منه حشرجة ترجمتها هى الى كلمات وراته يبتسم مرتاحا ٠٠ خرجت وأعلنت الكرامة ٠٠ لقد همس لها بكلمتين ـ الحمد لله ـ وابتسم ثم أغلق عينيه الى الأبد ٠ وصدقت نفسها وطاب للآخرين أن يصدقوها وتداولوا الحديث بينهم حتى موعد الجنازة ٠ واشترك فيها أولاده كلهم واخوته المتبقون على قيد الحياة وأزواج اخوته وأقارب زوجته وبعض عمال المحلات المجاورة للمنزل والبواب وابنه ٠٠ كانت جنازة متواضعة سارت حتى المسجد ليصلوا عليه ٠

المفاجأة أن الجثمان دخل المسجد يحمله أربعة رجال وبقى الجميع فى الخارج ، لم يصلى عليه أحد من أولاده أو أقاربه وصلى عليه الأربعة الذين حملوه والآخرون الذى كان من حظه تواجدهم للصلاة فى هذا الوقت ثم تحرك ركب عم صلاح الى المدافن حيث واروه هناك فى سرعة فائقة عاد بعدها الجميع ٠

عندما انتهت المراسم وضعوا الطعام واكلوا بشهية .. الجميع وزوجته وأولاده وبعض الأقارب ، ولبسوا السواد كعادة المصريين فى هذه المناسبات، ولم يبك سوى بعض النساء منهم زوجته وابنته

عندما واساهم بعضهم ثم كفت الدموع ، فى المساء حضر بعض الجيران والأقارب وانصرفوا ليبدأ شجار الورثة حول أحقية أحدهم فى الفوز بشقة الأب بعد موته فى الصباح ·· وحسم النقاش خال لهم نهرهم أن يؤجلوا المعركة حتى موت الأم أيضا فاقتنعوا لأنه لم يترك شيئا آخر .. !

خافت السيدة زوجة المرحوم صلاح أن تنام وحدها فى البيت أن يصيبها مكروه من روح المرحوم انتقاما لأعمالها فى السنوات الثلاث التى سبقت موته فتركت المصابيح كلها مضاءة وهربت الى شقة ابنتها ، ثم خلعت الابنة السواد بعد ثلاثة أيام والأم بعد أسبوع ثم ارتدوها فى مناسبة الأربعين حيث حضر بعض الجيران ، وخلعوها انتظارا لمناسبة أخرى قد تكون قريبة ·· واستمرت الحياة بدون عم صلاح ·

عندما انساب الحديث فى ليلة صيف ونسمة رطبة طرية تلف الشرفة استطاعت الابنة أن تتذكر يوم وفاة أبيها وانطلقت تحكى لأولادها الذين كبروا سنوات منذ مات الجد عم صلاح ·· حكت أنها عندما احتضنت أبيها بعد أن مات بساعات استطاع أن يحس بها وبحنانها وشوقها وحرقتها لموته فعادت اليه الروح ليهمس لها الحمد لله ويبتسم ويفتح عينيه لآخر مرة ثم يموت ثانية . هلل الأولاد لكرامة جدهم وانطلق الآخرون يحكون عن كرامات لأموات آخرين ·

● ابتســامة أحمــد فــودة

الأستاذ احمد فودة موظف بوزارة التمرين ويعانى مشــكلة كبيرة جدا ، فهو دائما يفعل ما يراه مناسبا ويقول كل ما يحس به بلا مواربة . وهذا جعل الكثيرين ينفرون منه حتى زوجته وأولاده وأقاربه وجيرانه وحتى زملاء العمل . هو يحس شعورهم نحوه باستمرار ويفسره أنه تعالى واحتقار لشــــعوره وأفكاره وعدم تقديرهم لمجهوده مهما تفانى فيه فى الوقت الذى يراهم على حقيقتهم وبذلك يصطدم بهم دائما .

هو يرى الصدام الطبيعى بينه وبين حماته ويعرف شعورها ودوافعها ويعرف أيضا ما يجب عمله حتى لا تزيد من فاعليتهـا داخل منزله .. ايضا حماه هذا الرجل الذى قد يتكلم أحيـــانا مرددا رأى زوجته ثم أخوات حسنية زوجته قد يتحـدون ضـده وحسنية نفسها طبعا فى هذا المعسكر وكلهم يريدون شيئا واحدا .. أن يهدموه ويسكتوه ويفعلون ما شاءوا مهما كان رأيه .

اما اخوته الأعزاء فبعد موت الوالد قسموا الميراث بينهم واختاروا الأنصبة لهم وظلموه وتركوا له القليل الذى انتهى قبل مرور العام ، ونعموا بما ورثوا ويكابرون ولا يعترفون بالحق ولم يسمعوا له رأيا ابدا فأصبح مقهورا منهم من يومها .

رئيسه وزملاء العمل منذ التحق بهذه الوظيفة يكيلون له الاعمال وينفذها كلها بكفاءة كاملة ، ثم آخر العام يحظون بالتقدير الممتاز والعلاوة وينسوه مرة بعد مرة رغم أخطائهم التى ينبه الرئيس اليها وقد ينبههم شخصيا ولكن بلا طائل ابدا . وهيهات أن يشكو فمصير أوراق الشكوى دائما ملف الحفظ فى درج الرئيس .

تكلم أحمد فودة كثيرا وانفعل أكثر واشتكى وهمومه تزداد كلما ناضل ويدفعه ذلك الى أن يفكر أين الخطأ . واكتشف أن السبب امتيازه عنهم جميعا فان تفكيره أعمق وأداؤه أفضل وأسرع وانه ايجابى تماما ودائما .. لذا فانهم كلهم يغتاظون منه ومن الحق .. اذن لن يتكلم أبدا ولن يبادر بفعل قبلهم . وعندما وصل الى هذا الاكتشاف استراح ونام .

فى اليوم التالى استيقظ وكله همة ونشاط أن ينفذ ما نوى عليه ووجد أن النتيجة الفورية فى منزله طيبة ولم تحدث مشاكل مع زوجته وأولاده وكذا عندما كان يقود سيارته فى الطريق اكتفى بأن يوجه اللوم للآخرين بصوت منخفض يتمتم به لنفسه ولكن عندما وصل الى مكتبه تزاحمت الموضوعات على لسانه وحركته يقيدها حتى لا يبادر بفعل شيء يندم عليه أو يشير حفيظتهم ضده .

كالومضة الخاطفة فكرة مثالية .. كراسة وقلم .. وكتب ما يريد أن يقوله ويريد أن يفعله واستراح .. وعندما نادى عليه

الرئيس وسأله عن موضوع فى العمل اكتفى بالابتسام والصمت وترك الرئيس يسأل ويجيب بدلا منه ثم صرفه الى مكتبه وهرع الى كراسته يكتب أنه استطاع الافلات من الرئيس ولم يرد عليه أبدا وأنه لاحظ أن ياقة قميصه متسخة بدرجة واضحة وأن رباط عنقه لونه لا يناسب البدلة التى يرتديها علاوة على أنه قليل الذوق فلم يشر اليه بالجلوس ، وكتب كل ذلك وتنهد ارتياحا ٠

كراسته وقلمه أخذها معه فى السيارة واحتفظ بأفكاره وشتائمه للآخرين الذين يضايقونه فى الطريق حتى وقف فى اشارة المرور وكتب ما أراد أن يقوله لسائق السيارة التى اقتربت منه فجأة وكادت تصدمه وتلقى به الى الرصيف المجاور فشتم السائق ولعن كل من حوله ومن علمه قيادة السيارات وأيضا ضابط المرور الذى أجاز له القيادة وأعطاه الرخصة واستمر يسب له كتابه حتى أفاق على أصوات آلات التنبيه تدفعه لكى يسير .

فى المنزل نفذ كل ما صمم أن يفعله واحتفظ بهدوئه وابتسامته وقفل فمه واستخدم كراسته يقول ما شاء فيها دون أن يزعج الآخرين برأيه وأفعاله وكانت مشكلته أين يكتب وأين يضع أوراقه ٠٠ فكان يختزن أفكاره حتى يكاد مخه أن يتورم فيلجأ للحمام يخفى كراسته فى صيحفة وقلمه ونظارته فى جيبه ويظل يكتب حتى يدقون الباب عليه مرة بعد مرة ٠٠ وكان فى بعض الأوقات يفرجها الله عليه بزيارة الست حمدية جارتهم التى تحتاج زوجته لتحل لها مشكلة أو تحكى بعض أمورها ويكون حظه أسعد عندما تأخذ زوجته عندها. وكان عندما تضيق فرصته يكتفى بكتابة نقط صغيرة على جانب الورق ليتذكرها فى اليوم التالى ليكتب على راحته ويسب كيفما شاء ليعرب عن رأيه فى صراحة متناهية .

اسابيع قليلة وأدمن فودة الكتابة وأحب كراسته جدا وأصبح ينمق خطه ويرتب افكاره ويفصل موضوعاته ويفرغ طاقته وغضبه ورأيــه فيمن حوله وفيما يحدث أيضــا ٠ ثم انزلق الى الأقارب والجيران والعلاقات السياسية الدولية وأدان عدوان بعض الدول وأيد الأخرى وأبدى وجهة نظره فى الأحداث الجارية على المستوى الداخلى أيضا ٠

المشــكلة الباقية كانت للآخرين وليست له فقد لمســوا تغيرا هائلا للأستاذ احمد فودة ، فبعد أن كان ثائرا عصبيا كثير الحركة والكلام أصبح هادئا يبتسم عندما يريد استقبال كلمات الآخرين ، ويبتسم مرة أخرى عندما يقدم ورقة أو شيئا ويبتسم بدلا من أن يعتذر ٠٠ وحاول زملاؤه اثارته كثيرا حتى يقلع عما هو فيه ولكن يبدو انه صمم أن يمشى المشوار الى نهايته فكان يقابل استفزازاتهم بالابتسامة ٠ اما زوجته فكانت حكايتها أكبر فقد صدمت فيما يفعله بهدوءه المفتعل داخل المنزل وسكوته ساعات طويلة يتجاهل فيها كل ما تقوله أو تفعله وايضا عندما تتحرش به ٠٠ فقط كان ينظر اليها ويبتسم وتشيط هى غضبا تحثه ان يتحرك بلا فائدة . فتشت جيوبه وقلبت مناديله وشمت رائحة ملابسه وفمه لعله يتعاطى اقراصا أو خمورا أو تكتشف حكاية سيدة أخرى يعيش فيها هــذه الأيام ولكن كان يكذب حدسها اخوتها عندما يزورونهم وكانوا يقولون لها ، احمدى الله على هذا الهدوء ، ويبادلهم الابتسام ، وربما كلمات قليلة بمعنى الابتسام ايضا ٠

الأستاذ عبد السلام جارهم ٠٠ الباب فى الباب من عشرين سنة ٠٠ يثق بالأستاذ أحمد فودة وفى رجاحة عقلــه وتفكيره ، وعندما اشتعلت المعركة مع زوجته الست حمدية لجأ على الفور لجاره العزيز وجره من يده الى صالون شقته وأجلسه بينه وبين

زوجته ·· هدوء الأستاذ فودة امتص طاقة غضب حمدية هانم واصبحت بعد دقائق طبيعية ترى المشكلة بحجمها الطبيعى واستطاعت أن تسمع كلمات زوجها وهو يطيب خاطرها ويعتذر عن سوء الفهم · وهدأت تماما وابتسمت وتحركت الى الثلاجة تحضر مشروبا باردا للجار العزيز الذى حافظ على بيتها من الشقاق والخناق وقدم له الأستاذ عبد السلام سيجارة بعد أخرى امتنانا للمجهود الذى بذله فابتسم احمد فودة أيضا وانصرف الى شقته ·

تضخمت كراسة الأستاذ فودة وامتلأت صفحاتها بالتواريخ والحوادث والأهم من ذلك أفكاره وآرائه فى الأحداث والأشياء والناس وعشق أحمد فودة كلماته لنفسه ورأى أنها شيئا عظيما بجميع المقاييس فلو أنها وقعت فى يد أحدهم فان كل شيء سوف ينقلب راسا على عقب فاصبح يحافظ عليها قدر المستطاع يخفيها دائما عن العيون ·· وبعد شهر أصبح لديه كراسات بدلا من واحدة واصبح اكثر صراحة فى توجيه الاتهامات وتوضيح آرائه عن الآخرين ·

يوما كان عصبيا للغاية ·· يوم ترك كراسته فوق مكتبه عندما غطتها الأوراق ، نسى أنها خارج الأدراج واضطر أن يترك مكتبه لحظات يقضيها فى الحمام وعندما عاد كانت كأنما الأرض كلها اشتعلت نارا ·

أحد الزملاء أخذ بعض الدفاتر والأوراق من فوق مكتبه وظهرت كراسة أحمد فودة ولما دخل السيد المدير لم يجد سوى مكتب فودة يضع يده فوقه واستمر يلقى بالأوامر والملاحظات عندما صدمت عيناه كراسة الأستاذ فودة فالتقطها وقلب أوراقها ورأى اسمه مكتوبا بكثرة فى صفحاتها وتحت اسمه كل مرة خط عريض

بالقلم · وكانت جملة واحدة تكفى لأن يلف الكراسة فى يده وينطلق الى مكتبه ليكمل قراءتها هناك ، والنماوون والواشون نقلوا النظرات والانطباعات والكلمات للأستاذ فودة عندما عاد من الحمام ·

جلس الأستاذ أحمد فودة ينتفض من الغضب والخوف مما سوف يحدث وحاول أن يستجمع شجاعته ليجابه موقف مقابلة الرئيس بعد أن قرأ آرائه فيه بصراحة كرئيس وزميل وانسان وكلها لا يمكن أن ترضى أحد ·· ان الرئيس كان يرفض مجرد الحوار والآن يحاوره على الورق ولابد أن يكون قويا فى مواجهته ويعلن أن هذا رأيه وقد كتبه وانه هو الفضولى ·· مد يده لأوراقه الخاصة دون اذن لذا فهو يستحق المهانة التى يحسها الآن ·· المعانى والألفاظ يترجمها كلمات يرتبها ليلقى بها فى وجه الرئيس عندما ينادونه وتتوه منه الكلمات فاخرج ورقة وقلما يسجل ما يحاول أن يقوله فى المقابلة ·

عندما دقت الساعة الثانية بعد الظهر ·· كان شيئا لم يكن ولم يستدعه الرئيس وانصرف الموظفون ووقعوا فى دفتر الانصراف ما عدا هو حتى فرغت الحجرات وهدأت الأصوات وقام يتلمس الموجودين ولم ير أحدا فانصرف يتأبط وريقاته الجديدة التى سجل فيها بعض السطور عند عودته الى المنزل ·

فى المساء دق جرس الباب فى شقة الأستاذ أحمد فودة وحدث الهرج والمرج ان رئيس المصلحة نفسه بالباب وزوجته وابنته ركبهم الارتباك فتركهم يرتبكون كيفما شاءوا ولبس ملابسه ودخل الحمام وكتب سطورا ثم حلق ذقنه وساوى شعره وخرج يستقبل الضيف بعد ربع ساعة كاملة قضاها رئيس المصلحة جالسا وحده فى صالون المنزل رأته زوجته وشهقت ودفعت به دفعا للدخول

فابتسم فودة ودخل ·· عندما رأى السيد رئيس المصلحة الأستاذ فودة أمامه قام واقفا يصافحه مرحبا به وانقلبت الصورة ·· أصبح السيد الرئيس هو الذى يسعى لرضاء أحمد فودة عنه بعد أن قرأ ما كتب وسلم بأنه رجل داهية لا تفوته شاردة و لاواردة وأحصى كل الأخطاء وسجلها وأن هذه الكراسة أو رأس أحمد فودة تحوى معلومات تكفى للاطاحة به هو ومعه حفنة أخـــرى من موظفى المصلحة بعيدا حتى قرة ميدان ·

اشترط الأستاذ فودة شرطا واحدا قبل أن يجلس صامتا ·· مد يده مفرودة تطلب الكراسة وابتسم ·· تململ الرئيس فابتسم الأستاذ فودة ثانية ·· ولم يجد الرئيس بدا فأعطاها له فابتســم الأستاذ أحمد فودة وأخذها وقلبها بعناية واطمأن وجلس يستمع الى الرئيس ووجد أن كل كلماته لا تخرج أبدا عن أن كل انسـان حر فى رأيه طالما أنه لا يضر الآخرين وأن الأستاذ فودة أصيل ولا يريد ضررا لأحــد · وأكــد رئيس المصلحة أن الزملاء كلهــم يحبونه ويحترمونه ويقدرونه رغــم آرائه فى كل الناس وحاول كثيرا أن يحصل على وعد من الأستاذ فودة بألا يذيع محتويات الكراسة على أحد من الموظفين ورغم أن فودة لم يكن ينوى ذلك الا أن الرئيس كان على حق فى تخوفه وعنــدما الــح انه قد قرأ كل محتويات الكراسة وأن فيها أشياء أخرى تخص زوجة الأستاذ أحمد فان ذلك لم يؤثر كثــيرا فى تعبيرات وجه أحمد فودة الذى قابل الكلمــات بالابتسام ونظر فى الساعة حتى ينصرف الرئيس ويتركه فى حاله ولم ينصرف الا بعد أن طمأن نفسه بأن الأستاذ أحمد لن يذيع شيئا للزملاء فى الصباح ·

الست حسنية زوجة فودة حاولت أن تتســـــمع ما يحدث ولم تستطع الا أن تلتقط سوى كلمات لا معنى لها وحاولت استدراج

فودة للحديث لكنه بعد أن أخفى كراسته ابتسم فى هدوء وابتعد الى الشرفة يدخن سيجارته ويسلى نفسه بمراقبة الطريق ، ولم يشف نهمها الفضول واستمرت تبحث أياما وليالى فى سر هذه الزيارة التى لا يمكن أن تكون للود واتصال الأصدقاء أبدا ٠

الى العريش سافر الأستاذ أحمد فودة لأول مرة منذ تعين فى وزارة التموين مأمورية لأسبوع كامل ٠٠ فرح بالمأمورية فانه سوف يستريح من ضجيج القاهرة وزحمة الأوراق والمواعيد وسخافات الرئيس والزملاء وسوف يستريح أكثر من حسنية زوجته ودوشة الأولاد ٠٠ واهتم كثيرا بما تحويه شنطته ٠٠ وطبعا كان أول ما فيها كراسته الصديقة أخذها ولابد أن يضيف جديدا فانه سوف يحظى بوقت طويل ٠٠ أسبوع كامل يقضيه مع نفسه ليعرف أين يقف الآن وأين الآخرون منه ٠

الست حسنية أرسلت لها السماء فرصة ذهبية لتقلب بيتها رأسا على عقب لتبحث عن أوراق زوجها التى لمحته مرات كثيرة يكتب فيها ويخفيها ولابد أن بها سرا خطيرا يحافظ عليه بهذه الطريقة ٠٠ ولم تهدأ الا عندما عثرت على الكنز ٠٠ ظنت أنها هدأت عندما وجدته بموضعته جانبا وأعادت كل شىء الى مكانه وتفرغت لتقرأ وليتها ما فعلت ، صدمت فسالت دموعها وانقلبت الدموع الى نهنهة ثم جفت دموعها وحلقها وهى تقرأ ٠٠ ان ما كتبه أحمد فودة فى بضع صفحات يجعلها تتمنى أنها لو تمكنت أن تمسك به الآن لتضعه فى ماكينة تقطيع البسطرمة وتديرها بكل البطء لتراه شرائح أمام عينيها .. غاظها ما تقرأه بعد أن صعبت عليها نفسها وندمت أنها بكت وندمت أكثر لأنها لم تفعل ذلك منذ وقت طويل ٠

وجدت حسنية أنه يراها كئيبة متسلطة انانية بخيلة غير نظيفة فى أعمالها ويعيب عليها سمنتها وكيف أنه يراها كالفيل

الضخم ويرى شعرها كأنه سلك منتشر يصيب العيون ويعجب أنه لماذا لم يخرق عينها نفسها حتى الآن ٠٠ ووجدته يلاحظ كل شيء بدقة بالغة ٠٠ كل يوم يرى ويعرف أنها لم تنظف المنزل أو لم تغير المفروشات للسراير والصالون وأنها لم تعتنى عندما زاره أهلـه وهو مريض ويعرف أيضا أنها تجنب بعض الجنيهات من مصروف البيت حتى اشترت الأسورة والسلسلة والحلق الذهب ، واكتشفت أنه لا يعجبه طعامها وأنه يبتلعه مضطرا دائما ويعرف أنها معجبة بزوج السيدة نبيلـة جارتهم فى الدور الثانى ويعـرف أيضا أن جارهم بالدور العلوى يراقبها منذ وقت طويل وأنها لا تمـانع أن يراها بل تتيح له الفرصة مرة بعد أخرى لكى تحس تأثيرها عليه ويعجبها ذلك ٠٠ وصدمت أكثر أنه يعرف مقابلتها لأحـد زمـلاء الدراسة من أربعة أعوام وأنها كادت تبدأ معه قصة حب لولا أن هذا الصديق توقف ٠٠ ان أحمد فودة يحس ويرى ويسجل كل شيء ولا يتكلم أبدا ٠٠ لقد عراها تماما ويعرفها على حقيقتها ٠ ورأت نفسها بشعة عندما وصلت الى هذا الفهم وأيضا وجدت أنه لا يقل عنها بشاعة واحتارت ولم تنم من الفكر وشدة الغيظ ٠

السيد رئيس المصلحة أيضا لم يكن يدع الموقف يمر فبعد أن قرأ ما كتبه احمد فودة فكر كثيرا حتى أرسله مأمورية طويلة ظاهرها للمكافأة والراحة وبدل السفر وفى الحقيقة أنه رتب نقله لادارة اخـــرى بعيدة تماما حتى لا تؤثر كلمات أحمد فودة عليه ولا معلوماته التى تعب كثيرا فى ملاحظتهـا وتجميعها وتدوينها ونجح فى نقله الى غير عودة وليذهب أحمد فودة بعـد ذلك الى الجحيم وعندما يعود من العريش لن يجد بدا الا أن ينفـذ النقـل ويستريح السيد الرئيس ٠

السيدة حسنية فى الصباح لم تحـدد ماذا سـتفعل بعد أن شتت تفكيرها ما قرأته وأكمل السهر على باقى تركيزها فأصبحت كالمصابة بالدوار لا تطيق أن تفعل شيئا أو تسمع كلمة وصرفت أولادها الى مدارسهم وجلست تحاور نفسها وأفكارها وتقلب مرات فى الأوراق لتسقط من عينيها دمعات سرعان ما تمسحها وتتجهم ثانية ٠

الأستاذ أحمد فودة وحيد فى العريش .. هناك كتب كثيرا عن نفسه وحياته ونظرته الى كل من حوله واكتشف أن زوجته ليست بهذا السوء الذى يظنه ، صحيح كل ما كتبه عنها ولكن وجد انه قد تحامل عليها فى بعض المرات ، وارجع ذلك الى بعدها عنه هذه الأيام ٠ ومرت أيامه هادئة حتى انتهت مأموريته بعد أن أدمن الصمت والابتسام ٠

عندما عاد الأستاذ فودة كان حظه من السـماء ، فقد كان منتصف الليل وحسنية والأولاد نائمين ولم يشأ أن يوقظهم الا أن حسنية أحست به وهو ينزلق الى جوارها فتمتمت ببعض الكلمات واستدارت تكمل نومها ٠

فى الصباح لم تكن هناك فرصة لدى حسنية لتواجه أحمد فودة بالموقف فانتظرت عودته بينما نشط هو وارتدى ملابسه وأخذ أوراقه وتوجه الى المصلحة ليقدم تقرير المأمورية الى الرئيس الذى ابتسم هذه المرة عندما تسلم التقرير من أحمد فودة ، ومد يده فى درج مجاور وأعطاه أمر النقل ٠

قرأ أحمد فودة أمر النقل وابتسم ، وظـل جالسا يفكـر فى الموقف الجديد ولم يسعفه ذكاؤه هذه المرة ، وظل جالسا مذهولا

يبتسم حتى تجمع عليه الزملاء مع الرئيس يحاولون الحوار معه لافهامه انه لابد أن ينفذ النقل طالما أن الوزارة قد اعتمدت حركة التنقلات ثم عليه بعد ذلك أن يلتمس الغاء النقل • وكأنما هو لا يريد أن يسمع أو أن يفهم ، وانفضوا من حوله متعجبين وتركوه •• أحمد فودة راح لمكتبه وظل يكتب فى كراسته حتى حان موعد الانصراف •

عندما وصل فودة الى المنزل وجد هناك مفاجأة اكبر .. وجد مجلس ادارة عائلة حسنية بكامل هيئتها •• عقدوا المحكمة وجلسوا ينتظرونه ، وعندما دخل وجدهم كأنهم على رؤوسهم الطير ، عندما رأوه صمتوا جميعا وعيونهم ثابتة عليه ، عبر أمامهم ودخل حجرته وغير ملابسه وخرج اليهم والابتسامة لا تزال معلقة فوق شفتيه وجلس •

تكلم رئيس المحكمة ، والد زوجته ، وقال كلاما كثيرا ، ثم أخرج كراسات أحمد فودة من خلف ظهره ، كان يخبئها ليجعلها مستندا لادانته فى أعماله وتفكيره واحساساته وبدأ يهاجمه .. عندها قفز أحمد فودة واختطف الكراسات فجأة من يد الرجل وعاد الى كرسيه يضمها الى صدره فى حرص شديد وانقلبت ابتسامته الى قهقهة عالية مستمرة حتى أحرجهم جميعا فابتسموا ثم انتقلت عدوى الضحك الى اخوة حسنية فنهرهم الوالد رغم ابتسامته المتسائلة عما يضحك أحمد هكذا •• عندما سكت أحمد فودة وجم قليلا وسرحت نظرته غير أن ابتسامته وجدت طريقها مرة أخرى الى وجهه واستراحت ملامحه بعد أن حصل على أوراقه .

لم ينجح أحد من عائلة زوجة الأستاذ أحمد فودة أن يبدأ معه أى حوار ، وذلك دفع والد زوجته أن يقترح عرضه على

طبيب فانه يراه غير طبيعى ، الا أن حسنية لم تهدأ ولم تقنعها هذه الابتسامة ولا اقتراح والدها وصممت اما أن تنهى المشكلة فورا ويعتذر أحمد أو تنقله الى مستشفى العباسية فى الحال ·· وبالطبع لم ينطق أحمد فودة ·

أخذوه معهم واركبوه السيارة ساهما شاردا تؤنسه ابتسامته وكراساته يضعها فوق صدره حتى وصلوا المستشفى ، وجلس أحمد فودة فى البهو الطويل ينظر الى كل شىء ويتفحصه مبتسما ·

الطبيب سمعهم وفهم كل شىء واقترب منه وربت على كتفه مشجعا ، وسأله·· اسمك ايه يا أحمد ؟ ·· استدار أحمد فودة الى الطبيب وابتسم ·

● ديـك الأسـتاذ حسـن

تقاعد الأستاذ حسن على المعاش منذ ثلاث سنوات وكان قبل ذلك يشغل وظيفة محترمة فى شركة بترول يقضى معظم شـهور السنة فى مواقع العمل ويعود للقاهرة فى الأجازات . الأسـتاذ حسن كان شعلة نشاط لا تهدأ ، محبوبا من الرؤساء والزملاء ولم يكن يستغنون عنه أبدا فى العمل لذا كان يتواجد فى بيته قليلا حتى مرت السنوات ووصل للمعاش · اضطر الأستاذ حسـن أن يحاول الالتحاق بأى عمل يشغل به فراغه لكن سنه كانت عائقا ، ولم يكن فى مقدوره أن يبدأ مشروعا خاصا به وهو فى هذا العمر وبعد أن كبر الأولاد وأخذ كل منهم طريقه ، فابنه الأكبر تزوج والثانى ما زال بالجامعة والابنـة الصغرى طالبـة فى كليـة طب الأسنان ·

وجنات زوجة الأستاذ حسن ، فى غيابه كل هذه السنوات كانت الأم والأب للأولاد وحافظت على بيتها وأولادها حتى وصلوا

الى هذه المرحلة ، الأولاد يهابونها ويعملون لها كل الحساب فهى الآمر الناهى فى البيت ٠٠ يطلبون منهـا ما يريدون ٠٠ والاذن والسماح من عندها ٠٠ أما الأستاذ حسن فكان فقط للحنان والنزهة والكلمات الرقيقة ٠

الجميع مشغول بحاله . الابن الأكبر يقيم بعيدا ويأتى للزيارة مرة أو اثنين كل شهر ، والأصغر نهاره بالكلية ويقيم فى غرفته باقى يومه بين كتبه وشرائط الأغانى ، أما الابنة الصغرى لم تعد كذلك فهى أيضا كبرت ووصلت للسنة الثالثة بالكلية تغلق بابهـا عليها فور عودتها وتفعل ما تعودته طوال عمرها ، تنام وتذاكر وتسمع شرائط الموسيقى ويحتل التليفزيون مكانا هاما عندها ، ثم يجتمعون جميعا حول مائدة العشاء كل يوم فى العاشرة مساء ، يتناولون طعامهم وتعليمات الأم التى تجهزها طول اليوم تلقيهـا اليهم بانتظام ويهزون رؤوسهم فى فهم وطاعة ٠

وجنات هانم « دينامو » هذا المنزل تقوم بالعمل كله وحدها ، تشترى الاحتياجات وتجهز الطعـام وترتب المنزل فى نظـام دقيق وتظل تدور حتى تتأكد أن كل شىء على ما يرام ثم تدخل غرفتهـا لتنام وتكون جاهزة فى اليوم التالى ٠

تليفزيون الأستاذ حسن مفتوح من بدء الارسال حتى نهايته ، يظل جالسا على كرســيه أمامه ونظارته الى جواره يبدلها عندما يقرأ الجريدة أو عندما يحتاج الى تغيير القنوات التى يتابع منها أخبار العالم كله علاوة على باقى أجهزة الاعلام من صحافة واذاعة ثم يتحرك بعض الوقت يدور وينظر فى الغرف الخالية صباحا ، وربما توقف ليداعب أحد أولاده فى المساء بكلمات قصيرة ثم يمضى فى اتجاه كرسى التليفزيون وربما بادل وجنات المشغولة دائما بعض الكلمات ٠

قد يتاح الحديث للأستاذ حسن عندما يذهب الى البنك أول الشهر ليستلم معاشه ويقابل بعض الزملاء أو عندما تكون هنـاك قضية ساخنة أعلن عنها التليفزيون فانه يقوم بدور الراوى ليحكى ما حدث للزملاء أو ما وضحه التليفزيون ، وقد يشرح وجهة نظره للسيدة وجنات فتجيبه بلا اهتمام فقد تعودت سـنوات طويلة ألا تحادث أحدا لا ليلا ولا نهارا وبدون أن تسبب المشاكل فان الحديث ينبتر بسرعة ويعود الأستاذ حسن الى كرسى التليفزيون ٠

الأستاذ حسن طوال عمره يحب أن يأكل الدجاج مسلوقا أو محمرا وبجميع طرق الطهى ، ووجنات تطبخ ما يحبه حسن بجودة فائقة وتكاد تؤكد للجميع أن الأستاذ حسن هو أحسن ذواقة للحم الدجاج ٠٠ لذا فقد تعودت أن تشترى الدجاج حيا وتذبحه بمعرفتها بالمنزل ، ولا تتذوق أبدا لحم الدجاج المجمد . هذه المرة اشترت وجنات ثلاث دجاجات وديك واحد وعندما بدأت تسـن السـكين جرحت اصبعها وصرخت تتأوه من الألم ٠٠ الأستاذ حسن لحق بها وأسعف الاصبع الجريحة وتناول السكين يكمل المهمة حتى تكون وجبة الغداء جاهزة فى موعدها ٠٠ وبدأ يذبح الدجاجات ٠

عندما حل الدور على الديك فى الذبح وقف الأستاذ حسـن برهة يجفف يده فى المنشفة ونظر الى الديك يحدد كيف سيمد يده فى القفص الصغير ليمسـك به ٠٠ شىء غريب أحس به الأستاذ حسن .. لقد وجد الديك ينظر اليه نظرة مختلفة عن كل نظرات الدجاج والديكة التى يعرفها ٠٠ كانت نظرة الديك مختلفة والأستاذ حسن لم يفهم النظرة وان حار فى معناها ، ووجد نفسه يقيم حجم الديك عندما يكون محمرا فى الطبق فوجده هزيلا بالمقارنة الى حجم الدجاجات التى ذبحها الآن فقرر أن يؤجل ذبح الديك الى وقت

آخر ·· اعترضت وجنات على وجود الديك الحى بالشقة وقالت انه سوف يسبب لها متاعب فى النظافة ، فتعهد الأستاذ حسن بالقيام باللازم نحو تجهيز مكان له فى الشرفة ونظافة المكان وتقديم الأكل ولن يتعدى ذلك بضعة أيام يكون قد سمن الديك فيها ، ووافقت وجنات على مضض ·

الساعة كانت لا تزال الثانية عشر ظهرا ، وانهمك الأستاذ حسن فى تجهيز مكان الديك ، وصعد الى سطح المنزل وأحضر بعض الخشب والكرتون والأقفاص وأنشأ حظيرة صغيرة فى ركن الشرفة وزودها بوعاء لطعام الديك وآخر للماء وأخرج الديك من القفص الصغير ووضعه فى مكانه ·· قفز الديك الى بيته الجديد وارتعش ينطر ريشه والمه مرة أخرى ، وتمالك وقفته ونظر النظرة اياها للأستاذ حسن ثم صاح الديك فرحا بالحرية التى نالها بعد الحبس وامتنانا للأستاذ حسن أنه أعفاه من الذبح اليوم ·· الأستاذ حسن اختار كرسيا خفيفا ينطوى ووضعه أمام بيت الديك ليراقبه ، ثم قام مرة أخرى وأحضر نظارته ليراه جيدا وجلس يرقب الديك عندما ينقر طعامه ويتحول ناظرا اليه من حين لآخر ، وارتاحت ملامح الأستاذ حسن وارتسمت ابتسامته ولم يلاحظ أن وجنات قد أغلقت التليفزيون منذ بدأ فى اعـــداد بيت الديك ، وعندما نادت عليه ليتناول طعام الغداء كان يتحدث عن الديك ومنزله الجديد وكيف أنه استمتع جيدا بهذا العمل ، وخص الديك بوقت طويل يتحدث فيه عن جماله وتناسق جســمه وألوان ريشه الجميل ، وطبعــا حدث وجنات عن النظرات التى يتبادلها الديك معه فابتســمت وجمعت الأطباق وقامت الى المطبخ ·

مد الأستاذ حسن يده بالحبوب الى الديك الذى نقرها بهدوء يلتقط الحبات وكانت نقراته تدغدغ يده وكلما فرغت وضع فيهــا

حيات جديدة ·· الأستاذ حسن أنس الديك الذى رضى جدا عن علاقته الجديدة ، ومرة بعد الأخرى قفز الديك ووقف فوق كفه ونظر اليه وقفز الى الأرض ثانية وخفض الأستاذ حسن يده فقفز اليهـا الديك وقف برهة ثم نط الى الأرض .. هنا كانت بداية اللعبة .

استغرق الديك جانبا كبيرا من اهتمام الأستاذ حسن صباحا وبعد الظهر فتنازل عن أشياء كثيرة منها برامج التليفزيون ونوم الظهيرة ، ثم بدأ ينصرف عن المجلات واهتماماته الصغيرة يقضى وقته مع الديك ، يطعمه ويلاطفه ويدربه ! قرر حسـن أن يدرب الديك فلديه متسع من الوقت فهو يراه أذكى الديوك التى عرفها على الاطلاق ·· عندئذ كان كل الوقت المتاح للأستاذ حسن قد خصصه لاستئناس الديك وسماه كوكو ·· تعال يا كوكو ·· نط يا كوكو ·· انزل يا كوكو .. ثم أصبح الديك يطيع الأستاذ حسن بلا أى مناقشة ولا تعب ولا حوار ، ومكافأة له على حسن أدائه اشترى الأستاذ حسن من العلاف المجاور الحبوب من كل نوع يقدمها لكوكو عقب التدريب الشاق المستمر

وجنات هانم تسمع صوت الأستاذ حسن يتكلم وينادى الديك ويأمره وفى بعض الأوقات يلومه برقة أنه لم يفهم الكلمات كما يجب وأن المرة القادمة يجب عليه أن يسمع جيدا ولا تتدخل وجنات ·· وعندما كان يحكى لها كانت تبتسم ، كما سـمحت له أن يدخـل المطبخ ليعد طبقا شـهيا من الخضروات والطماطم والخبز قطعا صغيرة يقدمها لكوكو الذى يلتقطها ممتنا .. وعندما مرت الأيام بكوكو كان حسن قد استطاع أن يطلب منه أن يقفز الى يده اليمنى أو اليسرى حسب ما يطلب منه ثم يرغمه قليلا لينتقل الى كتفه أو رأسه أو يسير وراءه فى هدوء أو يجرى اليه عندما يناديه .

أولاد الأستاذ حسن كانوا يتابعون التجربة باسمين ويتسلون بما يحدث ثم يتركون أباهم يفعل ما يريد ويندهشون عندما يقدم لهم كوكو عرضـا جديدا ٠٠ الأسـتاذ حسـن عاش التجربة بكل احساساته وفكره واستغرق فيها يوما بعد يوم حتى أحرز نجاحا باهرا فى تدريب كوكو الذى وصل الى درجة عالية من المهارة حتى أنه كان يلبى نداءات الجميع .. المشكلة أن كوكو ارتبط بحسن جدا وأحبه حبا يفوق التصور فكان لا يطيق أن يتركه لحظة ويتتبعه دائما ، وكان حسن يتملص منه أولا ثم اعتاد أن يكون كوكو الى جواره يشاهد التليفزيون أو يسمع الموسيقى أو حتى عندما يطالع الصحيفة . تطورت حالة كوكو الى انه اختار « الكومودينو » الى جوار سرير الأستاذ حسن فى غرفة النوم ليكون مقرا له كلما دخل حسن الى هذه الغرفة ، ودعاه ذلك لأن يفكر فى الطريقة التى يجعل بها كوكو يصيح فى الوقت الذى يحدده له وبذلك يستغنى عن المنبه ، ولكن العقبة هنا هى وجنات فلم ترض على الاطـلاق أن يشاركها كوكو غرفة نومها ، وبذلك استطاع الأستاذ حسن أن ينام فوق الكنبة فى الصالة عدة ليالى حتى يدرب كوكو على أن يصبح فى الوقت الذى يضبطه عليه ٠٠ورغم أن كوكو لم ينجـح الا أن حسن حاول مرات عديدة بجدية ثم ترك فكرة استبدال المنبه بكوكو ٠

يوما قالت بهيرة ، ابنة الأستاذ حسن ، أن الدكتور أشـرف المعيد بالكلية سوف يزورهم الليلة ، خفق قلب وجنات الأم وأحست بالفرحة رغم أنها كانت تعلم أنه سيأتى يوما ليخطب بهيرة ، وكان ذلك سرهما معا لا يعلمه الأب ٠٠ أما الآن فيجب أن يكون الجميع جاهزين لاسـتقباله ، ورفعت حالة الاستعداد بالمنزل وانهمك الكل فى أداء الأعمال حتى يكونوا فى الشكل الذى يحبون أن يراهم فيه الدكتور أشرف وأسرته عندما يحضرون ٠

فى المساء حضر الدكتور أشرف وأسرته ، وقابلهم اخو بهيرة وأجلسهم فى الصالون وحضر الأستاذ حسن ثم وجنات هانم وبعدها الأخ الأصغر وقدمت بهيرة الشراب للضيوف وبذلك اكتملت الجلسة ، وبدأوا يتناولون الموضوعات للتعارف ويبتسمون ويحكون المقدمات قبل أن يبدأ حديثهم حول خطوبة بهيرة للدكتور أشرف ·· دق جرس التليفون وقامت وجنات لترد وعادت تنادى الأستاذ حسن أن المكالمة له ، وانهمك الجميع فى الحديث وكانت فرصة أن يبادل الدكتور أشرف والديه النظرات ذات المعانى ، واستراح عندما فهم أن بهيرة قد حازت اعجابهم وأنه قد آن الأوان لبدء الحديث عندما يحضر الأستاذ حسن ·

عاد الأستاذ حسن بعد أن أنهى المكالمة مبتسما يرحب بضيوفه الا أن أنظارهم انصرفت عنه الى أسفل ناحية باب الغرفة ·· كوكو وصل ·· هذا الديك الشقى الذى انتهز الفرصة بعد أن فتح الهواء باب الشرفة فدخل وتتبع الأستاذ حسن الى الصالون وسار خلفه حتى جلس ، ثم وقف كوكو ينظر الى الجميع ثم الى الأستاذ حسن وثنى ساقيه ونط ليقف فوق ركبته ثم فوق يد الكرسى الذى يجلس عليه ثم ثنى ساقيه ثانية تحته وجلس يرقب الموجودين بينما ساد الصمت عليهم جميعا واصفر وجه وجنات هانم وخفق قلب بهيرة بينما قام الولدان وانصرفا الى الداخل وتركوا مشكلة كوكو لوالدهم ليحلها بمعرفته ، ثم وقفت وجنات تتشاغل وتضع الأكواب فى صينية ناولتها الى بهيرة لتدخلها الى المطبخ وتظاهرت بمساعدتها وسارت الى جوارها ·· وهكذا أصبح الصالون يضم الدكتور أشرف وعائلته مع الأستاذ حسن وكوكو ونظرات العجب تدور حول كوكو جالسا مستقرا فوق يد كرسى الأستاذ حسن الذى بدأ يحس الحرج من الموقف فتبسم وانزلق يحكى قصة كوكو وهم بين مصدق ومكذب ، وبعد أن حكى ، كان له أن يؤكد صدق حديثه بأن يبدأ

استعراض كوكو . وهكذا وقف حسن ينادى كوكو ويربت عليه ويطعمه وكوكو كاليمام يقفز من يد الى يد وفوق الكتف والرأس ويسير متباطئا أو سريعا أو يجلس ·· هكذا قدم استعراضا فريدا فى مناسبة هامـة وأحيا الحفل ·· وكان لابد للدكتـور أشرف ووالديه أن يتابعوا باهتمام ما يقدمه الأستاذ حسن اليهم متبادلين نظرات الاعجاب أو العجب أو الانكار بين لحظة وأخرى ·· والدة الدكتور أشرف لم تهتم كثيرا بما يحدث بل كانت تقيم تصـرفات الأستاذ حسـن نفسه الذى بدا فى عينيها كالحاوى يوم السـوق يجذب الأنظار ·

والد الدكتور أشرف كان يتابع باهتمام وتشـوق ، وعندما انتهى الأستاذ حسن من الاستعراض الذى يقدمه قفز الديك من فوق يد الكرسى الى الكرسى المجاور .. لقد اختار كرسى والد الدكتور أشرف شخصيا الذى ابتسم لأن كوكو شرفه بالتقرب اليه ، ويبدو أن ابتسامته شجعت كوكو أن يتمادى فقفز الى ركبته ينقر أصابع يده فى خفة واتسعت ابتسامة والد الدكتور أشرف ولكن لم يلبث أن قام واقفا بسرعة عندما فعلها الديك فوق « بنطلونه » .

الأستاذ حسن ارتبك بين «البنطلون» والديك ومناديل الورق ، يزيل آثار كوكو ، وكلماته تتناثر بالاعتذارات عن شقاوة الديك ، وأمره بالانصراف الى حظيرته بالشرفة ومشى يتبعـه الديك وعاد بعد أن أغلق عليه الباب جيدا ليحكى كيف أن كوكو يتابع برامج التليفزيون ويطرب للموسيقى ويتناول طعامه من يده وحده ، ثم صمت الأستاذ حسن .. وحاول أن يعيد الموضوعات التى كانوا يتحدثون عنها قبل وصـــول كوكو فتجاوبوا معه قليلا ، وعندما وصلت السيدة وجنات وبهيرة تحمل القهوة كان ذلك ايذانا بقفل

سيرة كوكو نهائيا فى هذه الجلسة التى انتهت مع نهاية فناجين القهوة ، وتناولوها شاكرين وانصرفوا باسمين .

السيدة وجنات لم يفتها أن الدكتور أشرف لم يصرح برغبته فى خطوبة بهيرة ، كما أن أمه لم تلمح بذلك رغم أنها رأت فى عينيها الرضا وتشير بالموافقة لابنها . ربما أجلوا المفاتحة لزيارة تالية ، وربما كان دخول كوكو فى هذه الزيارة غير مناسب ، وربما كان الاستعراض الذى قدمه الأستاذ حسن لا يليق أن يقدمه أمامهم فى هذه المناسبة . هل سيحضرون مرة أخرى ؟ كان السؤال يدور فى عقلها عندما فاجأتها بهيرة بسؤالها ، لماذا لم يفاتحوا أبى ؟ سكتت وجنات ولم تجب وانصرفت بينما الأستاذ حسن كان منهمكا فى حديث طويل مع كوكو وحدهما فى الشرفة يؤدبه ويعلمه أنه ليس من اللائق أن يدخل الصالون وفيه أغراب ·

اليوم التالى وافق أول الشهر ، فخرج الأستاذ حسن ليستلم معاشه من البنك ويقابل الزملاء ، وعاد فى موعد الغداء وقدمت له وجنات طبق الملوخية بينما كان كوكو يتربع الصحن الكبير فى منتصف المائدة وحوله قطع البطاطس المحمرة ·· وبعد أن تناول الأستاذ حسن طعامه صرح بأن وجنات هذه المرة قد أجادت طبخ الملوخية وأن الدجاجة كانت ممتازة وطعمها ألذ بكثير من المرات السابقة . ابتسمت وجنات ثم ابتسمت مرة أخرى عندما دخل الأستاذ حسن الى الشرفة ينادى كوكو ·

تساءلت أنا .. هل كانت وجنات قاسية الى هذا الحد .

• بـــارم ديـــله

كان بكر من شدة الفرح والانفعال يغمره لا يكاد يستطيع أن يضع المفك فى شق رأس المسمار ويدور به فى عكس اتجاه عقرب الساعة يفكه ليغير كالون باب شقته ، وعنـدما أتم تغييره جرب المفتاح من الداخل والخارج ووجد أنه يعمل بكفاءة وأن نظيرة عندما ستعود مع الأولاد من الخارج فانها لن تستطيع الدخول الى الأبد ٠ جلس يلتقط الأنفاس مبهورا ببطولته فقد خطط لهذا اليوم من زمن طويل وآن له أن ينفذ ٠ استجمع قواه مرة أخرى وجرب المفتـاح وتورمت سعادته جدا ، وجلس ثانية ليعيـد ترتيب موقف عودتها ولابد أن يسير كما خطط ليتخلص من نظيره نهـائيا ولتذهب الى الجحيم بعد ذلك فطالما أذاقته الأمرين ليلا ونهارا ٠

يمر الوقت ببطء مميت ويوتره ذلك ، أعاد التفكـــير ، أن يضع الكالون القديم مرة أخرى ويا دار ما دخلك شر ولينتظر فرصة أخرى ٠ وقبل أن تتمكن منه الفكرة الطائشة سمع محاولات فتح الباب بالمفتاح القديم ثم لحظات ودق الجرس ثم دقات وخبطـات

قوية على الباب يكاد يتكسر منها الخشب ·· نظر من ثقب الباب ووجدها تقف حائرة وسط الأولاد والقلق يبدو عليها ، وزادت الدقات والرنات ثم توقفت وسمع صوت جرس باب جاره يرن لتدخل عندهم نظيرة وأولادها ، يعرف أنها سوف تجرى مكالمة لأخيها ضابط الشرطة .. صحيح أنه رتبة كبيرة جدا الا أنه على المعاش منذ أكثر من عشر سنوات ·

أطفأ بكر أنوار الشقة كلها وجلس يدخن فى انتظار الحلقة التالية ·· وعندما مر نصف الساعة سمع خطوات السلطة تصعد درج السلم ويدق جرس باب الجيران وهمهمات كثيرة ، ثم استطاع أن يميز صوت نظيرة ووائل ابنه وهاشم أخوها ، ثم رنات جرس بابه ودقات بالأيدى والأرجل فى محاولة لكسر الباب ثم أصوات جيرانه تحتشد على السلم ·

استجمع بكر قواه وفتح الباب وخرج دون أن ينظر اليهم ، وأغلق الباب خلفه وادار المفتاح فيه مرتين ثم صعد السلم الى أعلى سبع درجات ، بيسمعهم يسألونه .. لماذا لم يفتح الباب .. وهل الكالون عاطل ؟ ·· ولم يرد ، واستدار فوق الدرج ونظر اليهم جميعا من فوق وانتقلت نظراته عليهم واحدا بعد الآخر ·· وعندما أحصى الجميع جلس فوق الدرج صامتا .. خفتت الهمهمات والهمسات وأصوات تدافع الأقدام وتعلقت عيونهم به · وبلا مبالاة مد يده الى جيبه وأخرج علبة سجائره وتناول واحدة وقفل علبته ووضعها مكانها ، وامتدت يده الأخرى تبحث عن الولاعة فى جيوبه ، وعثر عليها فى جيب البنطلون فقام واقفا واخذها واشعل سيجارته وجلس ثانية ينفث الدخان فى اتجاههم مرة بعد أخرى ·· ابتسم بعض الجيران والآخرون فتحوا أفواههم دهشة غير مصدقين لما يرون ومنهم هاشم بك ممثل سلطة زوجته الآن ، وأولاده لم ترتسم هذه التعبيرات على وجوههم أما زوجته فان الكلمات تزاحمت

على شفتيها وعينيها وأصابعها تكتمها كى لا تخرج منها كلمة قبل الأوان ·· خطوات عم اسماعيل الثقيلة تصعد السلم ، وعندما وصل ونظر بعد أن نهر الأولاد أن يوسعوا له طريقه صاح فيه ·· « ايه يا اخوانا » . لم ير الأستاذ بكر جالسا فوق الدرجة السابعة ينظر اليه ، وعندما اكتشفه ضحك بتلقائية وغباء وكرر سؤاله ·· الأستاذ بكر بعد أن أطفأ سيجارته وجد أن الوقت قد أصبح مناسبا لكى يقوم واقفا بعد أن كملت هيئة المؤتمر الذى خطط له ·· فكل السكان تقريبا موجودون أو زوجاتهم أو من يستطيع أن يحكى ما حدث علاوة على وجود مندوب وكالة أنباء العمارة لنشر الخبر على طول الشارع مستخدما عمال المحلات على جانبيه والشغالات أيضا . ثم أن وجود هاشم بك حيوى جدا أيضا .. عندما وقف الأستاذ بكر صدرت أصوات الهمهمة وتحركات الأقدام وعندما لم يتحرك بكر هدأوا ثانية منتظرين ·

تنحنح الأستاذ بكر يسلك صوته لتخرج كلماته واضحة ، وأشار بإصبع واحدة الى نظيرة وأمرها أن تقترب الى درج السلم وأن تصعد اليه درجتين ثم أمرها تلصق ظهرها الى الحائط ليراها وتواجه الآخرين فى نفس الوقت ·· نظيرة كالمنومة فعلت كما أمر وابتسامات صامتة تدور على شفاه الأطفال والنساء ·· قال بكر : « آن الأوان لنقرأ كشف الحساب .. فمن سنوات طويلة لم أحاسبك أبدا وكل مرة أحاول تستدعى هاشم بك أخوك الأكبر ويقوم هو بحسابى ·· ودائما أنا مخطىء ·· غلطان ·· تايه ·· ويمكن أوصاف أخرى لا أحب أن أسردها الآن أمام الناس .. .. أنا استدعيته حتى يحضر بناءا على ارادتى .. كلمتى اليوم هى الأولى وأنا السيد وآمر وأطاع ·· أولا ·· لماذا يا ست نظيرة تكثر طلباتك وأوامرك عندما تكون امك أو احد أفراد اسرتك ضيوفا عندنا ·· شاى وقهوة ومشروبات باردة أعملها

واقدمها بنفسى ·· لماذا أنا ؟ ·· لماذا لا تقومى أنت ؟ ·· عشرين مشوار من للصالة للمطبخ وأربعة لغاية البقال والخضرى والفكهانى والكهربائى ، وأشترى سجاير وفاكهة وخضار وحبك تصليح الأباجورة دلوقت ·· هه ·· وتنادينى بصوت عالى آمر ·· الآن وفورا ·· لماذا الحساب على أعمال المنزل ·· وماذا فيها لو انتظرت حتى بعد نزولهم لتقولى ان البقعة فى الجونلة لم أنجح فى ازالتها قبل غسيلى اياها ويجب أن تزول ·· وتغسل الآن وفورا ·· وأتفادى نظراتهم التى تحرقنى .. الموضوع الثانى .. خطيب البنت لا يعجبنى ولن يتم هذا الزواج حتى ولو على جثتى وليس مهما عندى رأيك أنت أو هاشم حاف ، ولا رأى للست الوالدة كمان ·· وبعدين مصروف البيت أهم شىء أيضا ·· فوق جثتى لن تنالى مليما واحدا منه طول حياتى ·· سنوات زواجنا كله لم تلمسى قرشا ·· ماذا غير الموقف الا النقود ·· أقبل أى شىء الا هذا العبث .. الا يكفى أنى اشترى كل شىء بنفسى وأتعمد أن أحضر الفاكهة أيضا . عندك من كل شىء مش لازم كثير .. الزمن غدار والسنين طويلة ولازم تعرفى المثل وأقوله كل يوم يمكن تحفظيه ·· القرش الأبيض ينفع فى اليوم الاسود ·· وبالمناسبة ·· النهاردة أسود عليكى وعلى هاشم وأبيض على .. اليوم انقلاب السلطة وأول فرمان ·· ممنوع دخول الشقة الليلة وروحى باتى عند أمك ·· والصباح رباح وسوف أفتح لكم » .

انهى بكر حديثه وتحرك بهدوء الى الباب وفتحه ودخل وحده وأغلقه خلفه وأدار المفتاح فى الكالون مرتين وسمع الصخب على الناحية الأخرى ولم يقاومه أحد ·· وابتسم ·

فى الصباح حضرت نظيرة والأولاد مع ربطة المعلم ·· الأم والأخوة الذكور واخواتها ايضا ·· حضروا على دفعتين ·· ملأوا

كل الكراسى واستعانوا بكراسى غرفة الطعام ·· جلسوا صامتين أولا ·· ثم بدأ هاشم بعتاب ولوم خفيف الا أن بكر أسكته بنظـرة قوية فقط فانحبس الكلام فى حلقه · وعندما حاولت حماته التقاط أطراف الحديث زام مزمجرا فكفت عن المحاولة فورا ·· أما أولاده فانصرفوا فى اتجاه غرفتهم حتى لا يصطدموا به ، وأوقفهم بكلمة وعادوا الى أماكنهم ·

الأستاذ بكر وضع ساقا فوق ساق وأشعل سيجارة ، وواثقا من موقفه قال أنه سيسمح لنظيرة هذه المرة وســوف تكون لها الأخيرة على أن تقوم هى بكل مطالب المنزل والأولاد ولا تتدخل أبدا فى مصروف البيت ·· سكت الجميع موافقين وأردف أنه لن يسمح بأن يتعدى صوتها حدود الكرسى الذى تجلس عليه ، وأن تلبى كل مطـــالبه فور أن ينطق بها . فوجىء الجميع ، بما فيهم بكر ، بنظيرة تندفع اليه راكعة تحاول أن تقبل قدمه حتى يسامحها ، وأومأ اليها أن تنهض وتجلس على كرسيها مرة أخرى ·· ونظر الى هاشم بك ، ان عليه الدور ليقدم اعتذاره عن مواقفه وأفعاله وأقواله طوال السنين الماضية ·· وقبل أن يطلب منه بكر شيئا نهض الرجل ليقدم الاعتذار ولكن دون أن ينكب على قدمى بكر الذى سر أن اللهجة تغيرت تماما فلم تعد اللهجة الآمرة المستجوبة وانخفضت نبراته وأصبحت الكلمات مؤدبة مترجية العفو طالبة فرصة جديدة وأمن على كلامه باقى اخواتها أيضا .

مرت دقائق قبل أن يطلب بكر مشروبا باردا للجميع .. نادى بصوت عالى آمر مسيطرا يحاول أن يضع الصورة الجديدة كلها فى هذه اللحظة ·· نظيرة ·· اعملى شاى الأول ·· وعندما قامت متثاقلة صاح « بسرعة » ·· وكأنما الكلمـة مسـتها كهرباء ·· فانطلقت الى المطبخ دون أن تعلق أو حتى تنظر اليه ، وابتســم بكر فى ثقة ·· لقد بدأت بوادر النجاح ·

استثمر بكر النجاح السريع وبدأ يلقى بأوامره الى نظيرة وهى تتفانى فى اداء المطلوب بسرعة تتجنب ثورة جديدة وأملها فى الحصـــــول على قدر اكبر من الرضا . وعندما حضر بعض الأصدقاء والجيران بعد الظهر للاطمئنان على الأحوال كان بكر يتلذذ بالأمر والنهى أمامهم ‥ ووصل الأمر الى ذروة النشـوة عندما رآها فى المساء تغير ملابسها وتمشط شعرها وتقترب فى دلال خجول من سريرها ، وفاجأها بقوله : « نامى الليلة بجوار الأولاد ‥ أريد أن أستريح من نفخك وشخيرك الليلة » ‥ فانكسر خاطرها ونظرتها ومضت لا تلوى على شىء فى الوقت الذى كان يغمره السرور من الانتصار العظيم الذى حققه لتوه ‥ وانزلق فى سريره يتوسد ساعده وأغمض عينيه يسترجع أحداث اليوم البهيج هانىء البال ٠

بدأ بكر ينتبه على صوت نقرات تشتد فوق خشب الباب المفتوح ويد عنيفة تهزه بقوة .. انه يعرف هذه القبضة جيدا .. يد نظيرة هى .. فتح عينيه وصدمته أضواء الغروب .. يظن أن الوقت الصباح .. لا هذا وقت المغرب .. حول عينيه اليها .. وجدها أمامه .. نظيرة .. يدها فى خصرها وتهز ركبتها آمرة أن يقوم .. قوم يا محروس ‥ أخويا هاشم بك فى الصالون ‥

قفز واقفا وقفز ثانية مرتديا روبه فوق البيجاما ورجله تبحث عن شبشبه لا يكاد يفهم شيئا ، غير مسيطر على انفعاله . ماذا حدث ؟ ماذا غير الموقف ؟ لقد كان هانئا الى ساعات قريبة .. ياه .. !

جلس بكر أمام هاشم بك ووجده كعهده به دائما منتفخا آمرا مسيطرا .. صورة مكبرة من نظيرة .. جلس فى كرسيه وضم يديه الى بعضهما ووضعهما بين ركبتيه وأطرق يجهز نفسه لسـماع هاشم بك ٠

• جلس .. يجلس

جلس .. يجلس بمعنى قعد يقعد . ويقال قعد على الشيء اى جلس عليه ووضع كل جسده فوقه واستراح فى هذه القعدة اى اعجبته . ولأن القعاد مزاج فان ذلك يرتبط بالمكان الذى نقعد فيه . عندما تزوجت تخيرت أحد الأماكن فى منزلى وقعدت ، وكانت زوجتى حيرانة فلم يعجبها اى كنبة أو كرسى ، وبعد أن بحثت جيدا رجدت انسب مكان . وقد كان .. قعدت على قلبى وأراحت كل وزنها عليه أضف اليه ثقل ظلها فيكون المجموع من نصيبى ، ولم يهمها ما احس به . حدث ذلك من زمن طويل ، فقلبى قد تخدر بفعل الثقل القاعد عليه ، أيضا ثقلها حد من حركة صدرى ولا استطيع أن أملأ رئتى بالهواء ، دعك من الضغط الواقع على الحجاب الجاجز وفم المعدة والكبد فان الآلام الناتجة فقد استطعت احتمالها أيضا .

كنت انتظر حتى تقوم من قعدتها هذه كى تقضى حاجة لها .. وياللعجب وجدت أنها بعد ان قامت مازالت جالسة وشعور الخدر والتنميل افقدنى الاحساس بها سواء قامت او قعدت .

أما أنا فقد قعدت ايضا أندب حظى وابحث عن شىء آخر أجلس عليه لألتقط انفاسى من جلستها الطويلة هذه .. التى ربما تطول حتى نهاية عمرى انا طبعا .

• بستان الفيروز

يحكى أنه فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان كانت هناك قرية صغيرة تحت سفح الجبل يعيش أهلها فى سلام . وكان الشاطر حسن بطل القصة شابا صغيرا ممتلئا حياة وقوة ، يعيش كما يعيش أهل القرية . الى أن جاء يوم سأل جده العجوز ، ياجدى أين بستان الفيروز ؟ انهم جميعا يتحدثون عنه ولا يملون .. حدثنى ياجدى .. يقولون ان البستان كله فيروز .. الحصى فى أرضه ، زهر الشجر ، كله فيروز وأن من يحصل على واحدة يعيش عمره فى هناء لا يعرف الحزن ابدا . هل صحيح يا جدى ؟ والح الشاطر حسن حتى تكلم الشيخ العجوز .. قال ياحسن أنت أيضا سمعت .. انهم يقولون كثيرا ويعلمون قليلا .. لا تلق بالا الى كلامهم . ولما رأى الاصرار فى عينيه فكر وداعب لحيته البيضاء بأصابعه ثم قال : هل ستذهب انت أيضا .. ان من ذهبوا الى الفيروز لم يعودوا أبدا .. واخاف عليك ياولدى ألا تعود ..

قال الشاطر حسن : سواء حكيت يا جدى أو لم تفعل فانى عزمت أن أذهب وأعددت عدتى فزودنى بنصيحة ..

قال الجد العجوز : حديقة الفيروز هناك بعيدة المنال .. أيام وشهور وسفر طويل حتى تصل اليها وستعانى الطريق الموحش والليل البارد وتصل منهكا ، وستنسى كلامى ، حينئذ لن تعود . نصيحتى الا تنسى كلماتى هذه ، يجب عندما تصل أن تستريح قبل أن تحزم أمرك .. بستان الفيروز ياولدى ، قصة عجيبة يتناولها الناس حتى أصبحت أسطورة .. بستان الفيروز بستان عادى به شجر وزهور مثل كل الأزاهير . ولا فيروز هناك ، هناك حورية البستان اجمل ما ستري عيناك فى الدنيا .. جميلة كالقمر .. والفيروز عيناها .. خضراوان .. نظرة واحدة هى النظرة .. وتدوب .. وتغمض عيناك وتذوب ولن تدرى أين أنت ولا كيف ستعود .. ولن تعود . تريد أن تحصل عليها ياولدى وتعود ؟ هناك طريقة واحدة هى أن تذكرنى .. لا .. تذكر كلماتى هذه .. انظر بعيدا .. نعم لا تنظر الى عينيها أبدا .. وستدور حولك الحورية .. تمالك نفسك وأنفاسك وهى ستدور وستجعلك تنظر الى عينيها .. لا .. انظر بعيدا دائما .. وستنظر هى فى عينيك وساعتها تستطيع أن تراها جيدا وتنظر الى الفيروز فى العيون .. وتحصل على كنز الكنوز ..

انطلق الشاطر حسن يقطع الوديان والجبال وحيدا الا من الشوق الى الحورية .. نظرة الى الفيروز تجعله العمر سعيدا هانئا .. ومضت الأيام والشهور حتى وصل الى بستان الفيروز . وصل منهكا متعبا وحط الرحال وهم أن يذهب وتذكر كلمات الجد .. قال العجوز انتظر .. وانتظر قليلا .. استعاد كلمات جده وتوكل على الله ودخل البستان .. تلفت حوله .. رأى الزهر والطير والشجر .. شدت عينيه هالة النور .. انها الحورية .. هاهى هناك .. اقترب منها .. نظر بعيدا .. اقتربت منه

الحورية .. يالهذه الرائحة الجميلة .. عطرها يسكره .. يلفح وجهه فى نعومة .. وهذا الشعر الطويل .. انه يراها كطيف فى ثوبها الأبيض .. يريد أن يرى الفيروز الآن .. هيا .. لا انتظر الجد قال اصبر .. وتدور الحورية حوله .. ويدور حولها .. يحس بخدر ناعم لذيذ .. انه يكاد يرقص .. الآن هو فى بستان الفيروز .. والفيروز فى متناول يده .. نظرة واحدة تكفى .. الشـــوق يصارعه . أحب أن يراها .. لا أحبها منذ سمع عنها .. منذ سمع عن الفيروز .. وجده العجوز هذا تركه يذهب انه يعرف أن هنا الهناء .. فى عيون الفيروز .. ان الجد حكيم لابد أنه يعرف ولابد أن ينتظر ولكن كيف والشوق يقتله فعلا .. لمسته الحورية .. مست اصابعه .. تشابكت الأصابع . وجهها قرب منه يحس انفاسها .. يشم عبيرها .. تحاول ان تنظر فى عينيه .. تمام كما قال الجد . يالجد الحكيم ليته هنا ليرى . ما هذا الشعور الفياض .. لمستها على يده وانفاســـــها تلفحه .. وعيناها تدور حوله وواقف هو كالتمثال ينظر بعيدا حيرانا .. ماذا يفعل وقلبه سينفجر بدقاته ولهفته .. لابد أنيراها وينظر اليها .. ما هذا انها تنظر فى عينيه ثم تتهاوى تستند عليه .

الآن .. الآن فقط نظر فى عينيها .. ياه .. يالهذا البهاء والنور .. كل شىء هنا خلق جميلا ، الفيروز والحنان .. والعطاء والحب .. الموســـــيقى والأحلام .. الهناء والأمان كل هذا فى عينيهـــــا .

لا يعادل هذه اللحظة شىء آخر فى الوجود .. هذا الدوار . يحس أنه يطير ويدور والدنيا كلها تدور .. أنها تغمص عينيها يسمع انغام همسها .. أغمض هو الآخر .. يحلم .. وتحلم هى الأخرى .. يحلمان .. ونظرة أخرى .. وذابا فى بحر الفيروز ..

● دندنــة .. ذبذبــة

أنا دندنت اللحن الذى احبه وكان اسمها .. يصاحب كل كلماتى ليل نهار أشدو به ، تسعدنى حروفه حرفا حرفا كأنما هى حالة مغناطيسية دامت سـنة واحدة . وهى دندنت كلماتها فى أنشودة راقصة استمرت شهور السنة .. اذن كانت اغنيه غناها كل الشباب فى كل العصور .. انا أدندن اسمها وهى تدندن لحن حواء وعندما توقفت التى كانت تشجينى كنت مستمرا فى دندنتى أحاول ان يدوم اللحن معزوفا الى الأبد . وعندما سكتت هى عن لحنها لم يكن هناك الصمت بل انقلبت الدندنة واصبحت ذبذبة استقبلها دائما مما جعلنى اتوقف لأبحث أوضاع النقط فوق الحروف وتحتها وما زاد عليها أيضا .

ذبذبات صوتها .. موجات الهواء من رئتيها تندفع عبر الحنجرة تهز أوتارها .. تصدر صوتها يضغط موجات الهواء خارجة .. كل موجة تضغط التى تليها كموج البحر يستمر دوما يوما بعد الآخر وشهرا بعد شهر وفى بعض الحالات يسود السكون وتهدأ

الامواج تماما كذبذبات زوجتى التى اصبحت مستمرة نهارا وليلا ربيعا وشتاء وتهدأ فى حالتين .. فقط عندما تكون نائمة او مريضة فان ذبذباتها تأخذ نغمة اخرى تستجدى العطف والاهتمام ، وسرعان ما تحصل عليها ببساطة حيث اتسابق ارضيها. اتوقع ان ارفع رصيدى من الرضا عندها ثم تركت ذلك نهائيا عندما اكتشفت ان الرصيد كان دائما صفر فى حساب رضاها عنى فربما كانت تدخر ما افعله فى وعاء مثقوب لا يحتفظ بشىء .

يوما حلمت بدندنة زوجتى التى كنت اسمعها من اعوام خلت وللأسف انزلقت فى الحلم حتى نهايته السعيدة وعندما كان الصباح وجدت انى عشت بعض الوقت مع ايام زمان ولابد ان اعيد ولو جزء منها . حاولت قدر جهدى ، وتغيرت الذبذبات التى تصدرها ولكن لم تصل ابدا الى مستوى الدندنة أيام زمان وشباب صوتها الطلبات الناقصة والملاحظات المحرجة علاوة على انتقاد ما حولها من بشر وحيوانات وادوات وافلام ومسلسلات ثم عادت الى سابق قوتها التى عهدتها فيها بعد سنة من الزواج .

ولان الكلمات ذبذبات والكلمات تعبر عن الأفكار . ولأن الأحاسيس والأفكار تتشكل فى رغبات تترجم الى كلمات مرصوصة فى طابور طويل ينزلق من خلايا المخيخ الى عضلات اللسان الذى يشكل حروف الكلمات بتيار صادر من الحنجرة تساعده الشفة والحلق والأسنان لتخرج الحروف المرتبة فى كلمات . اذن الكلمات ذبذبات .. وان صح هذا الاكتشاف المبهر فان دندنات زوجتى كانت صادرة من أعماق تفكيرها ، ولأنها تغيرت الى الذبذبات فان ذلك يعنى بالقطع ان المصدر قد تغير حاله الى ما أعيشه هذه الأيام فى استقبال ذبذبات زوجتى العالية منها والمنخفضة حيث بددت حلمى السابق الذى عشته لحظات أتمتع بدندنة قديمة . ولم يكن هناك اى حل لأتقى ذبذبات السيدة زوجتى الا أن أضع الواقيات لأذنى

فلجأت الى السماعات التى يستخدمها الفنانون عند تسجيل اغانيهم ودندناتهم ايضا وكان شكلى غريبا بها اشعر انها تطوق راسى فى احساس بضايق ولكن كانت درجة المضايقة اقل بكثير من تلك التى تسببها الذبذبات العالية والمنخفضة ثم انحسر احساسى بالواقيات حول أذنى ليبقى ويتعاظم شعورى بالراحة المطلقة بدون الذبذبات اياها . ذلك لم يرحمنى من ذبذبات الانتقادات والتساؤلات والتهكم على ما افعله واضطررت أن اوصـــل سماعاتى بأجهزة الراديو والتليفزيون وتصنعت الاهتمام المســـتمر بجميع موجات ومحطات الاعلام فى جميع انحاء العالم ، ولكى تلفت نظرى الى ارسالها الحالى كانت تقف امامى بهدوء وتشير الى السماعات ان ارفعها . وهكذا تعايشت فى السنتين الثانية والثالثة مع ذبذبات زوجتى لتبدأ المرحلة التالية لمغامراتى مع الذبذبات الحيانى .

ظهر انه اما ان تكون سماعاتى قد فســـدت لأنها أصبحت تسرب ذبذبات السيدة زوجتى الى اذنى . . أو ان الذبذبات أصبحت أشد وأقوى وأكثر فاعلية . وازعجنى ذلك فصرت أحكمها اكثر وهذا ضايق زوجتى بدرجة ملحوظة فارتفعت ترددات انفعالاتها وكان نتيجة ذلك أن بدأ الناس حولى ينظرون ويراقبون بما فيهم الأولاد والجيران والأقارب وكان ما يحدث مثارا للأحاديث الجانبية . وعندما كنا على الشاطىء فى الصـــيف حيث الهدوء والبحر الممتد بموجاته الرتيبة التى تشابه ذبذباتها ذبذبات السيدة حرمنا التى تفوقت جدا هذه المرة، واضطر المصيفون حولى الىاللجوء الى سماعاتالراس لوقاية آذانهم أو الهروب الى الكبائن البعيدة او الابتعاد كثيرا حتى أن بعضهم كاد أن يغرق عندما عبر منطقة الاستحمام وتجاوز البراميل فى اتجاه نهاية المياة الاقليمية واضـــاف ذلك عبئا على ملاحظى الشـــاطىء حتى انه فى اليوم التالى كان جميع جيراننا يرتدون سماعات الأذنين متظاهرين هم أيضا بتتبع الموسيقى الصادرة من أجهزتهم الصغيرة يحملونها باستمرار طالما هم حولنا .

فكرت على الشاطىء انى استطيع الاستغناء فعلا عن واقيات الأذن دون أضرار باستخدام اليوجا والتركيز على أشياء وموضوعات أخرى بعيدة عن الذبذبات التى أسمعها وبعد أن تدربت فترة المصيف وجدت أنها طريقة ناجحة اتبعها غيرى كثيرون الا ان ذلك جعل زوجتى تتهمنى انى لا اصغى اليها جيدا عندما تتحدث . وهى تتحدث طبعا طول الوقت لا تراعى وقت الأكل أو النوم أو الحمام ولكنى أكدت لها انى اتابع ذبذباتها وانه لا يجب بالضرورة أن أستمر فى النظر الى عينيها أثناء حديثها ولم تقتنع وظلت ترسل باستمرار .

القدر يحمل فى طياته الكثير .. مفاجآت وأحداث وكانت لى منه مفاجأة اسعدتنى فقد أصابت زوجتى عدوى .. فيروس طائر فى الهواء .. يختص بالسكن فى منطقة الحنجرة يلهبها واحبالها الصوتية فتغيرت ذبذباتها تماما وخرج صوتها محشرجا مبحوحا .. الطبيب كشف وأوصى بالأدوية والعلاج وأمرها أن تستريح من الكلام أسبوعا واحدا فقط ..! يا أرحم الراحمين .. رحمتك وسعت كل شىء .

ظهر على وجهى الانزعاج الشديد .. طبعا انا وضعت هذا القناع حتى ترضى زوجتى عنى وتستريح انى أهتم بأحبالها الصوتية وأن لا حياة لى بدونها . واشتريت الدواء ووضعته الى جانبها وناولتها منه مرات ويجب أن أعترف انه مرات أكثر كنت أحاول أن أنسيها اياه ولابد لى أن اسجل أنه مضت سنوات كثيرة لم أتمتع بمثل هذا السكون والسلام والرحمة فأبعدت عنى جميع محدثات الأصوات فى منزلى واستغنيت عن سماعاتى واليوجا أيضا وسمعت صوتى أنا عندما تكلمت وكان قويا واضحا .. ذبذباته أعجبتنى حتى انى كنت أتعمد أن اغنى لأسمع ذبذباتى واسمعها اياها وارى تعابير وجهها وتقلصاته مع اشاراتها التى ترسلها بأصابعها فرتعة

وتصفيقا او بدقات غاضبة فوق المنضدة امامها لتلفت نظرى أن اسكت ذبذباتى . بعد يومين فقط عاودنا زيارة الطبيب الذى نصح بالاستمرار فى العلاج وزيادة جرعة الادوية لأحبال زوجتى الصوتية فكتبت على ورقة امامه انها لا تطيق أن تستقبل ذبذباتى وكان أن رد الطبيب عليها مازحا أنه يجب عليها الا تصدر اى ذبذبات حتى نهاية الأسبوع وسوف يسمح لها فى الغالب ان تواصل الارسال بعد فترة الراحة المقررة فابتسمت زوجتى وحيته وانصرفت سعيدة تحلم ببدء ارسالها . أعطانى هذا الفرصة لكى ارد لها ما ذقته سنوات من فواجع الذبذبات التى احاطت بى فكنت اتركها وابتعد عن عينيها ، ولتجاهد هى بأى طريقة لكى توصل نداءها لى ، ثم تشير لى بما تطلب ، وأتصنع الغباء فتكتب طلبها فى الهواء باصبعها وأتغابى أكثر ، واجهدتها حتى جعلتها تكتشف انه يجب أن تحتفظ ببعض الأوراق وقلم الى جوارها .

طبعا حدثت بعض المفارقات قرأتها فى الأوراق ، فوجدت أنها تريد أن تحكى حلما رأته الليلة الماضية أو أنها تود لو زارتها أمها حتى تؤدى عنها بعض الأعمال حيث أن الأدوية أصابتها بالهبوط والرغبة فى النوم وهكذا . الطريف أنها عندما كانت تكتب ما تريد ان تقوله كنت أصمم أن أرد عليها كتابة كأنما انا أيضا لا اتكلم ثم انطلق لأرسل ذبذباتى مرة أخرى فى موضوعات لا تريدها هى . . أسمعها اياها قسرا وكانت المسكينة تسمع وتنزوى حائرة لا تدرى ماذا تفعل فى مواجهة طوفان ذبذباتى المنتقمة وزاد عذابها بعد ذلك أن الطبيب أطال فترة صمتها عندما تطورت حالة احبالها الصوتية

الى الأسوأ بسبب الفيروس القوى حماه الله لى .. الطبيب حذرها من الكلام ، والا تورمت احبالها وتضخمت وفقدت القدرة على الذبذبة ثانية ويضطر الى ان يذبحها ويفتح عنقها ويصـــل الى أحبالها الصوتية ، يداويها بالمشرط ، واصفر وجهها وبلعت لسانها لشهر تال انطلقت فيه وحدى أصول واجول وارسل ذبذباتى من كل مكان حولها بمختلف الترددات حتى أنها كانت تضع الوسادة فوق أذنيها مرات عديدة حتى اكتشفت مكان سماعاتى وواقيات الآذان واصبحت تفضل سماع كل البرامج .. تصور .. أصبحت أخيرا تسمع الراديو وتتابع البرامج والتمثيليات والموسيقى .. وانا ذبذباتى هباء لا تصل اليها وكدت أجن مما فعلته زوجتى .. !

● علقـــة تفـــوت

هو . يكاد يطير فرحا بالبالونات والزينات المعلقة فى الصالة .. ينتظر حضور الضيوف يحملون الهدايا والحلوى التى يحبها .. انهم جميعا سيأتون .. ان اليوم غير عادى ورغم أن أعوامه الستة لا تسعفه ليعرف ما حول الكلمات المبهمة التى تدور حوله فانه يحس أن الجميع يهتم به .

أدخلته أمه الحمام واعتنت به جيدا ودعكت كل جسمه باللوفة وبصابونة لها رائحة جميلة غير كل الصـــابون .. وعندما انتهت البسته أمه جلبابا ابيضا فضفاضا بلا ملابس تحته وخرج ليجد أن معظم أقاربه قد وصلوا .

نادى عليه أبوه ليسلم على الضيوف .. دخل غرفة المسافرين ليجدهم كلهم رجالا كبارا ليس معهم سيدات أو أطفال .. كلهم ينظرون اليه ويبتسمون وأبتســـم هو الآخر وصاح مقلدا الرجال « سلامو عليكو » . رد بعضهم وضحك الآخرون . وقف الى جوار أبيه .. أمسكوه .. رفعوا جلبابه .. ظهرت عورته .. تعلقت

عيونهم بل فأحس بالحرج .. حاول التملص .. .الأيدى قوية حول يديه ووسطه وساقيه أيضا انه لا يستطيع الحركة .. دارت عيناه بسرعة ولمح عم عبده الحلاق يجلس القرفصاء أمامه ويبتسم ابتسامة بلهاء .. بادله الابتسام .. فتح عم عبده الشنطة ويده تعبث بالأدوات وابتسامته معلقة على شفتيه وشاربه الكبير يرتفع الى أعلى مع الابتسامة . ود لو جذبه بيديه .. حاول .. يده مقيدة .. ماذا يحدث . ان عم عبده بدأ يمسكه هو أيضا .. (ايه الحكاية) .. حاول أن يرى ما يفعله عم عبده .. امتدت يد أخرى تجذب وجهه بعيدا .. أحس بالألم القوى يخترقه ..

ارخو له القبضة .. رأى الدم على الأرض .. من الذى جرح .. أعطوا له طرف جلبابه فى يده .. نظر ورأى الدم يسيل منه قطرات .. نظر الى عم عبده الحلاق وبكى . مشى الى أمه .. أطلقت زغرودة فى وجهه وقبلته رغم بكائه .. حملته الى السرير .. وضعت النساء حوله أكياس الملبس والكرملة والبالونات .. هناك أيضا قمع سكر وتمر .. لا يريدها كلها .. انه يريد أن ينام . ويخاف أن يحضر عم عبده اليه مرة أخرى .

رأى أخيه الأصغر يتسلل الى فراشه ويلتقط بحذر بعض الحلوى وابتسم واحتضن البالونة ونام يترامى الى سمعه زقزقة الصغار يغنون .. « ياعريس ياصغير علقة تفوت ولا حد يموت .. لاس ومفير وح تشرب مرق الكتوت » .

● تجـــربة

هى .. تجاوزت عامها الثالث عشر .. يقولون أنها جميلة وجذابة .. تحسدها زميلاتها فى الحارة والمدرســـة على جدائل شعرها الناعم الطويل .. بدأت القيود .. انها لا تفهم لماذا كل هذه الأوامر والنواهى .. الشباك ممنوع .. صحبة الفتيات ممنوع .. فتح الباب ممنوع .. ومقابلة الزوار ممنوع ..

يوما — بعد آذان العصر — حضرت بعض سيدات العائلة للزيارة وجلسن فى الصالة والصالون .. خرج أبوها مع اخوتها جميعا ، خرجوا وحدهم . تركوها هى وأمها .. فتحت الباب وكانت أم سعيد الداية .. انها لا تحب وجهها الأسمر المدور المشدود .. ابتسمت لها فى تصنع .. دخلت أم سعيد بلا استئذان ورحبت بها أمها .

ادخلتها أمها غرفة نومها .. خلعت عنها سروالها وأرقدتها على السرير الكبير .. عليه ملاءة بيضاء فرشتها هى قبل حضور

الضيوف .. دخلت الحجرة خالاتها الأربعة والداية أم سعيد بدا عليها الاهتمام .. شمرت عن ساعديها وفتحت علبة صغيرة من المعدن بها بعض الأدوات المعدنية .. سمعت صليلها .. أمسكت بها خالاتها .. منعن حركتها .. رفعن عنها ثوبها .. اقتربت أم سعيد منها .. لمستها بخفة مرة اشتدت القبضات على يديها وساقيها .. منعوها من الحركة .. أحست بحركة أم سعيد مرة ثانية .. احست بألم قاتل تنزعه أم سعيد فى جسدها .. كتمت الصرخة .. تأوهت .. رفعت رأسها ورأت وجه أم سعيد الأسمر المدور المشدود وحبات العرق فوق جبينها ونظرة ارتياح فى عينيها .. ارتخت القبضات .. تركنها .. غطين ساقيها وهنأنها على الألم .. احست بالدم الساخن ينزلق الى الملاءة البيضاء .. تحركت ورأت بقعة دم كبيرة فوق الملاءة النظيفة .

زوجوها بعدها بثلاثة أعوام وأنجبت بنتا جميلة .. زوجها يعاملها بقسوة .. انه لا يحبها .. ولا هى أيضا .. قال عنها أنها باردة .. طلقها ..

زوجوها مرة اخرى وانجبت بنتا ثانية .. عاشت .. لم تستطع أن تجارى زوجها أو أن تجاوبه .. تحاملت على نفسها .. كرهها زوجها .. قال هو الآخر . انها باردة .. فعلت كل ما تستطيع حتى ترضيه .. هى نفسها غير راضية .. انها لا تحس شيئا فعلا .. انها لا تستطيع أن تستمر .. وطلقها .

مرت السنوات وأصبحت بناتها عرائس يتقاطر عليهن العرسان .. وتختار لكل واحدة عريس .. زوجتهن .. وأصبحن هانئات .. وتذكرت يوم تركها أبوها واخوتها وخرجوا وحدهم .. تركوها هى وامها والسيدات .. والوجه الأسمر المدور المشدود وجه أم سعيد الداية .. انها لم تتذكرها أبدا طوال هذه السنوات .

● ميكروفون الحاج عرفان

الحاج عرفان تخطى سن المعاش وانضم للزملاء السابقين ليقف ضمن طابور المعاشات أول الشهر بالنقابة ، يتبادل معهم أخبار الزملاء الأحياء والأموات ويشتركون فى الترحم على الزمان وأيامه ، يحاولون أن يجدوا شيئا مازال جميلا ليتصبروا به بعد أن ضاعت بهجة الأيام فى رحلة العمر . خاف الحاج عرفان كثيرا من هذا اليوم واستعد له وساعدته الظروف ، فقد تزوج الأبناء والبنات وسكنوا بالقرب منه ما أمكن ليزورهم ويوزع أيام الأسبوع بينهم ، واشترى تليفزيون جديدا وراديو حديثا يتنقل به عبر اذاعات العالم ، وغير أماكن أثاث المنزل واشترى مقعدا مريحا وضعه فى الشرفة ليقرأ فى هذا المكان أمام حديقته الصغيرة فى ركنها البعيد حيث يعتنى بها كل صباح ومساء ، وزاد جمال شرفته قفص الطيور وضع به عصفور الكناريا الأصفر ثم جعلهم بعد ذلك ازواجا ليصحو على شقشقة هذه العصافير فى الصباح · واقترب اكثر من زوجته وكان الحديث لا ينقطع بينهما واينما ابتدأ فانه كان

ولابد أن ينتهى فى الشرفة حيث يجلس الحاج عرفان على كرسيه المفضل ليظل يقرأ ويسمع الراديو ويراقب الطريق حتى تنتهى زوجته من أعمال البيت لتجلس الى جواره يتناجيان أو يتشاكسان .

فى الأمسيات يبدأ طابور السير الذى يسميه هكذا .. يبدأ من منزله لينتهى عند بيت أحد أولاده أو النادى ، ثم يعودون فى سيارة أحدهم أو بتاكسى ويظل ساهرا يقرأ فى الشرفة أو يراقب برامج التليفزيون حتى ينام ويستيقظ مع العصافير .

دوام الحال من المحال .. والقدر بالمرصاد ، وتبدأ أعمال البناء على الأرض الفضاء فى مواجهة بيت الحاج عرفان تماما ، فتزايدت الضوضاء التى يحدثها عمال البناء بدءا من أعمال الحفر وتحميل اللوريات بمخلفات الحفر وتفريغ العربات من الزلط والرمل ورصات طوب البناء وبناء السقالات والنداءات والصراخ الذى يطلقه العمال بين حين وآخر ، وزاد عليه أعمال دق الأساسات حتى هجر شرفته فى الصباح وأغلقها تماما ليتجنب هذا الازعاج النهارى . أما ليلا فانه استطاع أن يمارس هوايته بين طيوره وزهوره وقراءاته الكثيرة يحمد ربه أن أعمال البناء ستنتهى بالتأكيد فى يوم قريب .

حرم الحاج عرفان سيدة طيبة تدور نهارها وليلها حول زوجها وأخبار أولادها ، تبذل طاقتها داخل بيتها تحاول دائما أن تجعله هادئا نظيفا جميلا ، ونجحت لولا أعمال البناء المقابلة التى تسببت فى زيادة كمية الغبار فوق سطح الأثاث فأرهقها ذلك وجعل مزاجها منحرفا ساخطة تأمل مع الحاج عرفان لليوم الذى ينتهى فيه هذا الكابوس ، وتتصبر معه نهارا وليلا وتعتنى به وبشرفته وطيوره والحديقة ليتشاجر معها لأنها روت الزهور بلا داع وتحتج عليه بحرارة الجو والأتربة التى تتساقط على النباتات التى

تحبها هى أيضا ·· وينتهى الشجار بينهما عندما يخرجان معـا فى طابور السير اليومى لزيارة الأحفاد ·

مرت الأيام العصيبة وفتح الحاج عرفان شرفته يمارس فيها هوايته للطيور والنباتات والقراءة ، وابتسمت زوجته مرة أخرى بعد أن توقفت الأتربة المتدفقة اليها لتلمع قطع الأثاث والنجف تزهو بها لنفسها ولزوجها الذى يقدر تماما ما تفعله ·· ابتسامة الحاج عرفان وزوجته اتسعت واستراحت بعد أن استقر الحال ·· والحاج عرفان من شرفته يراقب الشارع والجيران وينقل الأخبار الى زوجته يتسليان بما رآه وحده يحكى عنه وتسمع هى بانتباه لتحكى بعده كيف كان يومها ومن اتصل بها من الأولاد أو الأقارب ·

آلو ·· آلو ·· واحد ، اثنين ، ثلاثة ·· قطعت هذه الكلمات حديث الحاج عرفان . كانت صـادرة من ميكروفون . ابتسـم الحاج فالليلـة لابد أن أحدهم سيتزوج وسـوف يسـمع الصخب والأغانى والزغاريد حتى ما قبل الفجر ، وهذا شىء قليلا ما يحدث حوله ·· بسم الله الرحمن الرحيم ·· الله أكبر ·· كهربائى الهنا ·· الخ ·· اعلان كبير عن الكهربائى الذى قام بتوصيل الميكروفون وعلى استعداد لتركيب ميكروفونات أخرى ، وأعلن عنوانه لمن يبغى خدماته للحفلات والتعازى .. ابتسمت حرم الحاج عرفان وقالت انها لن تحتاج هذا الميكروفون فقد زوجت كل الصبيـان والبنـات ولا تظن أنها سوف يمتد بها العمر حتى يتزوج الأحفاد ·· كان الميكروفون مثبتا على عامود انارة الشـارع فى منتصف مواجهة الشـرفة يصب كل الكلمات بقوة كاملة فى اتجـاه الحاج عرفان وزوجته ، ثم دقائق وكان الاكتشاف عنـدما ارتفع صـوت المؤذن لصلاة العصر من نفس الميكروفون ، ولن يكون هنـاك احتفال .

أين أذن المسجد ، واكتشف ٠٠ وكان المسجد هو زاوية صغيرة فى ركن البيت الجديد ، ثم تبع ذلك آذان المغرب والعشاء ٠

أصاب الحاج عرفان الامتعاض لهذا الصوت القوى للغـاية حيث كان يخترق النوافذ الخشب والزجاج ليزغده فى جنبه أن يقـوم ليصلى ، وكانت الزغدة دائمـا قوية للغـاية ، فقد يصفر الميكروفون أو يعوى قبل أن ينفخ فيه ليختبر قبل الآذان ، ثم بعده يسبح المؤذن ويدعو لنفسه والمؤمنين ايضا . فى يوم الجمعة أذاع الميكروفون الصلاة كاملة بدء من القرآن حتى سلم الامام ، وظل الميكروفون مفتوحا ليذيع امتدادا للخطبة عندما أحب الامام أن يتم نصائحه للمصلين وامتد ذلك كثيرا . ويبدو للحاج عرفان أن الامام يتحداه أن يستريح ، فانه يذيع جزء من درس العصر ودرس المغرب كاملا ، ثم غلا فى جبروته وأصبح يفتح الميكروفون قبل الفجر بمدة طويلة يذيع فيهـا الابتهالات والقرآن والتسابيح ثم قرآن الفجـر والآذان والصلاة ٠ وبلغ الازعاج مداه عندما لاحظ الحاج عرفان أن طيوره تنتفض من الصوت المسلط تماما فى اتجاهها وأصابها ذلك بالهزال والعصبية الشديدة حتى أن بعضها كاد أن يموت من قذائف الميكروفون الموجهة ٠

الحاج عرفان ايجابى جدا ومتحرك ، فنزل وقـابل المسئول بالزاوية ، وتفاهم معه حول ارتفاع الصوت وزمن الارسال المحتمل لكل آذان وصلاة وحاول أن يختصر مدة الازعاج الى أقصى درجة ، وقابله الرجل بمنتهى التفاهم والمحبة والموافقة وابتسم الحاج عرفان عرفانا بفضل الرجل وتفهمه لمعاناته ٠٠ بر الرجـل بوعده يوما واحدا فقط ثم انطلق من الميكروفون صوت عجوز أجش يدعو الناس للصلاة وكان الحاج عرفان لم يفعل شيئا ، ولما نزل الى الزاوية وجد الرجل فحاول شرح وجهة نظره ، لكن العجوز لم يأبه كثيرا

لما يقوله الحاج عرفان الذى مضى مغتاظا من عدم تجـــاوب الرجل معه ٠

يوميا والحاج عرفان يتقرب الى الرجل يحاول التفاهم معه بالحسنى ثم يرجوه حتى تذلل اليه ، واستغرق ذلك أياما كثيرة متتالية ، لكن الرجل العجوز أصر وتمسك ثم تجمـد على موقفه الا يخفض الصوت أبدا ، وأوضح له أنه كلما ارتفع الصوت فان الثواب للمؤذن يكون أكبر حيث يسمعه أكبر عدد من المسلمين ومن ثمة يأتون للصلاة ، وهذا أدعى لأن يرفع الصوت أكثر ٠ ولما بلغ بالرجل الملل من الحاج عرفان أهمله ولم يعد ينظر اليه عندما يراه حتى لا يبدأ مناقشته ثانية .

مرت الشهور والحاج عرفان ينتظر فرج الله لهذه الأزمة بعد أن انقطع عن الصلاة فى الزاوية وانقطـع الأمـل فى التفاهم مع العجوز ، يراقب الميكروفون ويتسمعه ويحاول الهروب من تأثيره دون جدوى ٠ ورغم أنه كان يصلى الجمعة فى المسجد الكبير الا أنه عند عودته كان يجد أن خطيب الزاوية ، ذلك الرجل الشرير ، مازال يلقى الخطبة قارئا اياها من كتب قديمة جدا تدور فيها الدنيا فوق قرن الثور ، وتحدث زلازلها عندما يتحرك أحد الأفلاك تحت أرجله ، ويجده دائما ثائرا متحمسا متشنجا يهدد المصلين بالويل والثبور وعذاب القبر وفتنة الدجال ، ولم يسمعه مرة يدعو للهداية بالحسنى أو طلب رضا الله أو طمعا فى رحمته وجنته الموعودة للمتقين ، أو بعدا عن غضب الله واتقاءا للنار ٠٠ ثم ينتقل الرجل رغم أنف الحاج عرفان الى الأولياء وكراماتهم الرائعـــة بدء من النعوش الطائرة عند موتهـم والروائح الزكية التى تفـوح من قبورهم ومساعدتهم لأتباعهم المحتاجين منهم والمكروبين ، علاوة على المريدين . ويظل الرجل الشرير ينزلق من كتاب قديم الى كتاب أصفر آخر يقرأ منه

ما تيسر للمؤمنين الصابرين المستمعين له فى استكانة واستسلام وصمت وتحمل حتى قرابة الساعتين بين حكاياته عن معجـزات الأولياء وخزعبلات الثور الذى يحمـل الدنيا وهمومها فوق قرن واحد من قرونه ·· مرة بعد اخـرى كان ذلك يملأ الحاج عرفان رفضا للرجل وافكاره وصوته وميكروفونه وزاويته حتى مرت السنة كاملة صبر فيها على العدوان واصبح يفكر دائما فى كيفية انهــاء الموقف العصيب .. وتملكته الفكرة المتسلطة تلســـــعه نهار وليل تدفعه نحو الجريمة ·

عندما اختمرت الفكـرة ، انتظـر الحاج عرفان حتى مضت ساعتان بعد منتصف الليل لينسل خارجا يحمل معه فوق أعوامه الستين سلما طويلا سنده على عامود الاضاءة وصـــعد عليه يعدل من وضع الميكروفون حتى وجهه بعيدا عن شرفته ونزل وهو سعيد . ولم تدم سعادته طويلا ففى اليوم التالى وجد أحدهم قد صعد هو الآخر يعدل وضع الميكروفون الى وضعه الأصلى ويمضى فى هدوء الى داخل الزاوية لينطلق الآذان باكبر قوة ويخترق الصوت شرفته وحجرته وأذنه وتقفز العصافير خائفة مرتبكة مرة أخرى ·· وانتظر الحاج عرفان حتى المساء ثم صعد الى الميكروفون ثانية وقطـع السلك تماما . وحمل السلم وصعد الى شقته ولم يزعجه المؤذن هذه الليلــة ·· لكن فى اليوم التالى سـرعان ما أصلح الرجـل ما افسده ، فأحس بالاحباط وبدا مهموما للغاية وأصبحت قضيته هى كيف يسكت هذا الازعاج ؟ ·

وفكرة كالومضة ، قبل صــلاة العصـــر دخل الحاج عرفان الى الزاوية ومن حسن حظه وجد الدولاب الذى يحتفظ فيه المؤذن بجهازه المزعج مفتوحا فمد يده بهدوء الى مفتاح التشغيل وخفضه للغاية ثم أداره بقوة فانكسر المفتاح فالقاه الى جانبه وانصرف من

الزاوية قبل أن يحضر الرجل العجوز ويكتشف فعلتـه ثم جلس سـعيدا فى شرفته يراقب الموقف ، وزادت سـعادته عندما رأى العجوز يقف بباب الزاوية يؤذن لصلاة العصر بصوته المجرد ، ووجدت صوت الرجل الأجش هذه المرة جميلا هادئا رقيقا ، ودام الصفاء للحاج عرفان ثلاثة أيام فقط بعدها أتم الرجل اصلاح جهازه وانطلق فى هوايته لتعذيبه هو وزوجته من الفجـر حتى ما بعـد العشاء كل يوم .

وهكذا دخل الرجل بميكروفونه الى شرفة وشقة وحياة الحاج عرفان ليفرض نفسه أوقاتا طويلة يزاحمه فى مزاجه وراحته وجنته التى أعدها بعناية فى الشرفة وحرمه من الاستمتاع بها حتى كاد أن ينفجر أو يهجر البيت كله اكراما للميكروفون والرجل العجوز .

أصبح الميكروفون العدو رقم واحد الآن ويجب أن يحشد كل طاقة تفكيره فى كيفية التخلص من هذا الانزعاج المتتالى بعد فشل الاتصالات ومحاولات قطع الأسلاك وكسر مفتاح الصوت ولم يبق سوى أن يقتل الرجل أو يفسد الميكروفون تماما ، واستغرقه التفكير فلابد أن يحرم الرجل من سلاحه الكئيب ويجب أن يخطط لانجـاح العملية حيث أن الموضوع أصبح الآن مسألة حيـاة أو موت فانه لابد وأن يصـاب بالسكر أو الذبحة أو الشلل من صوت الرجل المشروخ الذى يصمم على أن يخرق أذنيه .

ومع سـبق الاصرار والترصد ومع احكام التفكير والتدبير

والروية ، وبعد صلاة الفجر تسلل الحاج عرفان الى الزاوية ، فوجد الرجل نائما فى الركن ودولاب الميكروفون مفتوحا ، وكمـا القطة اقترب وبسرعة الصقر فصل الأسلاك عن الجهاز ولفه فى سجادة صلاة صغيرة وجدها الى جانبه وخرج به الى المنزل وجلس فى الشرفة يراجع فعلته .. هل هى حلال أم حرام ؟! وخاصة وانه ينوى رد الجهاز بعد أن يعرضه على أخصائى ليخفض صـــوته بالدرجة المناسبة كحل نهائى للمشكلة ٠

عندما حان موعد صلاة الظهر لم يخرج الرجل ليؤذن كعادته عندما ينقطع تيار الكهرباء أو عندما يكون الحاج عرفان قد فصل الأسلاك أو عطل الجهاز ، وانتظره كثيرا حتى مر وقت الصلاة ولم يؤذن العجوز ولم تحدث أى علامة عن اكتشاف فعلته الجبارة ٠٠ وقلق الحاج عرفان ، وحب الاستطلاع يدفعه لأن ينزل الى الزاوية ليرى رد الفعل ، صحيح أن المجرم يحوم حول جريمته ، ولكن لا يرى نفسه مجرما بالدرجة التى تمنعه من أن يحوم حول الزاوية ، بل سوف يدخل فى وقت صلاة العصر ويرى بنفسه ٠

توضأ الحاج عرفان فى منزله وانتظر أن يسمع آذان الرجل العجوز ، وعندما حان الوقت نزل الى الزاوية فوجدهم يسـتعدون للصلاة ، ودار بعينـه ليرى ويكتشـف ولم ير رجلـه المنشـود ولا الميكروفون . انقبض قلبه عندما راى نعشا الى جوار الحائط ، أحدهم أقام الصلاة ، وصلى معهم مشغول البال ، ثم نادى الامام على صلاة الجنازة ، فسأل جاره عن الميت ٠٠ لقد كان الرجـل العجوز ٠٠ والآن فقط عرف اسمه ، لقد كان المرحوم عبد الصادق مؤذن الزاوية وامامها ٠

صعد الحاج عرفان الى شقته متباطئا حزينا ، يغمره شعور عميق بالذنب واخذ جهاز الميكروفون، ولفه فى سجادة الصلاة الصغيرة ونزل به الى الزاوية ووضعه مكانه تماما وجلس يقرأ القرآن لروح المرحوم عبد الصادق ٠٠ يحس انه مات مصدوما عندما اكتشف سرقة الميكروفون ، فظل يقرأ ويدعو له بالرحمة والغفران والجنة حتى بدأ المصلون يدخلون لصلاة المغرب ٠٠ نظـر الحاج عرفان فى ساعته ثم أطرق قليلا وقام وفتح الميكروفون ونادى الله اكبر ٠٠ وظل يؤذن كل يوم خمس مرات ولكن كان يخفض صوت الميكروفون ثم يغلقه بسرعة بعد الأذان ٠

● ســـعادة النقــرزان

كان الجد الأكبر يعمل طبالا فى فرقة موسيقية تجوب القرى فى الموالد ولم يكن طبالا عاديا بل كانت طبلة النقرزان هى التى يلعب عليها بمهارة كبيرة .. يضعها عمودية فوق بطنه يعلقها فى رقبته وعصاتين رفيعتين من الخيرزان يدق بها على جانبى الطبلة يصاحبه على دقته المزمار والناى، فى نغمات فلكلورية تدفع الناس للتصفيق على الواحدة .. تدفع دقاته الصبية والبنات الى الرقص والتنطيط فى زفة صغيرة تجوب الشـــوارع الضـــيقة فى القرية وتتوقف عند بيوت الأكابر ، ولا تمضى الا بعد أن يحصـــلوا من أصحابها على وهبة جيدة .

ورث الابن المهنة والاسم فأصبح اسمه عبده النقرزان واشتهر بمهارته أكثر من أبيه وأصبح قاسما مشتركا لكل الأفراح والاحتفالات وذاع صيته فى الناحية كلها . واستطاع أن يطور فنه حيث ظهر فى شـــكل جديد للنقرزان فارتدى الملابس الريفية وطربوش أحمر طويل نسبيا وجعل شاربه على الموضة أيامها يرسم شكل قالب

السكر موضوع راسيا فوق شفته العليا ، وبعد أن مضى به الزمان اصبح شاربه فى لون الفضة، وتبرز بعض شعيرات راسه من تحت حواف الطربوش فى شكل كاريكاتيرى واضح ورغم شهرته فانه حافظ على طقوس النقرزان عندما يجوب شوارع القرية من اجل رزق الرجال معه . وكان عندما يدق دقاته الجميلة يتراقص معها يحجل على قدميه أو قدم واحدة حسب الانسجام ويتمايل مع النغم وعيناه تطوف تقرأ عيون الناس . تتوقف عيناه دائما على الحريم يعرف من تريده ، ويتفاهم جيدا من بعيد وهكذا كان يزور البيوت فى دورته التالية بلا طبلة ولا رجال ولا طربوش يتسلل فى فرص يعرفها كالنمس يأخذ خطفته ويختفى . وكانت النسوة تحافظ على سره بينهم ويحبونه ، ويجدن بما لديهن ويجود هو بماليده ويضحك منهن ويضحكن ، ويعلم ويعلمن أنه ربما كان له بيت أو أكثر ولد أو بنت . لذا كان رجاله يتمسكون به كثيرا فى جولاتهم يعرفون أن وجوده معهم يضاعف ايرادهم .

أيام شباب عبده النقرزان انجب ابنة وحيدة اسماها سعادة . عندما كبرت كانت تجوب الناحية معه عيناها متعلقة به دائما ، شربت كل مهنته اصبحت ماهرة تماما فى دق الطبول .. بعد ان كبرت كانت تقود الواحدة للبنات ، ويطلبونها فى الأفراح تكمل بها البهجة .. عندما تحل عندهم . واشتهرت شـــــهرة ابيها ايضـــا ويستعين بها بعض المرات لانهاء اتفاقاته مع الناس . خطبها شاب من المدينة هام بها حبا ودار خلفها كثيرا حتى استطاع ان يفوز بها وكان صعبا عليها أن تفارق القرية واباها وبهجة الموالد والأفراح .

سعادة هى نفسها لم تتغير بعد ان عاشـــت فى المدينة ، لمت الناس حولها وسهراتها بهجة وسرور وعيناها تدور على كل الناس وتتوقف عند من يريدها .. وتستطيع أن تخرج من جيبه أو بنكه ما تريد .. نفس ما كان ابوها يفعله من زمن مضى وان اختلفت

الطريقة . واختلفت مع زوجها .. ترك لها البيت والولد .. طلقها واختفى .. يرسل نفقة الولد باستمرار وانتظام . سنوات كثيرة لم تتوقف سعادة عن هوايتها وعملها وسهرات بهجتها وحب الناس لها واستغلت موقفها فى استدرار عطف الآخرين .. عطف عليها رجل جديد .. جاد بأمواله عليها وتزوجها .. امتصت كل المال وطلقها هو الآخر واختفى .. الجولة الثالثة كانت سريعة شاب صغير فى عمر ابنها .. بهرته بفنها وضحكها وسهراتها الجميلة .. غرق حتى أذنيه معها .. ابنها كان قد كبر .. يحزن من أجل أمه .. يحاول اصلاحها .. يفشل .. يهاجر الى بلاد الأمريكان ترك لها البلد كلها تفعل ما تشاء .. تزوجت الثالث الشاب الجديد .. قنصت منه بعض النقود وسيارته وكسابقيه وجد حياته بعيدا عنها وتركها هو الآخر .. أرسل اليها ورقة طلاقها ..

قالت سعادة للرابع الاقارب عقارب والأصـــــدقاء يدومون والناس تلهث فى الفلوس .. كل يجرى على رزقه .. « مين فاضى يسأل عن الاقارب .. ابنى فى أمريكا من حداشر سنة سأل على نوبة واحدة وقطع .. زمانه نسى شكلى .. الدنيا تلاهى والسهرة تحلى » والأصدقاء كل ليلة يجتمعون عند الأنس والفرفشة . نسيت القرية .. وأباها وجدها وليالى المولد والأفراح .. تتذكر ما فات عندما تكتب اسمها أو يسألها أحد عنه .. فى كسوف تصـــــريح بأنها سعادة النقرزان . « مكتوب كده فى شهادة الميلاد » وقسائم الزواج الأربعة وان كانت توقع بالانجليزية اس ان وخط طويل يجمعها فى شياكة ملحوظة .. عندما حل الدور على الرابع فى الرحيل كانت استطاعت ان تخطف منه أيضا .. كونت ثروة من أربعة أزواج لا يهم الرابع فلينضم الى سابقيه .. استمرت سعادة تنط وتقفز على قدم واحدة أو قدمين فى رقصة الحنجلة التى تجيدها من أول يوم لها فى المدينة حنجلة لليمين واخرى لليسار وكل مرة تحصد

الكثير هانئة هى .. حساباتها تضخمت .. لديها شقة وسيارة ودفتر شـــــيكات ومريدون دائما تحت الطلب لأى اشارة .. هى الأنس والسرور والبهجة .. لا تفعل شيئا خطأ يوقعها فى مشاكل القانون والبوليس . ابتسمت عندما شاهدت النقرزان فى التلفزيون فى فترينة عرض أحد المحلات وتداعى الى ذاكرتها الصور القديمة أيام اللهو والصبا .. فجاة رات فى المحل المقابل عرضا للملابس الجديدة وعبرت الشارع لتراه .. صدمتها سيارة .

عندما أفاقت سعادة النقرزان وجدت نفسها فى مستشفى عمومى ، عنبر كبير كالسوق واســـــرة كثيرة . ترقد هى فوق أحدها ، قميص الدمور يغطى جسدها العارى واربطة حول الراس ويد وساق . حاولت ان تسأل من حولها عما حدث .. حاولت الحركة .. حاولت أن تفعل اى شىء انها لا تستطيع .

رجل وقور يسير بتؤدة فى الممر بين الأسرة تصاحبه ممرضة تهمس اليه وتشير الى المرضى .. يقترب هو منهم يصافحهم ويعطى كل منهم ما يجود به .. ترقبه هى .. يقترب منها .. يده تلعب داخل جيبه تعد النقود .. سمعت الممرضة تهمس له هذه السيدة ترقد هنا منذ أسبوعين ولا أحد يسأل عنها وانها تفيق الآن لأول مرة .. يقترب الرجل ويمد يده بالنقود مصافحا ..

توقف الزمن لحظة طويلة .. خفق قلبها حتى كاد ينفجر .. تحاول الشهيق .. تكاد تختنق من الانفعال . هذا الرجل تعرفه .. كان يومها قريبا جدا منها .. أين .. متى .. من يكون .. انها لا تنسى الوجوه .

تفحصها الرجل وربت على يدها .. أخفى النقود فى قبضتها

.. سألها عن حالها وتمنى سرعة الشفاء لها .. توقفت عيناه خبط فوق جبهته متذكرا . خفق القلب وعرفها .. هى ام ابنه الذى ضيعته لقد ضيعت الابن والثروة هى .. سعادة النقرزان . لم ينس هذا الاسم ابدا . هل هذه هى نهايتها ؟ تململت المرضة .. تحاول أن تشير الى غيرها لتنهى مهمتها معه وتقبض بعض المال . هل تعرفها سيدى .. هل رأيتها من قبل . سيدتى ما اسمك .. عنوانك .. اسم اى قريب .. زوج أو ابن أو اخ .. لا تجيب سعادة .. تسمع كلمات الممرضة همسات بعيدة لا تستحق أن تعنى بها . انسحب خطوة واخرى واستدار .. سألته الممرضة مرة ثانية .. هل تعرف هذه السيدة . هز راسـه نفيا واعطاها بعض النقود ومضى .

سعادة النقرزان مازالت مشدوهة تحاول أن تتذكر وتهمس ببعض الكلمات لنفسها .. تسمعها الممرضة تحدث نفسها .. تقترب منها وتسألها عن اسم وعن عنوان .. وهمسات سعادة لنفسها مستمرة ولا تتوقف الا عندما تنام ..

● ابتســـامة جميـــلة

كتمت الشهقة قبل أن تنطلق عندما فتحت جميلة عينيها فى الصباح ومدت يدها تشد الغطاء فوق ملابسها المفتوحة تستر عريها وآهة طويلة قالتها لنفسها تدارى حيرتها عندما ادارت وجهها ورأت تقاطيع عبد الواحد الغريبة . ان هذه أول مرة تصحو وتجد رجلا غريبا فى فراشها . تقلب عبد الواحد وفتح عينيه وابتسم ، وظهرت فتحة فمه بها فجوات الأسنان التى تساقطت ومد يده يجذبها اليه وقاومت لكنها رأت أن تستسلم بسرعة فأحست بملمس ذقنه الخشن وصوته الغريب فى اذنها ولاحظت أكثر صلعته التى يداريها ببعض الشعيرات المرصوصة وقد اتحدت وبعدت عن أماكنها فى عناد لتظهر الصلعة واضحة .. بعدها تسلل الى أنفها رائحة غير التى تعودتها .. تململت وانسحبت واعتدلت ووضعت بسمة وأزاحت دهشتها ، ورسمت الارتياح وعدلت وضع عينيها المتسائلة لتستقر .

انصرفت تعد الشـــاى يتملكها الشعور الذى انتابها عندما استيقظت لخصته لنفســـــها .. غريب فى فراشى .. وتابعت عبد الواحد فى حركته عندما كان يحلق ذقنه وتراقب تعابير وجهه وهو يطارد الشعيرات فى الأطراف ويساوى شعر حاجبيه فى حركة سخيفة وعندما كان يعتنى برص الشعيرات فوق الصلعة ويلزقها بالكريم حتى تظهر كل رأسه بلون واحد، ثم راقبت حركته وهو يرتدى ملابسه ، كل ذلك كان جديدا عليها ويبدو أنها لم تكن تتوقع أن تعيش هذه اللحظات .

وجدت جمينة أشياء كثيرة تنشغل بها وهى تراقب تصرفات عبد الواحد فهو يضع الأشياء فى غير موضعها ويستخدم الأدوات بطريقة أخرى وهو نفسه له طريقة مختلفة . حاولت ألا تنزلق فى اتجاه الماضى وتقارن .. اذن لن تقارن فقط سوف تتذكر . ان هشام زوجها الأول كان عندما يستيقظ يبتسم مغمض العينين يمد يده يداعبها برفق أو يتركها نائمة ويتسلل يعد لنفسه الشاى وعندما يجدها مستيقظة فانه يكون رقيقا حنونا .. صحيح أنه لم يعد كذلك ولم يعد ملكا لها .. لقد تغلغل داخلها أعواما كثيرة . استلمها وهى طفلة وتركها على أبواب الخمسين بعد أن رتبت حياتها أنها موجودة دائما . لقد ظنت أنها تحتل مساحة كبيرة فى حياته واطمأنت الى ذلك . لقد كانت تصـــحو كل يوم من أجله وأيضا تنام وتفعل كل ما تستطيع لانه يريد ذلك ، أحبته وأحبت البيت .. الجـــدران والأرض والسقف وقطع الأثاث والأدوات كان كل كيانها . لفت هى ذاتها ووزعتها على الأشياء كلها .. يجب أن تكون كما يحب . كانت لا تترك الكوب من يدها وهى تغسلها الا عندما تصبح كالجديدة فان هشام سوف يشرب منها وتعدل الوسادة فانه سوف يضع رأسه عليها وهذه الصور ترتبها فى البومات بالطريقة التى يحبها تحكى أيامها .. كانت تأخذ منها وقتا طويلا عندما تتأملها تتدافع

ذكريات الشباب على الكورنيش والحدائق واعياد الميلاد والزواج وصور الأولاد عندما ولدوا وحياتهم معهم صورة بعد صورة . صور نبيلة ابنتها مع خطيبها تراها تقفز السعادة من عينيها . انها تحتاج لأسبوع وحدها لتعيش ذكرياتها .. ايام .. وهذه الصورة الأخيرة لهما معا هى وهشام فى مناسبة لأحد الأصدقاء تكاد تقرأ فيها المستقبل .. نظرته سارحة لامبالية وهى تجلس وقد زرعت عينيها فيه .

هزت جميلة رأسها لتزيح ذكريات الأعوام وانطلقت ترتدى ملابسها وفتحت الدولاب وأخرجت الفستان .. هو نفس الفستان الذى بكت فرحا عندما اهداه هشام اليها . فرحت انه يفكر فيها .. ان لديها العشرات ولكن هشام يكفيها منه انه يتذكرها ولبست الفستان وتسريحة هو يحبها وقرط اهداه اليها .. انه يحبها هكذا وتحب أن ترى نفسها جميلة فى عينيه . راقبت شكلها فى المرآة ونظرت ووجدت هشام خلفها يحيطها بذراعيه .. صدمت أنفها رائحة عبد الواحد .. فتحت عينيها لآخرها وتمالكت .

فى المساء حضروا .. سيدات ورجال كلهم عواجيز .. ثمه وزوجته .. وخالته وزوجها ثم أولاد لهم كلهم فى سنها أو أكبر يباركون ويقدمون الهدايا ويتعرفون .. اشكال جديدة وأسماء جديدة وعلاقات جديدة ودنيا غير الدنيا .. عيناها تحيط عبد الواحد ترقبه .. ترصده .. تعد حركاته وتحاول أن تألفها وتتكيف عليها وستظل تحاول . ان أمها وخالتها وكل صديقاتها نصحوها بالزواج وهاهى تزوجت والنتيجة عالم جديد هى فيه ، وتتكيف الآن وتعد الشاى والمرطبات وتوزع البسمات والمجاملات وتضع قناع السعادة التى يتوقعون أن تكون وهى تتوقع أيضا هذه السعادة .

عندما كان هشام يعود مرهقا من عمله كانت سعادتها أن تعد

له كل شىء ، الحمام والطعام والملابس ، وأيضا تعد أذنيها لتسمع كلماته كيف قضى يومه ، كانت تعيش به وحوله تحس به فى أنفاسها ونبضات قلبها وافكار عقلها ، ترتب كل شىء من اجله . كانت تحب الا يفعل شيئا هى ليست فيه . لقد أحبت كل ما يحب ، الناس والأشياء وعاشت كل أيام وحوادث أصدقائه واهله وتعلم كل شىء عنهم وصارت قطعة منهم وتركت كل الآخرين . وعندما نزع نفسه منها وجدت نفسها وحدها دون هشام دون اهل ولا ناس ولا اشياء .. لقد كانت هى الهامش وكان هو واشياؤه كل شىء . وجدت الفراغ ولابد أن تملأه وكانت المشكلة أن هشام ليس هنا ليملأه مرة أخرى .

ان اى واحدة اخرى لن تقنعه فلن تســتطيع أن تكون معه وحوله وداخل عقله وقلبه مثلها أبدا .. لابد أنها نزوة وسوف يفيق فى أيام قليلة .. شهور قليلة ربما . مرت الآن السنوات وهو غارق فى حكايته مع زوجته الجديدة وربما لم يتذكرها ابدا .. وتخاف جميلة أن تجد عبد الواحد قد نحاها هو ايضا بعد أن نحاها هشـــام من قبل .. ان عبد الواحد لم يقربها اليه حتى تقول أنه نحاها .. فقط يستطيع أن يفعل الأشياء بدونها ويفكر وحده ويقول وينفذ وليس لها مكان فى عقله .. دنيا عبد الواحد عمرها كبير ودنيا هشام أنشأتها معه يوما بيوم .. رتبت معه الأثاث والأدوات وجلدت كراسات الأولاد معه وعاونته فى شد حبل الغسيل ايضا ، كل شىء كان مشتركا فى حياتهما البسمة والدمعة ، والآن عبدالواحد جالس يقرأ وحده ويشاهد التليفزيون وحده وعندما يكونان وسط الناس يحدثهم وحده فهو يعرفهم وهى تراهم للمرات الأولى وحاولت الدخول وصدها برفق الا تتدخل . يحتاجها لتكمل حياته .. هشام احتاجها لتكون حياته .

دائما هشام يقف أمام عينيها ، تحتار وابتسامة اللامبالاة تغيظها

فتهز رأسها لتخرج صورته منها لتعود مرة أخرى . أن عبد الواحد رجل ككل الرجال وعيوبه مقبولة .. هى نفسها لا تستطيع أن تعدد العيوب فقط لم تتكيف معه حتى الآن وقدمت محاولات قصيرة سريعة لتوهم نفسها أنها تستطيع الاستمرار . تامر شكل هشام الخالق الناطق عندما يقف ويجلس ويتكلم ، أحبت أن يزورها وتملى عيناها منه . زارها مع نبيلة أخته أمس الأول ، جلس وسند رأسه ولعب فى شعره يلفه حول أصبعه ويبتسم ويســـــمع ونفس تعبيرات الوجه .. قفزت جميلة واحتضنت تامر .. عصرته بين ذراعيها تحاول أن تدخل فيه أو تدخله الى روحها . انفعل الولد رضم الأم وبكى وبكت جميلة وبكت نبيلة أيضا وعبد الواحد تركهم ودخل تاركا فيض المشاعر يجرى فلن يستطيع أن يغير مجراه .. شبعت جميلة بعد أن انتهت دموعها مسحها لها تامر وقبلها وكلمات الحنين والشوق كأنما لم يكن معها من أسبوع مضى .. هو بكى لفراق أمه ولهفته عليها وبكت هى أمومتها وضعفها وأيضـــــا بكت أيام هشـــــام .

فى المساء استطاعت أن توقف اسم هشام على طرف لسانها . ضبطت الاسم يتسلل خارجا .. أوقفت الكلمة وابتسمت وعدلت الحروف ونادت عبد الواحد أن يرد على التليفون .. دخلت جميلة الى الشرفة وكالعادة جلس طيف هشام فى الكرسى المقابل لها تحاوره كما تفعل دائما منذ تزوجت عبد الواحد .. هذه المرة عقدت له المحكمة واستعدت أن تقدم الاتهامات وتعرف دفاعه مقدما .. انه مل الحياة معها بعد أن مضى الزمن .. قالها ضاحكا .. افراج ياجميلة لحسن السير والسلوك والمؤبد انتهى .

عندما حضر المأذون قال كلاما جميلا كثيرا وحاول ظاهريا اقناع هشام بالعدول عن الطلاق وعندما انتهى كلامه أشـــــار له بالرفض . تحول لها الشيخ يفهمها حقوقها لدى هشام .. اغمضت

عينيها لتستجمع قواها .. ماهى الحقوق التى يمكن أن تكون لها ؟ انه ينهى علاقته بها ليعود كل منهما وحيدا ثانية يفعل ما يشاء بدون الآخر .. انه يستطيع أن يتزوج ويخرج ويسافر ويشترى ويأكل بدونها وقرر ذلك . وهى هل ستعود صغيرة مرة اخرى وهل تستطيع الزواج وهل ستحب رجلا غيره ؟ الحقوق فلوس .. ياترى لو قيمت السنوات وما فعلته من أجله .. لقد قدمت له الأولاد وحمتهم حتى صاروا فى مثل طوله يحبهم ويحترمهم كل من حولهم ويقدرونهم . قدمت له الطعام والراحة واطمئنان العمر كله . «بكام» .. لقد سارت على أطراف أصابعها تسترق الخطوات لتسحب التليفون من جواره حتى ينام هانئا ، تكفلت بكل شىء من مصروف البيت حتى مشاكل مدارس الأولاد ومشاغباتهم .. ومشكلات الاحتياجات والجيران والبواب وعلاقاتها وعلاقاته مع الناس .. كل ذلك كان من اجله . «بكام » . سهرت تعد له كل شىء وكل لياليها تفكر به وله وحوله وبعد أن كبرت يتركها . «بكام» . صدمها صوت الشيخ يسألها عن حقوقها وهل وصلتها قبل أن توقع ورقة اعدامها .

رفعت جميلة عينيها الى هشام لتدجه قد انهمك فى كتابة شيك يدارى انفعالات الموقف ثم مال الى أخيها يهمس له برقم .. ان الأرقام لا تمثل شيئا لديها .. اللحظة هى الفاصلة ، انها والشيخ واخوها وربما الرجل الغريب الذى سيكون شاهدا على الحدث كلهم لا يرغبون .. هو الوحيد الذى جعلهم ينظرون اليه . سمعت هشام يضاعف الرقم ولم يرد الأخ ولا الشيخ ولا هى .. ضاعف هشام الرقم الأخير ليكون أربعة أضعاف الرقم الأول .. يحاول أن يكون كريما للمرة الأخيرة .. لقد كان طول عمره كريما معها الا فى هذه المرة انه غير كريم .. وهزت رأسها بلا معنى ووقعت الورقة .. أسبوع واحد كان الفاصل فى حياتها مع هشام .. احست الجمود

والصلابة وعدم التفاهم وكلام حول الحياة المستحيلة وكرامة الرجل بلا داعى ولا معنى واحست بالمرأة الاخرى تبرز فجأة فى حياتهما . وليكن ولتحاربها بهشام نفسه ولم يعطها الفرصة ابدا لتفعل ذلك . كان يريد الأخرى فغدر بها وانحرف نحو حياة جديدة مباشرة دون أن يأخذ لنفسه فرصة الاختيار وهدم معبدها فوق راسه . ذلك المرأة اللعينة التى ظهرت وخطفت اهتمامه وشبابها وعمرها وشقاء السنين . اخذت هشـــــام كله جاهزا . والحكم مذنب والحيثيات مراهقة تأخرت كثيرا عن موعدها . وكان لابد أن تحكم على نفسها أيضا ، وحكمت وتزوجت عبد الواحد عقابا لهشام أنه تزوج .. عبد الواحد ليس به عيب بل يستحق الاحترام والاهتمام والحب تراه طيبا عاقلا حنونا .

مرت دقائق أو ساعات لا تدرى جميلة فقد وجدت عبد الواحد يضع يده فوق كتفها يداعبها بعد أن تأخرت عليه ووجدها نائمة ودمعة تقف فوق الوجنة .. مسحها وابتسم وابتسمت جميلة .

● زينـــة الصـــبايا

كان عبد الماجد يجلس عند راس الحقل بجوار هرم صغير صنعته الفتيات من محصول القطن يرقبه وهو يتزايد ويعلو بينما كان صوت ام كلثوم يشدو بأغنية حبيبة لديه ، واهازيج البنات تترامى الى سمعه من آن لآخر كلما اقتربن منه جالسا يرقب حصاد الموسم امامه . وكان رئيس العمال يعلو بعصاه لأعلى صائحا بالفتيات ليزدن من سرعة جمع القطن .

فى الظهيرة تجمع الكل تحت ظل شجرة التوت ، وكان يحلو لهم جميعا الســـمر فى القيلولة وقد تربط احداهن الطرحة حول وسطها وتدق لها الآخرى دقات الرقص ويصفقون مرحا وطربا وكل ذلك يبعث البهجة فى نفوس الكل .. عبد الماجد ورئيس العمال والفتيات والجميع فى القرية يعيشون هذا الموسم فى حالة روحانية مختلفة عن العام كله وكل شىء مؤجل حتى بيع محصول القطن .

كانت أحلى الفتيات هى اكثرهن إنطلاقا ونشاطا .. كانت

وردة . وهى كالوردة فعلا والكل ينطلع اليها يسمع شدوها بالغناء ويراقب رقصها الجميل الذى يشد من الوهلة الأولى ترى فيه جمال الحركة وروعة تناسق الجسد الأنثوى عندما يتمايل مغلفا بالدلال والخجل . ولم يكن شباب القرية ينتظر ان يراقبها وهى ترقص فى الحقل أو فى مناسبة ما فى بيت من بيوت القرية فقط بل كانوا يتابعونها جميعا كل يوم أمام دارها واثناء عملها وشرائها وكانت سيرتها على كل لسان .. سيدات القرية قبل الفتيات والجميع يرقبون فى شغف وحب وتقدير لها . كانت وردة ابنة عم مصطفى عاقلة مؤدبة تعرف الأصول وتعرف متى توقف من أمامها عند حده وبنت لنفسها قصرا من الكرامة حتى اصبحت حلم شباب القرية ورجالها رغم فقر والدها عم مصطفى . وكانت أمها حارسا لها كل ليلة تتسامران معا حول احوال القرية وداخل السمر تزلف لها المبادىء والقيم ولأصول حتى كبرت واصبحت امها وحديثها هو طريق حياتها فزاد جمالها اخلاقها .

معجبانى كان عبد الماجد قبل زواجه .. يضع الطاقية موروبة فوق جبهته والعصا لا تفارق يده .. ملابسه نظيفة دائما وحوله هالة منحها الله له وبسطة فى الجسم والعقل جعلته مهيبا فى القرية يلجأون اليه ليحسم النزاع ، فاذا انحاز الى جانب رهبه الآخر سواء ظنوا أنه سيستخدم ضدهم قوته وعصاه أو عقله ليحكم حكما يسمعه أهل القرية ويعملون حسابه وينتظرون وصوله . وعندما أراد الزواج تزوج ابنة شيخ البلد .. أم أولاده الثلاثة ولدان وفتاة ومضت السنوات رتيبة هانئة ..

حميدة بنت شيخ البلد زوجة عبد الماجد .. قوية عفية جميلة وبنت الأصول . ورثت عن أبيها أشياء كثيرة منها محبة أهل القرية والرأى السليم والتدين وخمسة فدادين أضافها عبد الماجد الى أرضه يزرعها أيضا ، واعطته ثروته مهابة فوق مهابته .. وورثت حميدة

عن أمها طريقتها لتربية الأولاد فانشأت أولادها صـــالحين متعلمين منهم من يساعد ابيه فى زراعة الأرض والآخر استمر فى تعليمه أما البنت فتوقفت عند الاعدادية عندما كبرت ودخلت طور الفتيـــات تساعد امها وتتعلم منها ، ولم يجرؤ الشباب ان يتقدم خوفا أن يرفض ابوها أو أن ترفض هى . كانت زوجة عبد الماجد تقـــوم بجميع اعمال المنزل من أول يوم لزواجها . تصحو فى الفجر تصلى وتنهى اعمال العجين والخبز وحلب الأبقار وغسل الملابس وتصنع الجبن والزبد وترفع الحطب الى سطح المنزل وتهتم بأولادها وزوجها ولم تنس نفسها أبدا فدائما نظيفة جميلة . ولم يكن ابوها شـــيخ البلد أو ثروته حجابا لها عن هذه الأعمال بل كانت تفخر وســـط النسوة انها لا تضطر للأخريات لتقضى لها أعمالها ، وكانت فوق ذلك تساعد الجميع وقد يساعدنها فى بعض الأحوال . وبمرور الأيام زادت ثروة عبد الماجد وورث ارضا وورثت هى ايضا ولم يكن ذلك ليمنعها أن تعلم ابنتها اعمال المنزل هى الأخرى حتى تكون زوجة كاملة كما كانت هى .

فى ليالى الصيف كان يجتمع بعض رجال القرية فى دوار عبد الماجد وتجتمع النسوة فى صحن الدار وتدور أحاديث السمر حول احوال القرية والنوادر . فى مجالس الرجال يدور الحديث حول الزراعة واسعار المحاصيل والأعمال واخبار أولاد القرية فى البندر والمدينة واخبار المسافرين وكلما اقترب موعد الحصاد تزيد احاديث الرجال عن العمل والتكاليف والأمانى فى المحصول الجديد، وعندما يقترب محصول القطن تمتلىء احاديث المجلس بأخبار راغبى الزواج هذا الموسم .

هذه المرة كانت غير كل المرات فقد كان الحديث أن الحاج اسماعيل قد تزوج فتاة صغيرة فى عمر ابنته واصـــطاده الرجال

يمزحون وغمزات ونكات قد يخرج بعضها عن المألوف فى مجلس عبد الماجد ولكن كلها فى حد الأدب ، الحاج اسماعيل طاب له ان يستعرض قوته وثروته وقال انه يستطيع أن يتزوج مرة اخرى وان الله قد وسع رزقه واعطاه صحة جيدة رغم تجاوزه الستين وانه سوف ينجب أولادا ايضا ، الرجال استكثروا هذا عليه وقال احدهم ماذا لو كنت فى عمر عبد الماجد أو قوته اذن لتزوجت اربعة ، وهكذا تحول الحديث الى عبد الماجد وكلهم مدحوه أو نافقوه أو تقربوا اليه بكلمة تشجعه .

هنا قال الشيخ مصطفى متسائلا أريد ان ارى رجلا واحدا فى القرية يستطيع أن يرفض طلب عبد الماجد ان يزوجه ابنته ، واضاف انه زينة رجال القرية امس واليوم وغدا . ولم يكن يدرى أنه قد وجه تفكير عبد الماجد الى وردة . كانت احاديث القوم رغم قربهم وعلو اصواتهم تصل الى عبد الماجد همهمات خافتة فقد سرح فى وردة . انه يراها الآن أمامه تجنى محصوله أو ترقص أو تضبط الواحدة لفتاة اخرى او .. انه يكاد يسمع شدوها .. يراها جميلة الجميلات وراح يســـــتعرض مزاياها .. شعرها الفاحم الطويل وقدها المياس وآه من عينيها المكحولتين .. ولكن اين هو من شباب هذه الأيام انهم لن يدعوه يفلت من السنتهم وهكذا انزلق رويدا الى التفكير فى زواجه من وردة وراح يتوه مع الفكر مرة بالايجاب ومرة مترددا يستبعد الفكرة .

ليلة اخرى كان يتسامر مع الشيخ عبد الحليم امام المسجد وتطرق الحديث الى الزواج ومازحه عبد الماجد انه يفكر فى الزواج ولم يبح باسم محبوبته وكالعادة فقد أفتى له بجواز زواجه مرة وثالثة ويمكنه اكثر اذا اراد ويحتفظ بأربعة مازحا . عندما رآه الشيخ عبد الحليم انه يبدو جادا حاول بقوة وذكاء أن يعرف نواياه وغلبه حب الاستطلاع .. ثم غلبه عبد الماجد وزاغ منه ببراعة .

ذلك اليوم عندما كان عبد الماجد جالسا عند راس الحقل نادى على وردة وجعلها قريبة منه وجاذبها اطراف الحديث ، وكلما فتح بابا اغلقته هى بالذوق او بالهروب ، والهب ذلك افكاره وبدأ يهيم بها ولم يصل الى حد الجنون وحافظ على وقاره وهيبته ولكن لم يبعـدها عنه .. فقط باعد بين مرات هجومه ربما لانت المرة القادمة ، واستطاع أن يحل عقدة لســانها . انه لا يطمع فيها بالحرام .. يريد أن يتاكد انها تقبله قبل أن يطلبها من أبيها ولم يسترح قلبه . أصبح ويبيت يفكر فى وردة يتابع اخبارها هو الآخر. لا يسأل عنها فقط يسمع احاديث الناس ويجعلها الى جواره حتى راست عمالة البنات وتسيطر على وقت الفذاء وتقوم بعمل الشاى له وتجهز له الجوزة التى يدخنها وبدأ يشرب الشاى كثيرا ويدخن اكثر ليحلو له ان يناديها دائما واصبح اسمها حلوا فى فمه يلوكه فى اليوم عشرات المرات ، ولكن الاسم لا يكفيه . وبدأ الشيطان داخله يريد الجسم أيضا يرمقها من بعيد يرسم خطوط جسدها بعينيه ويمد بصره ليختلس نظرة من فتحة ثوبها أو عندما تشمر ساقيها لتغسل الأوانى أو عندما تغتسل آخر النهار وتكاد النار داخله تصهره والرغبة تتملكه .

وردة هذا الحلم الثائر فى نفوس شباب القرية من هو الذى تحلم به .. ماذا يكون ومتى يظهر ونعرفه . كان السؤال فى كل عقل يدور ويخمنون ويتداورون ولا يصلون لشىء وينتهى السمر والسؤال باق لليلة قادمة .. وتحلم وردة ككل البنات بفتى قوى غنى يريحها من عناء كل يوم ونظرات الرجال التى تغوص فيها .. انها لا تدرك كل هذا ولكن تشعر بالخطر وسلاحها الحذر وقلبها يوجهها أن تستمر أو تتوقف ولم يكن هناك فارس معين تتوقف أمامه أو تحلم به . كان ما تلقاه من الرجال يكفى لارضاء غريزتها الفطرية

وتحس بالتيه والفخر أمام الفتيات اللاتى يحسدنها وتحتفظ معهن بكل الثقة والحب .

عبد الماجد ليس عجوزا .. فقط هو فى أواخر الشباب مازال قويا فتيا يحتفظ بمكانته التى يعرفها فى منزله والقرية وامام نفسه ولكن بضعف الى الداخل فى اتجاه وردة .. وثانية مالت الطاقية موروبة فوق جبهته واهتزت العصا فى يده كأيام زمان .. وكان يتلكأ أمامها مرات كثيرة لولا هيبته داخله وخوفه أن تهتز واصبح يصارع وردة بعينيه وداخله .. ويصارع القرية كلها ان وقفت فى طـــــريقه وان تفعل لقد رحب أبوها أمام المجلس كله بأعلى صـــــوته .

غمرت القرية موجات الحبور والسعادة وتدفق المال فى أيدى الناس من أجرة جنى القطن ومن ثمن محصوله وبدت الفرحة على الوجوه والعيون والسماحة طابع أهل الريف حتى لا يكون هناك محروم فى الموسم . وليلة ليست ككل الليالى بعد أن فاض الشوق بعبد الماجد اتاه الشيخ عبد الحليم ومعه أولاده .. جلسوا فى الدوار ولم يكونوا وحدهم .. كان الحريم قد دخلوا من الباب الآخر الى صحن الدار واستعد الجميع لسمر طويل واشتعلت نيران الراكية والجوزة . لم تكن زوجة الشيخ عبد الحليم لتستطيع ان تتكلم فى أشياء الرجال أو موضوعات لا يسمح لها الشيخ ان تخوض فيها .. لكن حميدة زوجة عبد الماجد احست أن الزيارة فيها شىء غير عادى وصنعت الشاى وقدمته باسمة حيرانة تحاول ان تفسر البسمات التى تدور على وجه ضيفتها .

الشيخ عبد الحليم دخل فى الموضوع مباشرة بعد الشاى وطلب بدرية ابنة عبد الماجد لولده الأكبر ولم ينتظر الاجابة وقام

واقفا يستعد للخروج ولم يكن فى وسع عبد الماجد الا أن يوافق فهذا الموضوع مؤجل اعلان الموافقة عليه منذ عامين والعام الماضى لمح له الشيخ عبد الحليم انه آن الأوان وهذا العام اكملت بدرية السادسة عشر والموسم قد حل ولم يبق الا اعلان الموافقة ، ووافق عبد الماجد مرحبا وانطلق الشيخ عبد الحليم وحربمه الى داره .

لحظات جلس فيها عبد الماجد وحده بالدوار يستدعى أفكاره وكلماته ووعوده للشيخ عبد الحليم ووجد انه تصرف جيدا وبحكمة وان الموضوع كله سليم وانه يجب أن يزوج بدرية الآن وعلى خيرة الله ، ودخل الى اهله باسما يزف البشرى لهم وارتفعت اول زغرودة من بيته بعد خمسة وعشرين سنة من زواجه لتجاوبها على الفور زغاريد من الدور المجاورة كانت كالمظـــاهرة الفرحة ، ثم هجم الجيران على الدار يســتطلعون ويطلقون مزيدا من الزغاريد فى اتجاه السماء والدور الأخرى ، وانقلبت القرية الى دار عبد الماجد لتبارك وادرك انه تسرع أن صرف صديقه الشيخ عبد الحليم قبل مظاهرة الحب هذه .

دارت الأيام سريعة وكان أسرع منها الشيخ عبد الحليم فقد صمم أن يتمم زواج ابنه هذا الموسم ويدخل بيته قبل نهاية محصول القطن ، وتكاتف أهل القرية كلهم لمعاونة الشيخ عبد الحليم فسرعان ما ارتفع جدار جديد وعروق الخشب والأسمنت وتوصيلات الكهرباء وطلاء جديد لمنزل جديد وفرحة للقرية كلها .. كلهم يحبون امامهم انه سبيلهم للهدى والجنة ، وسرعان ما كانت ليلة الحنة ثم الفرح للزفاف . وكتقاليد القرية المصرية من قديم الزمان ليلة الجلوة وليلة الحنة وليلة الفرح وزفة العريس . كان الفرح فى دوار عبد الماجد وانطلقت الزغاريد مرة اخــــرى مع طلقات الخرطوش يعبر كل الناس عن فرحهم وأملهم .

انطلق الشباب مع موكب العروسين يدورون فى شـــوارع القرية تنتظرهم النسوة امام الدار الجديدة والبشـــر يلم الجميع والأغانى والأهازيج وطبول الفرح ورقص البنات والشباب يتمنى كل منهم يومه القادم . اما الرجـــــال فكانوا فى دوار عبد الماجد يملأونه بعددهم وامنياتهم ومباركتهم واحاديث الزواج . وســـرح عبد الماجد وكانت هوايته الجديدة أن يسرح بفكره من اول الموسم . وردة هى عماد سرحته دائما .. تمناها بالحلال ولم يصغر نفسه لا امامها ولا امام نفسه .. فقط يباسطها ويماشيها ويتلطف معها ملمحا ودائما هى تهرب او تســـد الطريق ببســـمة او ضحكة او تتشاغل عنه .. لو تزوجها فانه ســـوف ينجب منها صبى وفتاة ستكون كالقمر والصبى سوف يكون مثله ، وعم مصطفى رجل طيب ويوافق وستفرح القرية فرحا ربما اكبر من هذا الفرح .

ألقى احدهم المنديل الأبيض فى حجره ، أفاق على المنديل وزغاريد طويلة كثيفة خارج الدوار واهازيج البنات تهنئـــة على شرف ابنته وشرفه الذى رفعته عاليا ودمعت عيناه ولم يتمـــالك نفسه وجرى الى الداخل .

هدأت الأمور وانصرف الناس .. الرجال والحريم ، وأغلق باب الدوار ودخل الى حجرته يصارع أفكاره .. توقف عند الباب . كانت فى مواجهته ام العروسة والبشر يملأ وجهها ويفيض كأنما هى العروس والفرح كلام عينيها واقترب وامسك يدها يحدثها . احمرت وجنتاها خجلا .. حاولت أن تفلت من يده .. (اختشى

قالت .. بنتك بتتجوز دلوقت) .. كانت هذه كلماتها البسيطة ..
تحرك لسانه وكلماته انطلقت .. انت الليلة احلى من الوردة ..
احلى بكثير .. من يستطيع ان يتمالك نفسه .. ولم يتمالك نفسه
وضمها اليه واحس بالندم يتسرب اليه بطيئا .. اين كانت حبيبته
.. غابت عنه كثيرا هذا الموسم .. انشغلت عنه بعروســـها ،
وانشغل هو بمحصوله وبوردة .. آه .. وردة .. هناك رجل آخر
يستحقها اما وردته هو ام اولاده .. ضمها اليه بشـــوق وارتياح
الندم .. كانت فكرة مجنونة وضحك عاليا . فزعت ام الأولاد ..
دفعته قليلا لترى وجهه وارتسم على وجهها التعجب ثم دفنت راسـها
فى صدره .. وبكت ام الأولاد ..

● أحضـــان المطـــار

حضن كبير فى المطار .. أبعدها عنه قليلا ليرى وجهها كله دموع وعيناها حنفية مفتوحة وشهقات اللهفة والخوف على أيام قادمة تطول وحيدة بدونه . يداها تقلصت تمسك به وملابسه ألا يبتعد .. تحتاج هى الى تلك اللحظة الأخيرة كانت قبلتها على خده آخر ما أحسه منها . امتلأت عيناه دموعا وأحس بقلبه ينقبض وانتزعه اخوها من حضنها «وكفاية كده» . لوح بيده من آخر صالة المسافرين ورآها ترتمى باكية فى حضن أمها .. ساعات بالطائرة والصورة ثابتة فى خياله .. حلما معا بسفرة واحدة ليشتريا شقة وسيارة وأدوات تملأ العش السعيد .. رضيا معا بأول سنوات التخرج فى شـــــقة الأم يزاحمها الجميع على المائدة والحمـــــام والتليفزيون . اليوم يبدأ النضال والعد التنازلى لتحقيق الأحلام . لم يحب غيرها أبدا منذ وجد نفسه رجلا . كانت أول بخته . عظيمة هى وصـــــبورة مدبرة يثق بها ويحترمها وسوف يحقق أحـــلامه وأحـــــلامها ..

شـــــهور تمر واخرى بعدها يعمل هناك فى حر النار وبرد الشتاء ليضع الدولار فوق أخيه .. وتحويلات تلو الأخرى وجوابات وتليفونات الاطمئنان وأصدقاء يروحون ويعودون برسائل وأكلات يحبها . مر العام والثالث . ثم عاد واللهفة تطيح به واستقبال لم يحلم به أبدا . عاش ليلة ويوما فى الخيال . فى الصباح المشوار الضرورى الى البنك .. كشف الحساب وابتسم الابتسامة التى حلم بها . قرأ الرصيد .. تعجب .. ان قريته لأجيال كثيرة مضت لم تكن لتقدر لو جمعت ثرواتها أن تقارب الرقم .. اطمأن وعاد .. فتحت الحقائب .. الهدايا للجميع لم ينس أحد .. هى الى جانبه دائما ملتصقة به تشفق عليه وعليها أن تمر اللحظة بدون لمسته أو رؤيته . العام القادم الأخير .. ينتهى العقد ويتسلم مكافأة نهاية خدمته . ومرة واحدة تكون النقلة شقة وسيارة وعفش جديد وكل الأحلام .. سافر ومضت أعوام أخرى ثلاثة .. تضاعف الرصيد وزادت الهدايا وزادت قيمتها للجميع انها ضريبة الســـفر . أهل زوجته مازالوا يتحملونها حتى الآن ولابد أن يضاعف القيمة حتى لا تكون ثقيلة بينهم .

شقة تمليك فى الحى الراقى .. فى المهندسين .. صاحبها رجل طيب يعرض تسهيلات فى الدفع .. ممتازة .. فرصة لا تعوض .. الشقة رآها الجميع .. حدثهم بالتليفون من هناك ووصفوها بدقة وفرحة . المشوار للسفارة وعمل التوكيل .. ارسله بالبريد الدولى الســـريع .. وصـــــل التوكيل بعد يومين .. التوكيل مضـــــبوط .

صرفت النقود من البنك .. اشترت الشقة .. واشترت كل الأدوات .. السوق الحرة فيها كل شىء آخر صيحة وآخر موديل .. ثلاجة اثنين باب ومراوح أتوماتيك ودفـــايات بالزيت

وجهاز تكييف وتليفزيون بالريموت وشاشة مسطحة عريضة وفيديو بكل الأنظمة وسجاجيد .. خير ربنا كثير .. يتـــابع الأخبار بالتليفون .. مطمئن .. يرسل باقى الحوالات .. اشـــترت السيارة .. فى جراج العمارة ترقد هناك مشرقة لامعة تعمـــل بالكمبيوتر واللمس .. مطلوب مبلغ كمان .. آخر قسط فى ثمن الشقة .. زادت شهور الغربة هذه المرة حتى يغطى التكاليف .. الأسعار نار .. زادت ثلاث مرات .. مش مهم .. الأيام تمر وسوف يجمع المطلوب وشوية زيادة كمان ويعود .

عاد .. وجد كل الكلام مضبوط . (عملت كل اللى عليها .) بذلت مجهود كبير .. حضن كبير وعرفان .. حبيبته حققت كل الأحلام .. الأيام تمر والتحق بالعمل الجديد .. يســـتريح من سنوات الغربة .. كل يوم يلاحظ شيئا جديدا .. حبيبته تغيرت .. هى نفسها بالطبع وتصرفاتها عادية فى كل شىء وأشياء فقط تغيرت .. نظرتها واعية .. أسئلتها ذكية .. تتدخل فى الوقت المناسب .. تسكت الآخرين بنظرة .. مشـــاويرها مبهمة .. ملابسها اختلفت .. شعرها مهم جدا عندها .. وماذا فى ذلك .. الأيام تفصح عما يستتر ..

مناقشة حول الفلوس .. كلامها جامد .. صوتها عالى .. طلباتها قوية .. آمرة هى هذه المرة .. ما هذه القوة .. انها فعلا تغيرت ويجب أن يوقف هذا التيار والا اصبحت شرابة الخرج رمزا له .. لن يكون ذلك .. تطور الحديث بالصـــوت العالى والشتائم وجهت اليه .. شتائم لم يسمعها أبدا فى بيت أبيها .. تنمرت له .. تتحفز . لابد أن ما يراه هو الكابوس .. حلم .. فيلم .. مذهولا تلقى الصفعة عندما حاول ايقافها . ضربها مرة بعد أخرى . استثارته أكثر .. ردت ضرباته بقوة والقت عليه

الادوات والطفايات وكل ما فى متناولها تحاول أن تصيبه .. انها معركة .. الأب والأم والأخ والخال .. مؤتمر ومحاولات لارضائه وارضائها . أمام الرجال طال لســـانها مرة أخرى .. حاولت الاعتداء ثانية .. كرامته التهبت .. قفز خارجا وعاد ومعه المأذون .. طلقها الى غير رجعة قالها واثقا غير نادم وتنازلت عن كل حقوقها فورا .. انصرف المأذون .. نزل معه لتوصيله ويقدم له الأتعاب والرسوم .. شهم هو دائما ..

من شرفة الدور الأول نادت عليه باسمة .. التفت اليها .. القت اليه بحقيبة كبيرة تحوى ملابسه .

كل شيء اشترته باسمها .. كل شيء ماعدا حسابه فى البنك بعد أن أصبح الرصيد لا يكاد يكفى ثمنا لوجبة واحدة .. اشترت كل شيء وباع هو ثمان سنوات لها مقابل لا شيء .

دخل الجراج .. فتح السيارة .. زجاجة مملوءة بالبنزين افرغها عليها كلها .. واشعلها .. وقف يشاهد النار تحرقها .. تمنى لو كانت هى بداخلها .. تمنى لو كان هو بداخلها .. وخرج الجراج قبل أن تنفجر السيارة .

• بيت أحلام فردوس

فى شارع السوق كان منزلهم . وفردوس أصغر أخواتها خفيفة نشيطة تقفز بسرعة تشترى الأشياء وتصعد السلم جريا تلحق بأمها بما تريد ولا تكاد تصل اليها حتى تبادرها بطلب آخر وهكذا أصبحت فردوس يعرفها كل بائعو السوق والبائعات .. اشترت منهم كل الأشياء .. من أم شوقى اشترت العسلية والمصاصات ومن عم اسماعيل أكياس الفشار وغزل البنات ومن عم محروس أكياس البطاطس واللبان ومن عبد الموجود اشترت أصناف الخضار وأيضا من المعلم سماره اشترت اللحم .. وكانت ذكية عندما يساومونها على الأسعار تهددهم أن تشترى من الآخرين وهم أيضا يعرفونها . عرفوها كلهم وتابعوها حتى كبرت وسطهم ولهم دلال عليها وهى أيضا تعرف كيف تتدلل عندما تريد . وعندما كبرت عرفت ماذا تفعل لتحصل على ما تشتهى . واشتهاها كل الرجال والشباب وغارت منها بنات وسيدات السوق .

لم تكن فردوس جميلة . فقط كانت جذابة وامتازت بالخفة

والذكاء ورغم ذلك فانها تعثرت كثيرا فى المدرسة الثانوية فاختصرت الطريق وتركتها الى المنزل تساعد الأم وتشغل السوق بسيرتها وشقاوتها .

مات الأب وكبر الاخوة وتزوجوا وتركوا منزل العائلة وتفرقوا فى المدينة وان كانوا يتجمعون فى المناسبات .. خطاب فردوس كثيرون . تقدم اليها كل الشباب حولها .. وهى تريد واحدا غيرهم .. املها فى ثروة وسيارة وشقة فى الحى الراقى والسوق حولهم يزحم بالفقراء والعمال وهى ابنة الحاج صلاح البندارى كان زمان موظف فى مصلحة حكومية تهتم بمخلفات البشر وتطردها بعيدا عن المدينة فى مواسير كبيرة كان هو خبيرا بها يعرف اقطارها ومسافاتها واسباب اختناقاتها وقدم خدمات جليلة لأهل الحى عندما تغرق شوارعهم فانه كان سرعان ما يتصل برؤسائه وينجدونهم . أين خطابها من مستواها .. هناك فرق .. ويجب الا يزول وتطمع فى المزيد .

فردوس مرضت امها وهرع اليهم كل الطيبون من الناس يقدمون المساعدة والواجب ، وطبعا تسلل بينهم الفضوليون والانتهازيون يجربون فردوس ربما رقت ووافقت فى محنتها أن يسندها رجل .. وامتلأ البيت بمجاملات الجيران والمعارف وايضا هدايا المريدين ، وتبتسم فردوس فى استكانة وتقبل الهدايا والمساعدات وقرابين المريدين ، واختلف المريدون فى هداياهم فصنفتهم روضعت اسبقيات واولويات فمنهم من فاز بابتسامة وآخر بلمسة يد وآخر له أن يقترب اكثر ولم يحصل أى منهم على وعد وامتلأ دولاب فردوس بالملابس والعطور وكانت تطمع اكثر فى الذهب أن يحلى جيدها واصابعها .

كان السؤال عن رقم المنزل المجاور ونظرت فردوس الى السائل وكان غريبا عن الحى ودلته على الرقم وجارها الذى سأل

عنه . هى لحظات قيمت فيها الرجل من ملابسه وحذائه ونظارته ولم يفتها أن تنظر وتفحص سلسلة المفاتيح التى ضمت مفتاح سيارة يوحى بأنها لابد أن تكون فاخرة وشكرها الرجل . كل ذلك فى اللحظات التى لم تتعد الثوانى .. ولم تضيع الفرصة وما هى الا دقائق الا وكانت ارتدت أفضل ملابسها وخطفت رجلها الى جارهم العزيز تسأل عن ابنته التى داهمتها الحمى من أيام مضت . ولم تنسى أن تخطف من دولابها هدية لها فاستقبلتها الجارة بما يليق . هذا ما هدفت اليه أولا وتحقق وسمع الرجل بنفسه قيمتها دون أن يسأل وقابلته مرة أخرى هدفها الثانى دقائق أخرى مع الرجل اتاحها جارهم العزيز بتلقائية عفوية عندما دخل ليأتى لها بمشروب لا تحتاجه هى فى الواقع . الدقائق صمتت فيها وتركت الرجل يفحصها ويراها جيدا وبادئها الحديث والابتسام وككل رجل جرب الصياد داخله ليفوز ويرضى غروره وفعلها الرجل وناور وفرح انها استجابت ولم يكد حتى قامت وابتسمت وانصرفت فى هدوء .

الحكاية . حكاية فردوس بدات هنا فلم تضيع الوقت وانتظرت الغريب فى ذكاء فطرى تعرف من أين جاء وكيف سيخرج الى سيارته وتشاغلت مع البائعين حتى اقترب واصطدمت به ففرح رآها للمرة الثالثة واعتذرت وابتسم وتقرب وتلطف وسار . وسارت معه حتى توقفت عند المرسيدس وكلمات وجمل كثيرة قالها ليغلف طلبه أن يراها ثانية وموعد ورقم تليفون وطارت فردوس من الفرحة ورسمت الحيرة والخجل على ملامحها واستخدمت كل مهارات بنت السوق ووقع الزبون أول زبون . كل مرة طوال عشرين عاما كانت تشترى فى السوق واليوم باعت، وفرحت بالبيع واشترى الزبون وكانت صفقة سريعة بهيجة وربحها موعدها . وفى الموعد اتصل بها . كانت عند حموده البقال تشترى ودق

جرس التليفون واستغربت واندهشت أمام عم حموده أن يطلبها أحد بالتليفون وصدقتها عم حموده ورقصت وطارت لثانى مرة .

فى شرفة الفندق خمسة نجوم وبنات ثمرات تنحنى وتسمع الهمس وصوانى تحمل أطباق وكئوس ثم صوانى اخرى تحمل السلطات والمشهيات وآخرين حضروا يزفون أطباق اللحم المشوى والمحمر وفوط ومناديل ورقية معطرة وأدوات المائدة وهى ترى وتسمع وتستوعب وتزن الأمور . طاقات الذكاء والنور قادتها الا تستسلم وصدت أول محاولات رفعت للمس الأصابع لكنها استجابت لموعد آخر .

موعد رفعت التالى وهدية صغيرة بسيطة متواضعة لا تليق . ومؤقتا .. و .. و .. وفتح العلبة الصغيرة وبها خاتم صغير له فص له وميض الكهرباء دفع بالارتجافة فى جسدها وعقلها وعينيها ولم تصدق أن الماس له هذه الفاعلية وتركته يلمس أصابعها هذه المرة . وسمعت باقى اسطوانة رفعت عن الحب والهيام والغرام وسهر الليالى بعد الدقائق وعيناها تبحث صدق كلامه وقدرته أن يهب لها حلمها بالثروة وتركته يتحدث وتحدث كثيرا .

على طاولة مقابلة يجلس هناك من لم يرفع عينه ابدا عنها يراقبها فى اعجاب دون أن يتدخل او يفرض نفسه عليها ورأت الجميع يعرفونه وخمنت انه زبون دائم وادخرته للغد وتفرغت فردوس لرفعت تسمع باقى حكايات رفعت وعندما عادت جلست وحيدة فى غرفتها تدبر الأمور .

فى الغد التالى كانت فردوس هناك تجلس وحدها على الطاولة وسرعان ما حضر معجب الأمس وجلس يرنو وتشاغلت

حتى حضر وجلس اليها وتكلم وسمحت له ولم تقاوم وموعد قريب وهدية جديدة نافست خاتم الاخ رفعت الذى توارى للخلف قليلا واحتل عزت المكان الجديد وقرر أن يبهرها واستجابت واحبت ان تنبهر وسافرت معه كثيرا فى كل مكان وهناك فى المزرعة الصغيرة على أطراف القاهرة بدات فردوس تتهاوى وتستجيب اكثر وكلف ذلك عزت مبالغ كبيرة حتى يحصل على الرضا .. واكتشفت فردوس انها تستطيع ان تكون ثرية بالفعل وتدفقت عليها اموال عزت وترجمها الى ملابس وعطور ومجوهرات وهدايا .. وتطورت الهدايا حتى أصبحت بنكنوت تأخذها قبل أن تتم حديث طلباتها فهى عنده أصبحت اغلى من كل الفتيات ..

فردوس ذكية لم تنسى أصلها ابدا وتعرف الأصول وايضا تعرف قيمة بنت الحتة فى نفوس الشـــباب وحافظت دائما الا يلاحظوها حتى لا تطير الكلمات حولها وتصل الى أمها فى فراشها . وأصبحت فردوس زبونة دائمة فى كافتيريا الفندق الكبير تلاحظ عيون الرجال . عيونهم فارغة لا يملأها الا واحدة تجلس الى رجل آخر وعندما تجلس وحدها تنحسر عنها عيون الصيادين ويرضى غرورها محاولاتهم ويرضيها أكثر ان تختار ..

الصنف مختلف فى السوق ، هناك رجال آخرون لهم ملامح أخرى ورائحة اخرى وسوقها هنا رجال بملامح مختلفة ورائحة مختلفة . وملت السوق القديم وايضا ملت عفتها التى تقف دائما حائلا بينها وبين الرجال فاقتصرت هداياهم على الصغيرة منها للتعارف ثم ينسحبون ويتبقى لها أحلام الفتيان فى الزواج منها وهكذا قررت الزواج ويجب أن يكون العريس من مستوى الكافيتريا خمسة نجوم .

استعدت فردوس بكل اسلحتها وخبرتها وكانت مع أحدهم فى الكافيتريا عندما ظهر صياد جديد وزنه أثقل وأغنى وفحصت ملابســـــه ونظارته وحذائه وسلسلة المفاتيح ونظرت ايضا الى اصابعه ولم تكن هناك الدبلة مانعة الزواج . وتركته يرمى شباكه وسنارته وشجعته بابتسامة واحدة بعدها ترك مكانه وتحرك خلفها ردهات الفندق . وهناك عند التليفون اكتشفت أنها نسيت حقيبتها فوق الطاولة .. شهامة الصـــياد تحركت ودفع العربون جنيها واحدا مع ابتسامة تطلب الرضا بدقائق بعد المكالمة وانتظرت وكانت البداية مع رجائى هكذا كان اسمه .

تزوجت فردوس الأستاذ رجائى فى حفل يليق بهر كل السوق وتعمدت الا تخفى شيئا وتكلف الأستاذ رجائى مهرا كبيرا ونفقات كثيرة ليحصل على فردوس ورآها صفقة هو الرابح فيها فقد كسب بنت البلد الأصيلة التى تعرف الأصول وتحافظ على نفسها جيدا وسط عشرات الرجال .

وثق رجائى وعاش هانئا وعاشت فردوس أياما لم تحلم بها وعندما استقرت بدأت تخطط ، فقد حصلت على الجاه الذى تمنته عمرها كله ويتبقى المال . وحواء جعبتها لا تفرغ ومحاولاتها الناعمة لا تنتهى واستطاعت قبل مرور العام أن تخترق مجالات أخرى تفتح آفاقا للانطلاق، فقد استطاعت أن تؤمن الزمن القادم بالثروة بهدوء ونعومة ، وساعدها رجائى فقد كان ما تطلبه قليل وسط عملياته الكبيرة وثروته الضخمة وخلال وقته الكثير الذى يقضيه وحده فان فردوس ايضا كانت وحدها فكونت مجموعة من الصديقات وكانت هى الرئيســـــة توجهها الى مناطق النشاط فى الفنادق والنوادى وعاشت حياتها بالطول والعرض .

ضمت فردوس الى البومها رجالا آخرين . مريدين من نوع مختلف . كل منهم له رؤيا خاصـــة به . فمنهم من يراها الأنثى وآخرون يرونها سيدة أعمال تجمع الأطراف لتبدأ صفقات كلهم رابحون فيها .. وهى دائما رابحة فى كل العمليات ورجائى دائم الغياب والسفر فتوارى اسمه عن كل المجموعة وبتغير المجموعات اختفى ذكره وان بقى فى ذاكرة فردوس .

مرت سنوات كثيرة ماتت فيها أم فردوس وانشغل اخوتها فى حياتهم وباعت شقة السوق وتخلصت من كل القديم واشترت شقة اخرى فى الحى الراقى حلمها كتبتها باســـمها واخفتها عن رجائى وملأتها بكل ما تشتهى وتحلم . وتطوع المريدون بأشـــياء كثيرة لتاثيث بيت احـــلام فردوس ثم قضوا فيه بعض الليالى وتواروا الى النسيان .

فيفى أصبح اسمها . مدام فيفى واصبح من يطلب فردوس لا يستطيع أن يعرف أين تكون .. هى مدام فيفى فى كل مكان كان نشاطها . فى الفنادق والنوادى وامتد الى شقتها ثم طورته الى أماكن أكثر فاعلية ووصلت الى التلفزيون والصحافة ومجالس ادارات الشركات الخاصة والعامة لها فى كل مكان رجل أو رجال وأماكن اخرى سيدات ينتمين الى رجال ايضا مهمون ، وكلهم حلقات تشابكت فى حلقة فيفى هانم بعد أن تجاوزت الثلاثين واصبحت حلم الرجال المهمين والمهتمين بأمور السيدات فى تلك المجتمعات .

من نجاح الى آخر وتتألق فيفى هانم لا يربطها بالمجتمع الا علاقتها الشرعية برجائى زوجها وكانت حريصة ، الا يكون لها أولاد فهى ترى السيدات حولها وقد شكلت أولادهم لهم مشاكل كثيرة من كل نوع لذا لم ترتبط بأحد أو بشىء وتنطلق أكثر حتى

تعرفت على سلوى حلم الرجال .. راقصة درجة أولى سافرت الى كل بلاد العالم .. هناك رقصت وحصلت على المال وهنا رقصت فى كل الملاهى والفنادق ورقصت قلوب وأجسام الرجال وحولها حلقات كثيرة . سلوى أعلنت مهنتها على الجميع وتدير أمورها سرا وفيفى هانم لا مهنة لها وتدير أمورها علنا .. اذن فلتكن صفقات متكاملة بين سلوى وفيفى هانم وصارا صديقتين وتقابلا كثيرا ومكالمات تليفونية أكثر وامتلأت شـــــقة فيفى هانم طوال ساعات النهار والليل . نهارا كانت للسيدات والرجال وليلا أدراتها للقمار حتى الصباح . والأرباح مناصفة . ومرات أخرى تغير جداول المواعيد وعمارتها كبيرة والسكان مشغولون بأمورهم . ثم اشترت محلات للكوافير فى الأحياء الراقية ، واتبعت بتأليبه لتفصيل فساتين وأتاح لها ذلك أن توسع دوائر نشاطها وايراداتها ، وهكذا ضمت مجموعة فيفى هانم سيدات الوسط الراقى وفنانات وطالبات وأيضا ضمت فقيرات يطمعن فى صعود الســـــلم واستخدمن مواهبهن وجمالهن فى التقرب الى الرئيسة . ورجال السيدة فيفى لاينتهون ودائما يدفعون بالآخرين اليها ويدور قرص التليفون لتنتقل المفاتيح من يد لأخرى وتدير فيفى الأعمال بمهارة كبيرة وعندما ضاق الوقت مع المكان افتتحت فرعا آخر قريبا من الشقة الأولى والتليفونات تحل المشاكل .

فيفى هانم لم تكن تدير أعمالها هى والراقصـــــة فقط بل تشترك فيها بنفســـــها ويكون نصـــــيبها كاملا لا تنازعها الأخرى فيه . كان هذا عرفهم وهكذا اتسعت دائرة الأعمال واستقطبت رجال وسيدات دائمين وقد يكون فيها الأجانب الذين يحضـــرون للسياحة وزيارة فيفى هانم شخصيا أو سلوى أيضا .

الأمور كانت تجرى على ما تهوى فردوس دائما فيوما طلقها رجائى عندما تعرف الى سيدة أخرى وتزوجها ووجد أنه ليس من

اللائق أن يحتفظ بزوجتين وتم طلاق فيفى هانم فى هدوء ويسر وحصلت منه على كل ما تريد وانطلقت اكثر تؤدى خدماتها للوطنيين والسياح وتنهى صفقات وتقدم الخدمات وتستمتع ايضا بحياتها كما تهوى وتختار ما تشاء من الرجال تقربهم اليها وعندما تمل فانها تستطيع التخلص ببساطة فكانت تقذف بهم الى سلوى التى تستطيع أن تستوعبهم او تلقى الى اخرى كل ذلك فى نعومة وكؤوس وسهرات وأموال تتدفق فى كل الحالات .

فيفى هانم سيدة الاعمال ذات القلب الحنون التى تنهى المشكلات اصبحت حديث المجتمع فانضمت الى جمعبة خيرية تزرع الأمل فى نفوس المرضى تقدم لهم الهدايا والرعاية وصورها ملأت المجلات وظهرت فى المناسبات على شاشة التليفزيون يراها الملايين قبل مسلسل الساعة السابعة .. وعندما رآها أبناء السوق القديم هللوا وفرحوا بأن منهم سيدة الخير والبر وتدافعوا اليها يطلبون المساعدات . وصدقت ما هى فيه وتورم شعور العظمة والخيلاء وزارت السوق ووضعت عنها مظاهر حياتها الخاصة وارتدت ما يناسب الموقف وكان لها السائق والحارس وارضى غرورها الاستقبال الحافل لها حتى انها فكرت فى ترشيحات الانتخابات القادمة ولكن لم تجرؤ أن تفعلها .

لذت الشهرة لفيفى هانم وبدأت تسعى اليها وضمت اخبار المجتمع نشاطها وصورها واصبحت شبه اسبوعية تستقطب اليها الصحافة والمصورين وهداياها تجذبهم اليها دون أن تتورط وتضمهم الى النشاط الخفى لها . واصبح لها البوما كبيرا يضم صورها أثناء اجتماعات الخير وجولات الحنان فى الحضانات والمستشفيات والسجون . وكانت تحتاج الى كل الناس حولها لتشعر أنها مازالت آدمية تحس شعور البشر الألم والعجز

والشفقة ثم تمارس حياتها بعد ذلك ورفضت عروض السينما التى رشحتها نجمة حبيبة للناس .

اعتادت فيفى هذه الحياة ونظمت اوقاتها واستطاعت أن تحصل على كل احلامها وأكثر ، وكما تدين تدان وكانت فيفى هانم مدينة للكثيرين والكثيرات وخانها الحظ مرة واحدة . ضابط صغير استطاع امساك طرف الخيط وسار معه اياما وشهورا واحاط بكل الأمور ورصدها وراقبها ورؤساؤه لم يصدقوه .. قاوموه وكذبوه ثم اقتنعوا بعد أن رأوا الدليل تلو الآخر واخيرا رئيس النيابة الذى اصدر الأمر بمراقبة التليفونات والتصوير والقبض .

يومها كان فريدا ، فان عادل محمود الملازم أول بشرطة الآداب استطاع مع زملائه القبض على الجميع ، وكانت ضربة معلم ان استطاع ما فعل بعد أن تملكه الخوف من الفشل والقلق من تطور الموقف لغير صالحه .

ظهرت صحف ومجلات الصباح تتصدرها آخر أخبار وصور فيفى هانم ومعها باقة اخرى على رأسها الراقصة سلوى وفضيحة المجتمع الجديدة . اندهش كل الناس وقالوا الحقد والدسيسة ، وسرعان ما ظهرت الحقائق واقتنع الناس وتأففوا واستعاذوا بالله . وانهارت امبراطورية فيفى التى قضت أكثر من عشرين عاما تبنيها حتى وصلت الى سجن النساء .

الملازم أول عادل محمود حقق انتصار العمر وهنأوه ، وكافأوه بكى أمام كل الناس .. ظنوا أنه يبكى من انفعاله بالنجاح والتقدير ، ولكنه كان يبكى حظه فقد كانت زوجته فى سجن النساء قبض عليها هو نفسه فى حملته على بيت فيفى هانم .

• عمـــلاق أســـود

كانت الســـيارة غير جديدة ولكن حالتها لابأس بها تنطلق بسرعة فى شوارع المدينة ، بينما جلس محمد فى مقعد القيادة سعيدا أنه استطاع أن يحصل على الســـيارة فى هذه الليلة . كانت صديقتهم حنان تحتفل بعيد ميلادها الســـادس عشر ولذا نقد اشترى لها هدية مناسبة ومر على أصدقائه الثلاثة فى منازلهم يناديهم بواســـطة آلة التنبيه يدق بها لحنا معروفا لهم . مضى الأربعة الى الحفل وهم فى قمة المرح والانطلاق وكان أسعدهم محمد لأنه يقود السيارة وهذا ليس هينا فطالما حلم انه يقودها والى جواره أصدقاؤه ينطلقون فى كل مكان، وكان يحب أن يثبت مهارته عندما ينطلق بسرعة ويخيفهم ، أو عندما يتوقف فجأة ايضا فى جو مرح تغلفه الفكاهات والابتسامات ويتصـــايحون من منهم يقدم الهدية الى حنان ؟ وكلهم يريدون .

فى الطريق الى كورنيش العجوزة على النيل هدأ محمد سرعة السيارة حتى يستطيع أن يتحكم فيها عند الدوران .. فجأة تغيرت

ملامحه وارتسم على وجهه علامات التوتر والحيرة وربما صدرت منه بعض الهمهمات فانتبه اليه أصدقاؤه لا يفهمون وكسى وجوههم القلق ايضا عندما صاح فيهم محمد ماذا افعل الآن . ورد أحدهم ما قصدك والآخر قال أنا لا أفهم شيئا أما الثالث فقد كست البلاهة وجهه ووجم فى سكون .

محمد خائفا قرر أن يستمر فى قيادة السيارة وليكن ما يكون ، وهز رأسه نفيا عندما خطر بباله أن يعود من حيث أتى وكان أن اقترب من ذلك الشبح المارد الذى رآه عن بعد وعندما اقترب أكثر وجده رجلا يرتدى الســـواد وقد أمتطى حزاما أســـودا تدلى منه مسدسا كبيرا وقد وضع الرجل يديه فى خاصرته فى وضع التحدى ولاحظ محمد أن الرجل يضع غطاء فوق رأسه ذا لون أبيض ولمعت هذه الأشياء فى ومضات متقطعة تعكس أنوار الســـــيارات فى مواجهة الرجل .

اتجه الرجل الى السيارة عندما وقفت ، قلوبهم الأربعة دقت متسارعة وبدأ كل منهم يفكر فيما ســـــيكون ، لكنهم جميعا قرروا أن يتركوا محمد يتصـــــرف وحده فهو الجالس الى عجلة القيادة وربما لو كان أحدهم لكان تصرف الآن وبدأوا يتوترون أكثر كلما اقترب الرجل منهم . وضع الرجل يده على جسم السيارة وأطل من فتحة السقف فقد كانت مفتوحة تتناثر منها الأنغام عالية بهذه الأغانى الجديدة وطبولها تخرق الآذان وأسقف السيارات أيضا ، وهم فتحوا سقف السيارة حتى تتطاير خارجا ليتمتع الجميـــــع بالموسيقى .

والآن هذه الرأس الكبيرة ذات الغطاء الأبيض تطل من فتحة الموســـيقى وعيون قوية ونظرة ثاقبة عبرتهم جميعا وتوقفت عند محمد . صوت واثق ويد فيها أوراق .. أعطنى رخصة القيادة لو

سمحت .. محمد كان يتوقع كل شيء الا هذا .. كلمات الرجل كطلقات الرصاص دوت في اذنيه .. موقف لا يحسد عليه .. لا يعرف محمد كيف يتصرف .. هل يدوس على دواسة البنزين وينطلق باقصى ســــرعة ويهرب من كل الموقف .. هل يترك اصدقائه والسيارة ويجرى . هبطت عليه فكرة ماكرة .. طلب من الرجل أن يتوقف الى جوار الطريق حتى يمكن لباقى السيارات المرور ، طلب ذلك بصوت هادىء ماكر لا يوحى بانه سوف ينطلق بعدها وليحدث اى شيء بعد ذلك ، صدمه رد الرجل ذو الثياب السوداء والمسدس الذى تلمع فوهته .. رفض الرجل ، انه لا يهمه أبدا عدد السيارات التى تقف خلف محمد .

محمد لا يملك سوى بطاقته الشخصية وبطاقة النادى ولا يدرى أين وضع والده رخصة السيارة انه يضعها فى أماكن كثيرة وقد يكون اخـــذها منها وامتدت يده تبحث ثم وجد تلك الورقة البيضاء التى تسمح للسيارات أن تجرى فى الطريق . هذا القانون الغبى الذى عكر عليه صفو الليلة ، دفع محمد الورقة متذاكيا .. الرجل طلب رخصة القيادة مرة اخرى . خرج الكلام من فم محمد هو نفسه لا يكاد يسمعه قال .. بصراحة غير موجودة قالها وهو يغوص فى الكرسى ربما لا يراه الرجل ولا يسأله ثانية .

ادار امين الشرطة عينيه على محمد واصدقائه يزنهم وينظر مرة اخرى فى رخصة السيارة ثم هز رأسه وسألهم الى اين انتم ذاهبون . ردوا جميعا فى صـــوت واحد الى عيد ميلاد أحد الأصدقاء .. قال الأمين اياك أن تفعلها ثانية .. نظر اليه محمد غير مصدق لما سمعوه وسأله بصوته وبعينيه هل ما قاله صحيح ؟ لم يسمعه الرجل الذى استدار ومضى ليرى السيارة التى خلفه ولم ينتظر أن يسمع كلمة الشكر من محمد الذى وضع عصا القيادة

فى مكانها وأدار السيارة واستخدم نورها عاليا وكذا صوت مسجل السيارة وداس بقدمه دواسة البنزين كل ذلك بتلقائية فى ثانية واحدة .

ضحك عمرو وشريف ومؤمن ضحكة سخرية من محمد الذى كان وجهه مسرحا لانفعالات كثيرة ولونه قد هرب تماما وعيناه مفتوحتان على آخرهما لا يصدق ابدا انه نجا من هذا الموقف الصعب وانه لن يفوته عيد ميلاد حنان وايضا لن يلجأ لوالده حتى ينقذه من ايدى وبراثن أمين الشرطة ثم يؤنبه بعد ذلك وقد يحرمه من السيارة .

عندما توقفت السيارة أمام بيت حنان تصايحوا مرة اخرى من سيقدم لها الهدية وابتسموا وتسابقوا صعودا على سلم بيتها .

• الجنـــدى أحمـــد

حدثت هذه الواقعة بعد نجاح القوات الاسرائيلية فى عملية الثغرة أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ وبعد أن وصلت قوات المراقبين الدوليين للبدء فى فصل القوات .

* * *

كان موقع الجندى أحمد ممتازا اختاره بعنـــاية غرب مدينة السويس ضمن فصيلته ، وكان مكلفا بمنع الدبابات المعادية من التقدم نحو المدينة بواسطة القاذف الصغير المضاد للدبابات ، ولما انتهى من تجهيز وحفر موقعه كان التعب قد أنهكه ، عندما لمح اربعة جنود اســـرائيليين فى مواجهته يشـــيرون هنا وهناك ، واستطاع أن يميزهم جيدا فلم تزد المســـافة عن خمسين مترا ينتصفها المراقبون الدوليون .

انفصل عن الاسرائيليين أحدهم واختفى خلف التبة القريبة وعاد يقود دبابته ليحتل بها مكانها الجـــديد فى مواجهته . عندما

خضر قائد موقع الجندى أحمد تقدم اليه ضابط المراقبة الدولى يطلب منه رفع الموقع المضاد للدبابات الى مكان آخر وكان ذلك بناء على طلب الضابط الاســـرائيلى فهم الجندى احمد أن قائد سريته يجب أن يستأذن قائد الكتيبة هو الآخر .. كرر الاسرائيليون طلبهم واعطوهم مهلة ربع الساعة والا سوف يزال الموقع بالقوة .. سوف تنسفه الدبابة ورأى مدفعها مصـــوبا اليه تماما .. كانت افكار الجندى أحمد تتسابق مع عقرب الثوانى عندما تناهى الى سمعه أن قائد الكتيبة يجب أن يحصـــل على موافقة قائد اللواء أيضـــا .

كرر الاســــرائيليون الطلب لرفع الموقع وهددوا هذه المرة بقصف السويس بالمدفعية من الشرق والغرب ومهلة الربع الساعة ثانيا . يجرى عقرب الثوانى وتدور أفكار الجندى .. المدينة مقابل حفرة القاذف الصغير ، وجرى بيده فى حنان يمسح بعض الأتربة التى علقت بسلاحه . رأى احمد الضابط الاسرائيلى يتحدث مع ضابط المراقبة الدولى الذى تحرك بدوره الى الملازم قائد الموقع ليسمع هذه المرة أن الطيران هو الذى سيدك المدينة كلها خلال ربع ساعة ثالثة .. وجرى الملازم قائد الموقع يتعجل التصديق على رفع القاذف الى موقع جديد .

والجندى أحمد من صعيد مصر .. الثأر والكرامة فى دمه تجرى فى العروق . ماذا يفيد العناد . ان الطائرات سوف تدك المدينة كلها سواء نقل موقعه أو لم يفعل وربما مات هو أيضا .. يجب أن يفهم القائد الأكبر انهم لا يطلبون الاذن للبدء .. وأيضا لا يبحثون عن حجة لبدء الضرب بالمدفعية . ان موقعه البسيط عبر خمسون مترا يثير ذعرهم ولابد أن يكون هناك رد حاسم من القائد برفض طلبهم وفى هذه الحالة أيضا سيضربون . نظر الجندى أحمد الى الدبابة ورأى مدفعها مازال مصوبا اليه .. دقق النظر

واستطاع أن يرى الدوائر فى فوهة مدفعها ويكاد يتخيل الطرف المدبب للمقذوف داخل الماسورة يحمل اليه الموت والعار ، وهؤلاء الاسرائيليون يقفون فى مرح أمام دبابتهم الجديدة وقد ينظرون فى ساعاتهم ويرمقونه من بعيد أحيانا .

ثنى أحمد ســـاقيه ليغوص فى عمق حفرته .. تناول طلقة ووضعها فى ماسورة قاذفه الصغير وضغط عليها وسمع تكة خفيفة ثم رفع الناشنكاه وضبطه على مسافة خمسين مترا .. فى هدوء فرد ساقيه ووقف ووضع سلاحه على الساتر الترابى امامه .. نظر حوله .. سمع صوت الســــــكون .. مازال الاسرائيليون يتحدثون وضابط المراقبة الدولى ينظر الى الأفق .. وقائد فصيلته يدير ملف التليفون .

نظر أحمد للسماء مستعينا ورفع القاذف الى كتفه واحكم التصويب .. ثم كان الدوى الكبير فى أذنيه .. صوت خروج المقذوف الى الدبابة الاسرائيلية ثم كان الدوى الأكبر .. انفجار الدبابة الذى أطاح ببرجها وألقاه أرضا وثمة غبار كثير .

انتظر الجندى أحمد أن تقصف المدينة بالمدفعية أو أن يأتى الطيران الاسرائيلى ليهدمها حتى حل ظلام الليل .. وجلس أحمد مع زملائه يتندرون وبعدها لم يقرب الاسرائيليون موقعه أبدا .

• يـدى عـلى قـلبى

فرت بثينة الى ركن الحجرة تحتمى بأولادها من ضربات زوجها القاسية وصراخها يملأ المكان ومهددة ،ولولة تلعن الأب وجدوده وكل شىء ثم تزيح الأولاد من حولها مكتفية بهمها الذى يحوطها . وما هى الا أيام ووصلت اليها ورقة طلاقها . باكية همست لنفسها أحسن .. وشعرت انها قد تحررت من سجنها .

ابنها حشمت هو الذى وشى بها عند أبيه .. نقل اليه مقابلتها مع المعلم حنفى صاحب مغلق الخشب المجاور . كل مرة كان حشمت هو السبب ، لذا فهى لا تحبه وتهرب من نظراته المتسائلة كأنما يفهم كل شىء . ويكبر حشمت وأمه بثينة أو بوسة كما ينادونها دائما تختفى كثيرا ثم تأتى للمنزل ومعها الطعام أولا تأتى، وينتظرها حتى ينام جائعا الى جوار قسمت أخته، وتتراءى له صورة قديمة تلح عليه عندما كانت أمه بملابسها الداخلية تتظاهر انها تؤدى عملا فى بيت الأستاذ مصطفى جارهم بينما يدور حولها

يتلمسها وكانت زوجته خارج البيت . صورة انطبعت فى ذاكرته لا تزول وصور أخرى تتابعت عندما كان يراها تقف فى الطريق باسمة تتمايل فى دلال تبادل الرجال الحديث وهم يخطبون ودها وهى تجذبه من يده حتى لا يبتعد عنها ثم تكمل حديثا خافتـــا لا يسمعه .

سنوات المدرسة مرت على حشمت ، وزملاؤه سبقوه كثيرا حتى حصل على الدبلوم أخيرا بالصدفة قبل أن تضيع السنوات ، وأخته قسمت تركت الدراسة لتهتم بنفسها وتسير على درب أمها وان كانت تساعده أحيانا . وحشمت كان قد توقف عند قهوة على الناصية وكأنما سكن فيها ليل نهار حتى أصبح أمهر لاعبى الطاولة والكوتشينة يكسب من اللاعبين كثيرا وقد يخسر أحيانا فأصبح ذلك موردا ثانيا له ، وبوسة وقسمت يعطونه ما يطلب من المال حتى لا يشاكسهما ويخرج ويجلس من جديد فى مكانه المفضل على قهوة الناصية .

يوما لم يحضر الأصدقاء وحشمت جلس وحيدا يفكر فيما هو فيه ، وراح تفكيره لأمه وأخته وعلاقته بهم والهمسات التى تدور يسمع اسمه فيها مع بسمات خبيثة ، وزاد همه تعطله عن العمل رغم أنه لم يبحث كثيرا عن فرصة لأنه يعرف أن الكل عاطل ولا توجد وظائف ثم أنه لا يجيد صنعة حتى الآن ، وجثم على قلبه هم كبير ولأول مرة يحس بهذا الشعور فقام يروح عن نفسه ويمشى حتى الميدان ويعود ربما جاء الأصدقاء ، ولم يكد حتى وجد راجح صديقه أمامه بعد غيبة يأخذه بالأحضان فعاد به الى مجلسه المختار . راجح سمع حشـــمت وشـــكواه من الفراغ وقلة العمل وانشغال الأم والأخت عنه . الحل بســـيط ، الهموم تزول باذن الله ، كلام راجح مريح وناعم يهدىء الأعصاب . تغير فى راجح شىء .. رآه قد طالت لحيته وحلق شـــاربه وارتدى الجلباب القصير تحته سروال أبيض ووضع طاقية صغيرة فوق رأسه ..

« ايه الحكاية » سأل حشمت عن التغيير ، قال راجح أن الله هو الهادى .. ونعم بالله . وقاما معا ، اخذه راجح للأمير .. وهناك بدأ حشمت ونسى جلسة المقهى وقسمت وبوسة .

وجوه جامدة تبدو طيبة .. يتحـــدثون ببطء وحماس .. يمسكون المصحف بيد والأخرى تحمل السبحة الطويلة .. كلامهم عن الحلال والحرام .. اهلا اخونا .. اصـــــبحوا ينادونه الأخ حشمت . الأمير سلمه لأخ ثالث كان اسمه درويش . واعتنى درويش بكل ما يلزم حتى اذا ما كانت صلاة العشاء وقف حشمت يصلى معهم لأول مرة فى حياته ودموعه تسيل على خده .. أحس انه كان عاصيا طوال السنوات الماضية .. واحب حشمت الاقامة معهم واختفى عن الحارة والشارع والمقهى .. كان يبحث .. يريد حضنا آمنا .. لم يجده ابدا .. ابوه رحل من زمن .. وبوسة احضانها للآخرين .. حضنوه وجعلوه يهدأ ويستقر واصـــبح له الهدف .. أن يكون معهم ومنهم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .. اجمل الكلمات وقال الله وقال الرسول ، والطعام موجود وجاهز دائما عند احدهم والسهرة قرآن وذكر ومناقشات والأهم قراءة فى كتب اعطوها له .

مضت ايام الضيافة وحان وقت العمل والجهاد .. وجهادهم يتطلب المال .. اعطوه صندوقا صغيرا خرج به مع الأخ درويش يجمع التبرعات للمجاهدين مرة اخرى لبناء مسجد جديد وكان عندما يعود يفتحون الصندوق أمامه .. الأمير قال خذ ما تشاء من مال الله حلال عليك ، حشمت لا يريد المال تركه لهم انه لا يحتاجه انه يحتاج لأشياء اخرى منحوها له . منحوه الأمان والأهمية والفاعلية واحس انه موجود ولابد أن يفعل شيئا اكبر مقابل حضنهم وأمانهم وتفانى معهم وبذل الكثير حتى زاد رضا الأمير عنه فاهداه الجلباب القصير والسروال والطاقية ثم سمح له أن يعتلى المنبر بعد شهرين

من وصوله يخطب فى الجماعة بعد ان قرا القرآن وسمع الأحاديث، عندها اعطوه أوراقا بها خطبة الجمعة مكتوبة ليحفظها ويلقيها بثقة وثبات فأضاف اليها سطورا من الكتب التى اعطوها له والقى خطبة الجمعة فيهم واحس انه اصبح عالما جليلا يسمعه كل هؤلاء ويثقون به ويحبونه .

ارتفع آذان الظهر فى ميدان الحسين ، فأسرع حشمت الى المســـــجد ودخل ووقف وادار عينيه فى الأنحاء . انبهر بالمكان ورنين الأصوات وجموع المصلين وصلى معهم ثم جلس بجوار احد الأعمدة يتملى فى المكان والناس واحس بالأمان وارتخت اعصابه وملامحه وأفكاره وحلقت روحه فوق الناس حوله . توقفت عيناه على احدهم . كان شيخا كبيرا رآه ينظر اليه مليا وتبادلا الابتسام، واشار له الشيخ ان يقترب الى جواره ، سأله عن ملابسه وعمره وعما يحفظ من القرآن والحديث وتحمس حشمت حتى حكى أنه يخطب الجمعة للجماعة فابتسم الشيخ ثانية وأوصاه ان يقرأ القرآن كثيرا وأن يبحث بنفسه فى كتب التفسير والحديث ودعا له بالهداية، وكلما تكلم الشيخ احس حشمت انه يتضاءل ويصغر اكثر ثم تمنى أن يدخل فى حضن الرجل الطيب .

علموا أولادكم الرماية .. هيا يا اخوان . وفى صحراء الهرم فى منطقة آمنة وجد هناك بعض الاخوان قد سبقوهم وأعدوا لهم كل شيء ووجد السلاح . ثم علموه كيف يقبض على المسدس بقوة وكيف يصوب بدقة الى الهدف ، وكيف يضع الطلقات فى مكانها فى خزنة المسدس ثم فى مقتل .. واكتشف أنه قناص بعد خمســـــة طلقات فقط واحس أنه يكبر ويقوى اكثر ويتعاظم عندما صفقوا له بعدما اصاب الهدف . ثم كان الدرس الثانى فى منزل احدهم .. لقد بدأ الجهاد الاكبر اذن . علموه الديناميت والجلجنايت وبوادي

الانفجار والمفجرات وفتيل الامان والآخر المتفجر وزمن الانفجـــار والدوائر .. علم كبير حاول ان يفهمه ونجح ايضا .. وبدأ الصمت يكون طابعه .. هم أمروه .. واصـــبح منخفض الصوت يغض البصر كثيرا ويفكر معهم اكثر ويسمع كل شىء ويقرأ القرآن ويصلى ويصوم ايضا ويقرأ كل ما يعطونه له ثم يقبل يد الأمير مثلهم .

الزواج نصف الدين ، وهو شاب وقوى وقادر ويجب أن يأتى بنسل مسلم جيد يحيى الاسلام من جديد . اختر ياحشمت احدى الأخوات ، من تروق لك ؟ انه لا يعرف من سيختار، كلهن فى الحجرة المجاورة .. نعم يسمع أصواتهن لكن لا الأسماء ولا الملامح يعرفها. كلهن يخفين وجوههن عدا العيون .. سكت حشمت وتباســط الأمير ضاحكا وقال عندنا خمسة أخوات جاهزات للزواج، «نقى واختار» والأمر مقضى باذن الله . نطق حشمت وقال انه لمح الطويلة ذات العيون العسلية ، وبسرعة البرق كما لو كان تمنى من خادم المصباح تحلقوا حوله وانشدوا وبسملوا وحوقلوا وغاب أحدهم عند الحريم دقائق ، وعاد يعلن موافقة العروس ، وعقد الأمير العقد فى نفس الجلسة وأخلوا لهم غرفة مجاورة وكان المهــر جنيها كاملا دفعه الأمير نيابة عن حشمت . وحشمت ليلتها دخل الدنيا بلا متاعب وتزوج العيون العسلية .. هكذا الاسلام .. تكافل وتعاون .. لا مهر ولا شبكة ولا جهاز ولا هذه الأدوات التى تجعل الانسان يلهث ليحصل عليها ولا شقة يفنى عمره فى جمع ثمنها .. الجميع تعاونوا ليجعلوه سعيدا واكتشف أنهم يحبونه فعلا .

الأمير الليلة غاضب ، وكلماته كطلقات الرصاص قال .. المسلم من قال لا اله الا الله .. صح وليس كل من قال لا اله الا الله بمسلم !! انه يرى أن الناس لا يفعلون ما يؤمنون به ، ويفعلون ما يأمرهم به الكافرون ، وأن النساء فى الطريق كاسيات عاريات ،

والمجلات والتليفزيون بها صور فاضحة تحث على الرذيلة ، والفنادق والملاهى تقدم الخمور والمنكرات للسائحين وشباب المسلمين على حد سواء ، والبنوك تتعامل بالربا وشهادات الاستثمار ، وأن الأطفال سيكبرون فى مجتمع فاسد كلهم فيه كفرة يستحقون الموت، وأن الحاكم والوزراء والموظفين لا يطبقون شـــريعة الاسلام الاسلام فصافحوا الأعداء وخانوا الأمانة وحق عليهم الموت وحق علينا الجهاد .. حى على الجهاد يا رجال . اذن فلنقاومهم ونقومهم فالكلمات لم تعد كافية ، يجب أن نســـتخدم عقولنا وأيدينا ، ليحسوا بمدى ما انزلقوا اليه . من منكم يارجال يوقظهم ويفجر الشـــرارة للاصـــلاح ويتطوع .. ورفع الكل يده يطلب جنة المجاهدين .

حشمت اختاره الأمير .. يا لهذا الشرف الكبير .. بعدها بأيام جهزوا له عبوة وضعوها فى كيس بلاستيك ورسموا خط سيره حتى الميدان ، ما عليه الا أن يقترب ويضعها أسفل السيارة متظاهرا بأنه يلتقط شيئا أو يربط الحذاء ويضـــغط الزر ويمضى بعيدا ثم يحدث كل ما يريدونه بعد ذلك تلقائيا .. مهمة بسيطة عظيمة التأثير ، وسوف يعلمون الحق ويسيرون على الهدى بعد ذلك بعدما يؤدبهم الانفجار ، وحشمت ليس اقل ممن سبقوه الى هذا المجال كلهم ابطال ، هو سيكون مثلهم .

أحس حشـــمت بالحنين لأن يرى امه واختـــه قبل ان ينفذ مهمته البطولية ، وراح ودق الباب ودخل وجلس بينما تهكمت اخته على شكله فى ملابسه الغريبة وأيدتها الأم فيما تقول . حشمت تقمص دور الداعية وبدأ يلقى عليهم الدرس فى الهداية والايمان والحشمة والعفاف والتقى ، وحديثه يثير العجب والضحك فأثاروه مرة بعد اخرى فاتهمهم بالفجور والكفر وتشابك بالأيدى مع أخته

ثم لطم امه ودفعها بقوة وصـــــفق الباب خلفه ومضى نادما أنه زارهما .

انفجرت العبوة ، وانقلب الأوتوبيس محطما فتوقفت الحياة فى الميدان وانتشرت الشرطة وعربات الاسعاف فى المكان وتزاحم الناس وغمر حشمت الشعور بالنصر والفخر والبطولة وانصرف بسرعة وهدوء .

وعندما كان يطالع صحف اليوم التالى فوجىء بصور المصابين بينهم صورة صديق امه القديم الأستاذ مصطفى فهرع الى عنبر الحوادث بالمستشفى . وجد الرجل قد بترت قدمه وذراعه وأصابته الشظايا فى جسده ووجهه فوقف أمامه يتملى ويتشفى يحدث نفسه أن هذا جزاؤه فلم ينسه ابدا طوال الســـــنين واقفا خلف أمه يتحسسها فى بيته الواسع وأمه تبتسم بدلال وتتحرك فى هدوء .. و .. و .. وارتفع صوته يحدث الأســـتاذ مصطفى ، ان الله موجود يرى ويسمع وينتقم بالعدل من عباده الخطائين وأن ذلك كان لابد ان يكون وان الله اصطفاه ليرى انتقامه بعينه حتى تهدأ نفسه فهداه ليشمت فيه ، وتكاثر الرجال عليه ومن حسن حظ حشمت أنهم لم يقتلوه . أيام قليلة ثم كانوا كلهم هناك ، حشمت والأمير والأخوة بعد أن داهمت الشرطة مكانهم فلم يكن حشمت ليكذب فعندما ما استجوبوه لم يقاوم سعيدا بالانتقام الذى الهمه الله له .

فى قفص الاتهام جلس حشمت وسط الاخوة ينتظرون الحكم وبينما كان القاضى يقرأ المقدمة لم يستطع حشمت أن يعرف لماذا تذكر الشيخ الذى قابله فى مسجد الحسين .. ربما يشبه القاضى فى اســـتدارة وجهه وهدوئه وملامحه الطيبة . ان القاضى ينطق

ببطء وكلماته ثاقبة كلها الحقيقة لكنه اســــتراح لها يحس أن هذا القاضى رسول العدالة رغم أن اخوانه لا ينتظرون الخير أبدا فى هذه الجلسة .

حكمت المحكمة على المتهم الأول والثانى بالاعدام شنقا .. امرأة كانت تجلس هناك تحمل فى بطنها جنينا بكت .. دموعها سالت من عيون عسلية ، وصاحت امرأة من نهاية القاعة مولولة نادبة .. كانت السيدة هى بوسة أم حشمت .. وعندما استطاعت أن تقترب من القفص قال لها حشمت .. كانت هذه القنبلة من اجلك تمنيت أن افجرها فيك ، واستدار ومشى ليجلس فى الركن ولم ينظر اليها ثانية .. وفى الساعة الثامنة من صباح احد الأيام ارتفعت راية سوداء صغيرة فوق مبنى سجن الاستئناف بالقاهرة.

● البـــارومة

فى مواجهة ساحة المسجد الكبير حدث الأثم .. عندما ظهر الأوتوبيس الأزرق الفاخر دق قلبه متسارعا ليتحفز ويبدأ العمل فقام يلوح للأخوة بالاشارة المتفق عليها، ووقف أحدهم من بعيد وألقى بالحجارة على زجاج الأوتوبيس الأمامى .. وعندما احس السائق بالخطر زاد من سرعته حتى يتفادى اعمال الصبية عندما يلقون الأحجار على السيارات المارة . انفجرت عبوة ناســـفة داخل الأوتوبيس فتوقف وتصـــاعد الدخان كثيفا مع التراب الى أعلى وسقط الركاب على مقاعدهم فى نفس اللحظة التى تناثرت فيه الدماء تغطى كل شىء وانفجرت العبوة الثانية خارج الأوتوبيس لتطيح بأشلاء الباعة الذين يعتمدون على السياح فى رزقهم يبيعون لهم التذكارات الصغيرة ، قتل بعضهم وآخرون يرقدون فى أماكنهم ينزفون الدم ، بينهم أطفال متســـولون كانون يرجون أن يحصلوا على بعض المال من الخواجات الذين جاءوا لمشاهدة المســـجد والكنيسة القديمة .

نجحت العملية واستطاعوا ان يصيبوا السياح ويقتلوا احدهم ولابد من التضحية بشىء وكان الأبرياء الفقراء الثمن . فى الحى الشعبى وشهامة المصريين تدفعهم لتقديم العون فى وقت اللزوم اندفع الجميع لانقاذ ما يمكن ، والمجموعة خمسة افراد ثلاثة للتنفيذ وآخرين للانذار والتغطية عند الانسحاب قاموا بالمهمة خير قيام وفتحوا النار يصوبونها كيفما اتفق يطلقونها لتغطية انسحاب المجموعة كما لو كان الكمين الذى نصبوه فى أرض الأعداء ولابد أن يحققوا اكبر خسائر بشرية ممكنة ثم التخلص من الموقف والهرب حيث لا يمكن أن يصل اليهم احد ، كان ذلك سهلا وبسيطا فالشوارع الضيقة فى المنطقة الأثرية القديمة تسمح بالفرار حتى الطريق الرئيسى حيث يذوبون فى الزحام .

دقات القلب قوية متلاحقة وأنفاس ساخنة وعرق يغمر الجسم كله وهانى يجرى مراوغا يخفى المسدس بين ملابسه ويهدىء من سرعته عندما دخل الى الطريق العام ليقف مع المنتظرين على محطة الأوتوبيس فهذه نقطة المقابلة بعد تنفيذ العملية ولحقه عزت وثابت ولبيب وتأخر حنفى بضع دقائق مرت عليهم طويلة يتبادلون فيها نظرات القلق ، بينما البيجو البيضاء تقف على بعد أمتار منهم يطلق السائق النفير متقطعا يحفزهم أن يتحركوا فى الوقت الذى اكتمل عددهم قفزوا الى السيارة لتسرع بهم الى خارج القاهرة على أطراف المدينة .

كل شىء تمام .. كلهم موجودون .. والأسلحة معهم .. لم يسقط من أحدهم شىء فقد تركوا الأوراق وتحقيق الشخصية والنقود قبل أن يخرجوا الى العملية الفدائية المحكمة ..

الطريق طويل والصمت يلف الجميع بينما اشتعلت لفافات الدخان يجذبون منها انفاسا شرهة ربما اعانتهم ان يتمالكوا

أعصابهم .. هانى أطرق رأســـــه بينما أفكاره تتلاحق يسترجع المشهد الأخير مرات فقد كان الطفل يرقد على الأرض ممســـكا بآية قرآنية مطبوعة لم يقرأ ما فيها وان انطبع فى عينيه كلمات ثلاث . من شر ما خلق .. الطفل راقد وانبثق من عينيه واذنيه وفمه وأنفه من كل فتحات وجهه دم أحمر ســـال الى التراب ، وعيناه فزعة مفتوحة . من شر ما خلق .. سأل نفسه .. هل أصبح هانى هو الشر نفسه ، الطفل قد قتل ، ولم يكن مخططا أن يموت فقد قصدوا الأوتوبيس فقط .

التفت الجميع الى هانى عندما ســـمعوا صـــوت البكاء ، وأمطروه وابلا من كلمات السخرية والاستهزاء يعايرونه أنه طفل رغم أنه تجاوز الثانية والعشرين .. يعايرونه خائف ، لقد مر الموقف كله وخرجوا منه سالمين وحتى الجن الأزرق لن يصل اليهم وأمن على كلامهم السائق ، وهانى مطبوع فى عينيه رأس الطفل كتب حولها كلمات ثلاث .. من شر ما خلق .. الآن أصبح شر ما خلق والأمر لله .

نقص عدد الأولاد واحدا .. ! ثلاثة شهور والدكتور محمود ونيفين زوجته يبحثون عن هانى بعد أن سألوا الاقارب والجيران والأصدقاء وبحثوا فى المستشفيات وساعدتهم الشرطة ونشروا اعلانات فى الصحف والمجلات يناشدون هانى العودة اليهم .. كانت انفعالاتهم فى أوائل اختفاء هانى عالية ووصـــلت الذروة وتضاءلت تدريجيا بتذكرونه كل يوم ثم مرة كل يومين وانتهوا الى أن يذكروه على الأقل مرة كل أســـبوع ، فالدكتور محمود كثير المشاغل والاهتمامات أبحاثه تناقش وتنشـــر ومحاضـــرات فى

الجامعة تستغرق وقتا طويلا وتمتص عيادته باقى الوقت حتى يدخل بيته فى الساعات الأخيرة عندما يكون الجميع نائمين يسترجع على وسادته كيف كان يومه وقد ينهض لينظر فى مفكرته ليتذكر موعد تسجيل حلقته القادمة فى التليفزيون . أما السيدة نيفين فان يومها لا يقل فى زحمته عن الدكتور محمود فالى جوار عملها كمحاسبة ناجحة فى مكتبها الاستشارى فان لها نشاطا ملموسا فى الجمعيات الخيرية التى تدعو الى محاربة الأيدز وتهتم بجميع النشرات الطبية العالمية لمحاصرة الوباء الجديد كيلا يخرج شباب مصر من مطار القاهرة الى بلاد العالم دون أن يحصلوا على جرعة مناسبة من التوعية حتى لا يصابوا به فى ملاهى أوروبا وأمريكا وبلاد الأغراب فتدلهم على أحسن سبل الوقاية الطبية عندما يرغبون فى المتعة المحرمة وتضع لهم فى نهاية الاعلان الآيات القرآنية التى تحث على العفة كأنما كل الشباب يسافرون الى هناك ولا تبخل نيفين باجتماعات تستغرق الوقت فى المساء مع أعضاء النادى حيث تنشر دعوتها وتوافق أخيرا على أن ترشح نفسها لمجلس الادارة الجديد . لم يبخل الدكتور محمود ونيفين على أولادهم الأربعة بشىء أبدا فقد الحقوهم منذ صغرهم بتلك المدرسة الراقية التى تعلم الأولاد بالانجليزية وتوصلهم سيارة المدرسة يوميا الى المنزل لتلافى أخطار الطريق وتجنبهم الاختلاط بالعامة فى الطرقات ، لينشأوا فى جو راق أيضا واشتركوا لهم فى النادى يمارسون فيه الالعاب المختلفة بدأوا فيها جميعا ثم تركوها عندما كبروا ليجلسوا فوق السيارات يدخنون يجربون ثم ربما ينزلقون داخلها يكتشفون شيئا جديدا لا فرق بين ولد وبنت . وبعد أن قلق الاخوة على هانى ثم تضاءل قلقهم عادوا لمواعيدهم ولقاءتهم مع الأصدقاء فى النادى ، يتجمعون ثم يتفرقون الى شقة أحدهم لمشاهدة فيلم فيديو أو اكتشاف بانجو من نوع ممتاز

أو قرص مستورد جديد ليس له آثار جانبية ويتجمعون مرة أخرى فى النادى ليعودوا قبل عودة الدكتور محمود ونيفين مرهقين من اعمال النهار والليل بعد أن حققوا الكثير فى خدمة العلم والمجتمع .

هانى كان البكرى والاهتمام به كان فى الذروة تضاءل بعد وصول اخوته مرة بعد الأخرى واهتم به كل من يعمـــل فى المنزل دادة وخادمة وســـــائق وســـــكرتير والده أيضا ، فنشــــأ مسموع الكلمة حاد الرأى عنيد فى النهاية . وعندما لاحظ الدكتور محمود أنه يختفى أياما ويعود ظن أنه يشترك فى معسكرات الجوالة بالجامعة ولم يعلق كثيرا ، وعندما تردد عليه فى المنزل بعضهم أثارت ملابسهم المتواضعة مشـــــاعر نيفين ، وسألته أن يرتفع بمستواه عن مصادقة هؤلاء الفقراء .

هانى نفســـه لم يكن يتصـــور يوما أن يترك اصــــدقائه بالنادى لينضــــم الى هؤلاء .. وجدهم مجموعة مثله ســـاخطة على الكل تشـــــكو فســـــاد الجميع لا ينشدون شهرة أو مالا كل همهم جهاد ونضـــــال يهدفون الى الحكومة لاصـــلاح الفساد الذى انتشــــر مثلهم الأعلى أبطال يرونهم وحــــدهم يريدون الانتماء اليهم قضـــــيتهم الصــــلاح ، والحكومة فاســـدة كلها والبوليس كلاب الســـــلطة ، والمفتى امعة ووزير التموين أكبر لص قانونى ووزير التعليم يهدم التعليم والتربية أما وزير الصــــحة فهو منافق يتكســـــب من أنظر حولك واتفاقيات موانع الحمل ووزير الثقافة يتاجر فى كل شىء . كل وزير منهم يطأطىء الرأس ليحافظ على كرسيه ، ومجلس الشعب والشورى انتخاباتهم باطلة وكلهم معينون من الحزب الحاكم الذى هو الآخر يسعى للسلطة وهو فيها والأحزاب الأخرى تسعى للحكم حتى لا يفقدوا جزءا من

الكعكة الكبيرة ، ومصـــــر هى الهدف ينهشـــونها قطعـــة بعد الأخرى .. مخروبة هى ولن يضــــيرها زيادة الخراب .. السياحة ثلث الميزانية نخربها ويموت الناس ويظهر للعـــالم كله موقفنا فلابد لنا من دعم خارجى ونلفت النظر الينا ليرونا .. أما هؤلاء الذين يزعمون أنهم زعماء البلد فلابد لهم أن نصطادهم واحدا بعد الآخر ولا يهم الترتيب .. وعندما يحصـــلون على الحكم فســـوف يضعون كل شىء مكانه ويحاكمون الحكومة والخونة . هم المخ والعضـــلات والوقود والأدوات وســـوف يحصلون على السلاح والذخيرة ، والأفكار موجودة ولا يبقى سوى التنفيذ . هانى غرق معهم فى أفـــكارهم وخططهم . هـــكذا كانت رؤيتهم وتوهم نفسه عملاقا كما توهموا هم .

الأستاذة نيفين فى المؤتمر الكبير .. يبحثون مشاكل الشباب فى المجتمع ليخططوا منهاجا لامتصـــاص طاقات الشـــباب لخدمة البيئة .. قالت انهم لابد أن يزرعوا الأشجار فى الشوارع وحول المدارس والبيوت ويشتركوا فى نظافة شوارعهم لأنها أصـــبحت قذرة فانها عندما تسير ترى أحيانا بعض النفايات ازدادت فى الفترة الأخيرة فان الشـــباب عندما يشتركون فى هذه الأعمال فســـوف يحبون بلدهم أكثر ويذاكرون دروسهم بهمة ، أما الذين لن يشتركوا فانهم لديهم طاقة عاطلة ووقت فراغ كبير فينضمون الى رفاق السوء ويشـــاهدون أفلام العرى على الأطباق الكبيرة وأجهزة الفيديو وسوف يدخنون الحشيش والبانجو ويشـــمون الكوكايين والهيروين وقد يتجه بعضـــهم الى الحقن والبرشـــام وســـوف تتجه مجموعة منهم الى الارهابيين أو الى القمـــار والاتجار فى الممنوعات ، وأشارت الى أن دور الأسرة مهم جدا فى منع الانحرافات بين الشباب حيث يجب أن يكون الأب والأم قدوة لأولادهم يشـــملونهم بالرعاية ويتفرغون للاهتمام بالنشىء

الجديد ، فصفق لها المؤتمر طويلا وأدرج أقتراحها بتشـــجير الشوارع حول المدارس والبيوت فى قائمة توصيات المؤتمر .

الدكتور محمود فى حديثه فى التليفزيون بين آثار الهيروين على خلايا المخ وأوضح تأثيره على الأعصاب وطريقة التفكير ، ولم ينس أن يشـــير الى أن مدمن الهيروين قد أصبح عبئا على المجتمع والأســـرة وأن الخطر قد زحف ودخـــل الى البيوت المصرية ، وأنه يجب على الآباء والأمهات مراقبة أولادهم لاكتشاف انحرافاتهم فى الوقت المناسب لتقويمهم ، وأوصى المشـــاهدين بالتركيز على الاقتراب من النشىء الجديد للتعرف على أفكارهم واتجاهاتهم واستشهد بالحديث والقرآن وحمل الآباء مسـئولية كبيرة حيث انشغلوا جميعا بأعمالهم وجمع المال وتركوا أولادهم ينحرفون .

قتيل واحد وســتة عشــر مصـــابا بينهم اثنين فى حالة خطرة ، وقد نقل الجميع الى المستشفيات ، والطائرة جاهزة لنقل من تســمح حالتهم من السياح الى بلادهم فورا لاســـتكمال العلاج وصور المصابين وجولة رئيس الوزراء مع وزير الصـــحة بين الأســـرة البيضـــاء يبادلون الجرحى الكلمات الباســـمة وربما الضاحكة يعلنون بهذه الصـــورة تفاهة تأثير العملية على الشـــعب والحكومة ، ثم انتقل المذيع ليقرأ حـــالة الطقس والأمطار ، وانتهى الكلام والموقف والأحداث ، والصحف تنشــر أخبار مجهودات الشـــرطة لتعقب الارهابيين للقبض عليهم بينما لا توجد لديهم أية ادلة أو صور أو معلومات .. اذن فليبحثوا ..

قال هانى تعرف ياعزت ، عندنا أربع عربيـــات .. منهم واحدة مرسيدس بودرة والثانية بى ام يمكن ثمنهم يساوى ميزانية

القاهرة من كام سنة ودائما احس ان ثمنهم من دم المرضى والامهم ، الناس تعبانة ومش لاقية ثمن الخبز .

رد عزت قائلا : أن ابن خالته أقام فرحه بالقاعة الذهبية فى سميراميس ، وتكلف سبعة وسبعين ألف جنيه بين ايجار القاعة والبوفيه وأجور الفنانين وتصوير الفيديو ، المحطة داخل القاعة فيها أربعة كاميرات ثابتة وواحدة محمولة يدور بها المصور ليسجل الحدث ، ورغم كل ذلك كان الجميع ينتقدون بخل العريس وتواضع الحفل خاصة البوفيه .. وتساءل كيف يكون ذلك .. لا الاشتراكية نافعة ولا الرأسـمالية ولا الحزب الواحد ولا تعدد الأحزاب ، والديموقراطية كلمة وصـورة وشـكل للاسـتهلاك فى الصحافة .

لبيب قال متفاخرا لقد اصطادت مجموعتهم خمسة من البوليس ومات منا اثنين ولم يستطيعوا القبض على أحد وأنا لا اخاف بل يدفعنى ذلك الى تركيز التفكير فى كيفية تأمين العمليات ، فانهم يظنون أنه ليس لدينا عقول تعى وأننا سوف نخاف ، لا .. سوف نزيد عملياتنا واصرارنا ولن نهزم فنحن على حق وهم على باطل ولابد أن نسود .

فى النادى الأرستقراطى المعركة الانتخابية على أشـدها وزعت خلالها نيفين صورا وبرنامجا ومنشورات الدعاية ولم تكف أبدا عن الاتصالات بالأعضاء والمسئولين ليدعموا موقفها ويظهروا معها فى تراس النادى ، وصـرفت مبالغ كبيرة على الطبوعات واللافتات وآن لها أن تجنى ثمار مجهوداتها التى يمكن أن تصفها أنها غاية الاخلاص والحب لناديها الذى تفضل الموت من أجله عن الهزيمة فى الانتخابات ، تصارع ثلاث حيزبونات ينافسـنها على

المركز الذى رشحت نفسها اليه وكللت مساعيها بالنجاح ارتاح فى النهاية وتفوز ويظهر اسمها فى قائمة اعضاء مجلس الادارة تنشرها الصحف القومية والمعارضة ومجلات النساء .. لتتوارى الى الخلف قضية الغائب من شهور .

الشيخ على المنبر يزعق .. يكاد يزغد الناس .. أفيقوا الحكومة ليست حاضنة حتى المعاش .. الحكومة سياسة وادارة وتوجيه والناس تشتغل لتعيش ، لم يكن زمان مرتبات ، كان جهاد فى سبيل الله وكان جهاد فى سبيل الوطن .. خباز ونجار وترزى وفلاح واسـطى يديه تلف فى الحرير يفخرون من أيام الفراعنة بالأهرام وحتى محمد على بمدرسة الصنائع وقوافل الحرفيين وبنك طلعت حرب ليس ببعيد وشركاته قائمة تعمل والمليونيرات القدامى كلهم رجال ادارة وصناعة وزراعة واعمال واليوم مليونيرات تجار اكثرهم شطار وباقى الناس مطحونون ينتظرون أن تبسط الحكومة يدها لهم .. كيف وصندوق النقد الدولى لابد أن يضمن فلوسه عندنا ، اذن لابد من برامج وخطة واصلاح للاقتصاد وخصخصة وسـعر واحد للدولار ولابد من رفع سـعر الكهرباء والوقود والخدمات . ورفعوا أيضا المرتبات مرات ثلاثة لكن الكساد العالمى لا يرحم والوزارة مكتوفة والدولة مديونة والناس تتوالد كالأرانب وأنظر حولك لم تعد تفيد كثيرا . الملايين تضاعفت والأرض ضاقت ومكاتب الحكومة أيضـا ومدرجات الجامعة والكل يريد شهادات جامعية والمدارس ملآنة صبيان وبنات وسنوات ويصبحون جميعا عرائس وعرسان ويطلبون وظائف ومساكن ومرتبات ليزيدوا بعدها الملايين كل سنة مليون آخر بفم مفتوح وأمل فى حياة طبيعية ، كيف .. وطوابير العـاطلين تطول من العزاب وراغبى الزواج وبطالة تتسع بترحاب .

الحل غزو الصحراء ومشـــــروعات حرفية والهجرة وعندنا الاعتمادات والوزراء والخبراء وصناديق الدعم والمشورة .. وهناك البيروقراطية والقوانين الجامدة والعتيقة .. انسفوها ، فقط العمل والانتاج . كل الكلام معروف ولا أحد يريد أو يحاول أن يفهم والكل يهدف للمرتب الثابت والمعاش ومطلوب اجازات بدون مرتب للضمان .. المشكلة .. الجهل والناس لا تفهم ما يدور ويستعجلون الأمور ولابد للحاكم أن يفهم المحكوم .. الجهل متفشى والشباب عاطل يريد أن يفعل أى شىء ويثور ويسير خلف أى أمل .. الحل مصانع وزراعة وتجارة .. ليس الحل قنابل ورصاص وأعمال العصابات فلن نصل جميعا هكذا الى أى شىء . عشرات الألوف قتلوا فى حرب ستة وخمسين وفى بورسعيد واليمن وسبعة وستين وثلاثة وسبعين كلهم حاربوا لشـــــرف الوطن والعلم ، والوف ماتوا فى حوادث الطائرات والقطارات والسيارات والطريق وحوادث أخرى مات فيها المئات أيضا بين القضاء والقدر والاهمال والانتحار ، وكل يوم قتيل أو أكثر من الشرطة مقابل العشرات فى حوادث أخرى . للجيش جنود ماتوا على الحدود وللشرطة رجال ماتوا فى حضن مصر وكلهم شهداء أدوا واجبهم وغيرهم سيقومون بدورهم والعجلة لابد أن تدور وقتلى جدد ومساجين من شباب جاهل كان كله أمل أن يصلح الكون . أوقفوا الجهل .. أضـــــيئوا لهم الطريق .. وضحوا لهم المعالم وساعدوهم .. ربما .. وينزل الشيخ عن المنبر أو ينتهى برنامج التليفزيون أو يديروه الى قناة أخرى بدلا من الكلام المرصوص .. وربما فهم بعضهم ما يدور ..

الرجل العجوز يرى أنهم شباب أقوياء لا يعملون ولا يدرسون ولا يزورهم أحد ولا هم يسألون ولا يهتمون ولا يرى ما يريب فقط قلق من طول رقادهم ليل ونهار فمن أين يكتسبون ويدفعون أجرة سكنهم وطعامهم ، قرر الرجل وأفضى بمخاوفه الى ضابط المباحث .

بعد المغرب كانت الدائرة تضيق حول المنزل الريفى البعيد عند اطراف القاهرة جنودا لبسوا ثيابا ســـوداء وبخفة الفهود اقتربوا كثيرا .. همس ضابط الشرطة لزميله لقد كان الشيوعيون يعيشون فى خلايا مثل التى تحدث الآن وان اختلفت الظروف ودائما نعرف أماكنهم وبعد قليل سيكونون بين أيدينا ونعرف ماذا يفعلون . ضاقت الدائرة اكثر حتى وصلوا الى الباب وتسمعوا الأصوات ، ولما طرق الضابط مرتين اجاب احدهم فى كســل يسأل عن الطارق وعندها ردت المراة التى صحبت مجموعة الاقتحام وهكذا فتح الباب .

ولما كان الدور على هانى فى الاستجواب فانه عندما جلس وضع راسه بين يديه لحظة ثم انفجر فى بكاء عميق ، وتبادل الضابط مع زميله نظرة مفهومة فقد تعودوا على هذه التمثيليات البســيطة يرونهم يفعلون هكذا ليتخلصوا من الموقف ، الا ان هانى القى اليهم بهديته عندما قال باكيا : شر ما خلق هو انا .. لقد رأى الطفل راقدا وانبثق من عينيه وأذنيه وفمه وانفه ، من كل فتحات وجهه دم احمر سال الى التراب ، وعيناه فزعة مفتوحة . ربت الضابط على كتف هانى يشجعه ليطمئن ويستمر ، وابتسم يبادل زميله ، وتنهد كل منهما فى ارتياح .. وصدر بيان جديد عن وزارة الداخلية .

توقفت كل الأمور وامتنع الاستاذ عن الدخول الى الجامعة والتليفزيون والعيادة ولبست السيدة نيفين الســـواد فى فستان شيك وامتنع اخوة هانى هم أيضا عن الذهاب الى المدرسة ،

خافوا جميعا من عيون الجيران والأقارب والزملاء . الناس ايضا خافوا أن يجرحوهم بالسؤال ، عاشوا فى دهشة وحسرة حزانى موجودين .. فى المساء جلست نيفين تردد لنفسها كلمات الدكتور محمود التى سمعتها فى التليفزيون عن الاقتراب من الأولاد التعرف على أفكارهم واتجاهاتهم ونظـــرت اليه حانقة فوجدته هو الآخر يرمقها ربما ليلومها على اهتمامها بكرسى مجلس الادارة التى سعت اليهكثيرا هى الأخرى .

• جنـازة عمتى دهبيـة

دق جرس التليفون وأخبرنى أحد اقاربى أن عمتى دهبية قد توفيت رحمها الله . وهكذا أصبح من الواجب أن أهرع الى قريتنا الصغيرة لألحق بالجنازة ، ولا فكاك من هذا المشوار الصعب فقد أخبرونى الليلة وستكون جنازتها بعد صلاة ظهر الغد ، ولا مفر . آه من عزرائيل هذا انه هذه الأيام يعمل بجد ونشاط فى عائلتنا يطوف عليهم بالدور الواجب ، زارهم جميعا بدءا بالجدود ثم تركنا فترة ، وعاد للأعمام ثم العمات ، وعمتى دهبية صغراهم وقد أتى عليها الدور بعد أن جاوزت التسعين بسنوات وقاربت المائة عام فى هذه العائلة المعمرة · المهم أن مشوارى هذا تكرر فى الشهور الأخيرة أربع مرات متتالية ، كنت أصل فيها الى القرية متأخرا لألحق بالعزاء وقت المغرب لأبقى ساعة الى ما بعد صلاة العشاء ، ثم جلسة طويلة مع الأقارب أعود الى بيتى بعدها قرب الفجر ، فالمسافة وان كانت لا تزيد عن مائتى كيلو متر الا أن الطريق غير جيد ، وأفضل قيادة السيارة بتمهل فى الظلام ، وعزرائيل مصمم أن يرهقنى هذه الأيام بكثافة أكبر من المعتاد ·

كان من حسن حظى هذه المرة أن اثنين من اخوتى سيسافران معى ، فركبت معهم سيارتهم أوفر بذلك على نفسى ارهاق قيادة السيارة فى الظلام عند العودة · وعندما وصلنا القرية بعد معركة على الطريق مع الشبورة الصباحية والزحام عند اختراق المدن والقرى ، كانت الجنازة تستعد للانتظام وقد رجع المصلون من المسجد القريب والتفوا الى جوار باب الدوار العجوز الذى تقام فيه كل المناسبات ، وهذه المرة كانت مناسبة حزينة ، فبدا لى هكذا هو الآخر ، فقد سقط معظم البياض وظهرت الأحجار القديمة يعلوها بعض العناكب والأتربة ، وقد تولت الطيور مهمة اكمال الباقى بأعشاشها هنا وهناك فى الأركان ، وبينما اتأمل ما حولى كان الأقارب حينما يلمحوننا يسارعون الى تقديم العزاء لى منفردا ، كأنهم بذلك يقدمون الشىء الكثير مظهرين الكرم الريفى ، ثم ينزلقون الى السؤال عن الحال والأولاد ويلومون انقطاعى عن الزيارة ·· وقد أتعرف على بعضهم ولا أعرف أولادهم أبدا ، ويقدمونهم لى متفاخرين بانتسابهم الى أعمال هامة أو كلياتهم الجامعية · صدرت حولى أصوات الهمهمة وبضع آيات قرآنية قصيرة توحد الله وتسبحه بينما تحرك بعض الرجال ليتلقفوا جسد عمتى دهبية ملفوفا فى كفنها الأخضر ويسندونه حتى وضعوه فى مكانه على النعش ، بينما أخذ الآخرون فى تغطيته بغطاء خشبى ، وضعوا فوقه غطاء آخر من القماش الأخضر أيضا مشغول بالخيط الأصفر ، فى آيات قرآنية تدعو للصبر والموعظة وطلب الرحمة ، كانوا قد غطوا به نعوش من ماتوا قبلها ، بينما يقف النعش الريفى على أربعة قوائم عالية يمتد منه أربعة أذرع يحمله منها الرجال . كان كل ذلك يتم متواليا فى لحظات ، بينما اشارات بعض الرجال الينا أن نتقدم الجنازة ·· فنحن الواقفين بعيدا هكذا ، أبناء البندر يفخرون بنا ولابد أن نشرفهم فى مثل هذه المناسبة ، وتحوطنى رجال القرية المهمين ،

بينما كان ابناء عمتى دهبية الباقين على قيد الحياة فى المؤخرة خلف النعش · كانت هذه هى المرة الأولى لى أن أشترك فى جنازة بالقرية ·· لذا ، فقد رأيت الوضع مقلوبا ·· نحن جميعا نسير أمام النعش ، وقلائل فقط يسيرون خلفه · سارت الجنازة من شرق القرية لتخترقها فى اتجاه الغرب حيث المقابر ، مسافة طويلة سوف نسيرها ·· وكلما مرت الجنازة على مكان ، هب الرجال واقفين وانضموا الينا · وعندما كان الطريق ينحنى ، نظرت فوجدت كأنما القرية كلها تسير خلفنا أمام النعش ، وبدا لى أنهم كما لو كانوا ينتظرون موت عمتى ليخرجوا فى شبه مظاهرة صامتة أمام نعشها وتملكنى العجب ·

عمتى دهبية كانت صغرى اخوتها جميعا ، سبقها ثلاثة رجال منهم أبى ، وعماتى أربع أخريات ، احببتهم كلهم ، وذكريات طفولتى بالقرية متعلقة بهم جميعا ، وعمتى دهبية منهم ، ولو أنها كانت مختلفة دائما عنهم ، فقد كنت أحس أنها لا تحبنى لا أنا ولا اخوتى وربما والدى أيضا · من البداية ، قالوا ان ظروفها صعبة ، فقد تزوجت كبيرة عن بنات جيلها من أواخر القرن الماضى ، ثم لم تنجب لفترة طويلة داخت فيها على الأطباء والوصفات والمشعوذين ، وزاد همها زواج زوجها من امرأة أخرى فى غفلة منها ، وأطاح ذلك بالبقية الباقية من هدوئها · وفجأة كانت ثورتها على زوجها وأهلها وكل الناس ، ولم تهدأ ، بل استمرت أكثر عندما علمت بحمل ضرتها الجديدة ، فارتفعت الى قمة ثورتها وسخطها على حظها ، حتى من الله عليها هى الأخرى ، وكأنما فتحت لها طاقة القدر ، فأصبحت تنافس المرأة الأخرى فى الولادة حتى أصبح لدى كل منهما خمسة أولاد ، فى سنوات خمس متتالية . وكالقطة تحوط أولادها ، توحشت فى مواجهة زوجها الذى كان فى البداية بخيلا ، ثم متحيزا لزوجته الجديدة وأولادها ، فلما فاض به طلق عمتى

دهبية وتركها بأولادها سنوات كثيرة ، تصارع هموم الأيام وطلبات الخمسة الذين يحوطونها ، ثم حرمهم من أرضــه وباعها لزوجته الثانية وأولاده منها ، وغافلها ، ومات بعد أن استهلك كل أعصاب ووقت وعواطف عمتى دهبية · وهكذا أرهقهــا زوجها وطلاقهــا والأيام ، ثم بعد ذلك أولادها الذين عندما كبروا جحدوا ، وانكروا الفضل ، وتباعدوا عنها الواحد تلو الآخر ، حتى أصبحت تطلب أن تراهم ولو لساعات ، وعندما يحدث ذلك فانها ولابد أن تكون هناك مشكلة ، أو انفجار مع زوجة الابن ، أو زوج البنت ·· وهكذا كان حالها دائما .. تدور تشكى القسـوة والجحود ، وسوء الطالع والنصيب ، وتفيض على من حولها حتى لمس ذلك أبى ، فقد لامته أمامى بعد أن مات بربع قرن من الزمان ، تلوم له تفريطه فى حق البنات أخوته ، عندما ورثن أرضا من الجد .. تلومه أنه وافق على تقسيم الجد للأرض ، ولم يراع الله ، ولم ينصح أباه ، وربما هو الذى أوعز اليه بهذه القسمة الجائرة · تطلق هى سهامها فى كل حين ، فى أى اتجاه ، ساخطة ثم وحيدة لسنوات كثيرة ، بعد أن وهن العظم وسقطت الأسنان ، وتداخلت المرئيات والذاكرة ·· وبعد أن تباعدت الأيام ، حتى كدنا ننساها ، ثم أتى خبر وفاتها ·

هؤلاء الناس الطيبون جــاءوا يقدمون واجب العــزاء كشىء مقدس ، أو ربما حتى لا يؤاخذهم الناس ·· مسالمون وصالحون ، جاءوا من أجل الأحياء ·· أما الأموات ، فقد انتهى دورهم وذهبوا مثل من كان قبلهم ، وننتظر جميعا ، ونتساءل ·· يا ترى من ستكون المرة القادمة من نصيبه ؟·· هناك عند طرف المقابر أقاموا المسجد ، وأوقفونا عند الباب ، لتنتظم الجنازة المهيبــة ، وتصبح صفوفا عديدة خلفنا ، ووضعوا أمامنا النعش الأخضر ، يقف على أربعة قوائم كأنما هو شىء خرافى يضم زمنا قد فات ، وصلينا جميعا ، وعندما ســلم الامــام هب بعض الرجال كأنمــا يخطفــون النعش

ويسيرون به سريعا فى اتجاه قبرها ، واحسست بابن عمتى دهبية الى جوارى يجذبنى من يدى لأسير معه نحو المقبرة ، ولا أدرى لماذا طاوعته ، ووجدتنى مسوقا خلفه ، حتى توقفت لأرى همة الرجال تتجلى ، فقد كانت هناك حفرة عميقة ، يظهر فى نهايتها فتحة القبر فى جانبه رأيتها سوداء ، والرجـال منهمكون فى رفـع الغطـاء الحريرى الأخضر عن النعش ، بعدها رفعوا الغطاء الخشبى ، ثم أياد كثيرة تتلقف جسد عمتى دهبية ، من يد الى أخرى ، يتبادلونه وهم وقوف الى جوار البعض ، يسـلم كل منهـم الآخر جزءا من جسدها على التوالى ، حتى حسبت أنها تجرى راقدة فوق أيديهم ، ثم خفضوا رأسها عموديا الى أسفل ، يتلقاه رجلان وقفا فى الحفرة الضيقة ، لينزلق الجسد كله فى حركة سريعة الى داخل القبر ، كأنما هناك قوى خفية مجهولة تجذبه اليها ، واكتشفت أن هنـاك رجلين ، خرجا من القبر يعلوهما التراب على رأسيهما وأيديهما ، ونظـرة جامدة فى العيون ، فذلك هو عملهمـا بالقرية الى جوار الزراعة ·· كنت أظـن أن الجميـع حولى يرتلون القرآن مثلى ، ويدعون بالرحمة لعمتى ، ولكنى وجدتهم جميعا انشغلوا فى تقديم العزاء يدا بيد لأولاد عمتى ، وأنا فقط وسط بضـع رجال يقفون حول القبر · هذا القبر العزيز الذى يضم أحبابى منذ كنت طفلا ·· عددتهم جميعا ، فى لمحات خاطفة ، وكلما تذكرت أحدهم قرأت له الفاتحة · الرجل فى الحفرة يتلقف قوالب الطوب ، يلقيها اليه زميله ن اعلى ، ثم يرصها فوق بعضها ليختفى سواد فتحة القبر تدريجيا ى كل مرة يضع فيها قالب الطوب فوق الآخر ، حتى لم يعد باقيا سوى فتحة صغيرة سوداء ·

عندما حملوا عمتى دهبية من فراشها فان ذلك لم يرق لها ، ما يحدث الآن رغم ارادتها ، فلم تتعود ذلك · انها كانت تعرف تنتظر أن تموت يوما ·· الا أنها فوجئت بهذه الاجراءات التى

عايشتها مع كل من مات حولها تصبح من نصيبها هذه المرة ، وانها وان ماتت الا انه مازال لديها القدرة على الرفض ، ولما لم تجد ان ذلك يجدى شيئا ٠٠ اذن ، يا أيتها النفس المطمئنة ٠٠ انها مطمئنة الآن ، فانها ترى أنها قامت بحق دينها ، فقد صلت وصامت وقدمت زكاتها ، وحجت وتصدقت كلما استطاعت ، وان كان ذلك فى مرات قليلة ، ولابد أن الله سوف يسامحها أيضا عن صلاتها وهى صغيرة ، فلم تنتظم فيها حتى كبرت ٠ اما الأشياء الأخرى ، فانها صغيرة ويغفرها الله أيضا ، فانها تعرف أن رحمته واسعة اكثر مما يتصور البشر ، ثم انها لم ترتكب رذيلة تتذكرها ، او عملا تخجل منه ، كل ما كان انها لم تطق زوجها البخيل ، وكالت له من الشـتائم والدعوات بالويل ما استطاعت ، وتلك النسوة اللاتى كن حولهـا يشاغبنها من آن لآخر ، فقد أصابهن شىء من أذاها ، وسوف يعفو أيضا يوم القيامة عنها ، أو يسامحها النساء ، ليضاف حسـنات لهن مقابل ذلك الى رصيدهن ، أما اولادها كلهم فهى قد سامحتهم من زمن طويل ٠

حملوها وساروا ، واستطاعت ان ترى المشهد كله ، وتحصى من تعرفهم فيه ، وبهرها العدد الكبير للناس الذين حضروا ، فانها لا تعرف معظمهم ، ربما عرفت الكبار وبعض الأقارب ٠ آخر مرة رأت فيها شوارع القرية ، كانت منذ اكثر من ثلاثين عاما قبل ان يزرعوا الطرقات بأعمدة الكهرباء والتليفون ، وما تراه الآن كثير عليها تماما ، فان المشيعين قد تكاثروا امام النعش وحوله ، وكلهم يريدون أن يحملوها على اكتافهم ٠٠ اين كانوا عندما كانت تحتاج للعون ؟ ٠٠ المهم الآن ، انها فى الطريق الى المقبرة التى تضم الأهل والأقارب ، وهى فى اشتياق للقاء ٠٠ أمها ماتت منذ خمسة وأربعين عاما مضت ، وتفتقدها كثيرا الآن ولم يبق سوى خطوات وتلاقيها ، كم تحتاج الآن لأحضانها ، فقد مرت سنوات طويلة منذ الفراق ،

وتشتاق أن تضمها أمهـا بين ذراعيها فى حضنها لتحس الدفء والحنان الحقيقى ٠

لقد توقف الجميع عند المسجد ، وضعوا النعش أمام الباب ، واصطفوا للصلاة وبعضهم سبق الى القبر ليتأكد من سير الأمور على ما يجب أن تكون عليه ، بينما تناثر آخرون لم يذهبوا لا مع هذا الفريق ولا مع ذاك ، ولم يشتركوا فى الصلاة ، ربما بخلوا بالدعاء لها بالرحمة ، لا يعرفون أنهم يوما سـيكونون فى نفس الموقف يحتاجون لدعوات الآخرين ٠٠ وها هم الآن يسرعون بها الى القبر ، يتنازعونها بينهم ، كما لو كانوا يودون التخلص من هذا الموقف ، ليعودوا الى بيوتهم بعد المهمة الصعبة ، ويدفعونها دفعا لتدخل بسرعة الى مكانها الموعود ، وهذا الرجل العجوز ذو اليد المرتجفة ، يحل الاربطة حول قدميها ووسـطها والذى فوق رأسها ، ويكشف وجهها ، يحاول أن يعدل وضع رأسها كما يريد هو ، فليتركها ، تريد هى أن تنظـر حولها ٠٠ انهـا لا تستطيع الحركة ٠٠ خرج رجل ، والثانى يستعد ، وها هم الآن جميعـا خارجا يضعون الأحجار ٠٠ يسدون الفتحة الوحيدة التى تربطها مع العالم الحى ٠

ألقت الى الرفاق القدامى السلام ، ولم تسـمع أحدهم يرد عليها ٠٠ أين صوت أمها ٠٠ انها لا تسمع سوى الناس خارجا ، يحكون أرجلهم على الأرض متحركين ذهابا وعودة ، وضـربات الفأس فى الأرض تهيل الأتربة على الحفرة لتتساوى مع الأرض حولها .. ألقت السلام ثانية ، ولم يأتها رد هذه المرة أيضا .. حاولت أن تفتح عينيها لتلتفت رغم الظلام ، ولم تقدر ٠٠ انها سوف تحاول ذلك ثانية ، وأحسـت بالارهاق ٠٠ اذن ، فلتسترح برهة لتعاود المحاولة .. فجأة ، سمعت الدوى الخارق ، كأنما انطبقت

السماء فوق الأرض ، ويدين قويتين تدفعانها لتجلساها قسرا ، فتحت عينيها ، وتوقفت الصرخة فى حلقها ، ومدت يدها تتشبث بى وتجذبنى اليها ٠

أحسست بنفسى أندفع للأمام ، ورأسى تصطدم ، وصرختى عالية لم تخرج من فمى المفتوح بلسان جاف ، وأفتح عينى أحاول أن أرى ٠٠ أحاول أن أفهم ٠٠ قلبى يكاد يقفز خارج صدرى ، وأنفاسى تتقطع ، وعرق غزير ، بينما أمسك أخى بذراعى يهزنى لأفيق ، وبصيح أنى نمت وقتا طويلا خلال الطريق ، ويحتاج هو لأن يستريح من القيادة فى هذا الظلام ، وأوقف السيارة ٠٠ تمتمت ٠٠ عمتى دهبية ٠٠ وسمعت أخى يقول ٠٠ الله يرحمها ٠

● ســور القـاهرة الوردى

عندما كان يمر بسيارته فى الطريق بين المقابر ليصل الى الشارع الرئيسى بعد قراءة الفاتحة لروح والده استرعى نظره عجائز كثيرون يجلسون على أبواب المقابر يرتدون أكفانهم القديمة أو الجديدة واستطاع أن يلمح بعض عظامهم تطل من خلال القماش القديم .. خفف من سرعته ليدقق النظر فى هذا المشــــــهد غير المألوف غير مصدق لما يرى .. حاول الاستيعاب ولم يفهم وفجأة توقف محرك السيارة دون سبب .. حاول ادارته ولم يفلح .. استعاذ بالله وقرأ الفاتحة .. ارتبك أكثر وسال عرقه .. كل العربات تمضى فى سرعة حوله ولا أحد يتوقف .. اســــــتكان منتظرا الفرج .

أتى اليه أحدهم يتوكأ على عصا قديمة .. تعجب من نفسه عندما لم يخف .. حدثه العجوز وأفضى اليه بمتـــــاعبه ودعاه للجلوس معهم ومناقشة مشكلاتهم ان رضى ورضى طارق كارها فالى أين يمضى .. سار الى المجهول .

صـــــاح العجوز عليهم أن تجمعوا .. فى خطوات بطيئة ساروا .. تجمعوا حوله وجهزوا بســـرعة مكانا للجلوس داخل احدى المقابر فى الفناء المتسع تحت شجرة وحيدة ظللتهم كلهم . اشتكى العجوز الأول كان اسمه الحاج عبد الستار عمره اكبر من التسعين ومات من زمن طويل لا يعرف متى لكنه يتأذى كثيرا مما يحدث فوقه .. انه يســـمع ويحس بما يدور .. فسق ومجون حفلات الزواج وسهرات الحشيش وضحكات السكارى علاوة على صراخ الأطفال .كل ذلك يحدث فى المقابر ، وأنه غير سعيد ويحدد الرجل المسئولية عما يحدث ، فان فاروق وهو أكبر أحفاده ويتوقع أن يكون عليه الدور وينضم اليهم قريبا لا يعنى بالمقبرة ، فهو يؤجرها لعم عبد الســـــلام بائع الفاكهه الذى جعل المقبرة مخزنا لأدواته وفاكهته ، وزوجتيه دائما تتبادلان الصـــياح كل مساء وصـــباح ، وأطفاله الكثيرون ربما أكثر من عشرة لا يكلون من اللعب ولا القذارة، ولم يبق ســـــوى أن يحفروا المقبرة عبثا ويزعجوهم . قال ان الأحياء لهم أن يعيشوا ويمارسوا كل حياتهم ولكن ليس فوق حرماتنا وأدمغتنا فقد شبعنا حياة والواجب أن نستريح .

أما المرحوم الثانى اســـــمه الشــــيخ عيد فقد تجـــاوز الثمانين بقليل واستطاع طارق أن يخمن انه توفى فى أول القرن منذ أكثر من تسعين سنة .. واشتكى المرحوم من مياه تنزل على عظامه رائحتها نتنةولا علاج لهذا الرشح الكئيب الذى احال المقبرة الى بركة دائمة .

أما المرحوم مجاهد فانه ايضا يشكو ســـــمكرى السيارات بالمقبرة المجاورة فانه يدق ليل ونهار على الصاج دقات منغومة

ولكنها مزعجة علاوة على كاسيت كبير يذيع أغانى سريعة غير مفهومة ،واشتكت سنية بصوت واهن خجول أنها تتأذى كثيرا من ممارسات الأحياء عموما وتستحى أن تذكر أن ساكنة مقبرتها وهى مطلقة جاوزت الأربعين تمارس الرذيلة فوق رأسها تماما وان لم تمارسها هى فانها تأتى بمن تفعل ذلك وتتقاضى منهن نقودا .. قالت ذلك وغطت جانبا من جمجمتها بجزء من كفن أحال التراب لونه بعيدا عن البياض .

صاح أحدهم انى أرى يوميا الشباب يأتى هنا بعد الغروب فى سيارتهم ويمارسون الرذيلة الى جوار مقابرنا ويشربون الخمر والمخدرات ومعهم الساقطات .. يعرفون أن هنا الأمان واننا لانقدر أن نعارضهم فيما يفعلون ولكن أعمالهم هذه تجعلنا نتأذى كثيرا وأطالب باجراء لمنع ما يحدث فى هذه المنطقة كل ليلة .

أشار أحد الموتى صائحا بصوت ضعيف أنه يجب أن يقول هو الآخر كلمته ليوضح شكواه وعندما لم يصل صوته الى المرحوم عبد الستار حملوه اليه .. تكاتف بعضهم وتشابكت عظام أيديهم ونقلوه أمام المرحوم عبد الستار والأستاذ طارق ، قال أنا اسمى برهان .. عملوا لى أربعة عمليات جراحية قبل أن أموت .. لقد تعذبت .. قطعوا من لحمى الكثير حتى أرهقت وتمنيت المـــــوت وأهداه الله لى ووجدت فيه راحتى .. الأسبوع قبل موتى كان عذابه شديد .. الحديث جذب انتباه طارق .. شجعه قائلا احكى لى ياعم برهان ..

قال المرحوم برهان كنت عامل بناء ، سافرت من بلدى نجع صـــــفير جوار أسيوط مقاول الأنفار طلب رجال للسفر للقاهرة والقرش عزيز ومطالب الأولاد لا تنتهى .. قلت أسافر أكســـب

فلوس تنفعهم وجدت أن بقائى فى اسيوط بالخسارة ومديون للجميع .. المقاول اعترض وقال ان صحتى ضعيفة وبعد طول رجاء وفى بحر اسبوع وصلت القاهرة ، وبعد شهور سقطت مريضا ونقلونى للمستشفى واتصلوا بأخى حسن . الحق ان أخى وصل بدون تأخير وعملت فحوصات وتحاليل واشعات كثيرة وأطباء كثيرون مروا على يشخصون وكلهم قالوا لابد من عملية جراحية .. وعملية وراء الاخرى وقطعوا مصارينى وجزء من معدتى وكل مرة يقولون قطعة صغيرة حتى انهدت قواى وأصبحت جلد على عظم وموتى قرب واخيرا احسست بأنى على وشك .. وفى يوم حضر أستاذ كبير ومعه أوراق وفحص الأشعات والتحاليل مدة طويلة وكلمنى كثيرا انى لابد رجل طيب وسيكون نهايتى الجنة وان الطب تقدم كثيرا وتجرى الآن عمليات لنقل القلب والكبد والكلى والعيون واشياء اخرى وانه هناك مرضى يحتاجون هذه الأجزاء وانه يعرض على أن اتبرع بعد موتى لهؤلاء المرضى .. الكلام كان حلو لكن خوفى كان أن يقطعوا من جسمى ورفضت . ثم حضر أطباء وموظفين وناس «عاوزه تشترى» . سوق يا ابنى ، يوم بعد العملية الرابعة تعبت جدا وكنت غير قادر على الحركة او النطق وكنت اسمعهم حولى غير قادر على الاجابة .. وسمعت أخى حسن ابن ابى وامى يفاصل فى سعر « كلوتى » وعينى .. سمعته يوافق على البيع وقال «الكلوة» خمسة عشر والاثنين بثلاثين والكبد وحده عشرين اما العيون بعشرة والجملة ستين نقدا وعدا ويمضى فورا . أنا حزنت «بقى ياحسن» من أجل ستين جنيه تبيع اخوك قطع . نظرت اليه واقف معهم انا اعرف انه عنيد وسيصل لما يريد .. احاول أن أنطق .. ارفع يدى .. ولا استطيع .. كما الكابوس .. عينى افتحها واقفلها ونفسى مخنوق كما لو جبل فوق صدرى .. ادعى ربى يخلصنى بسرعة ..

عذبني اخي حسن بعمري كله .. كلامه كان سكاكين المها أكثر من أوجاعي واشد .. المهم حسن اخي صمم على المبلغ والرجل يساوم وانفض الموقف على موعد للغد .. ساعة أو أكثر والسر الالهي طلع واخذوا جسمي على العمليات فورا وفتحوا وقطعوا واخذوا كل ما يريدون ولم احس في جسدي بما يفعلون وقلت ليت حسن وافق فتكون النقود نفعته رغم أنه كان يريد بيعي حيا أو لو حتى انا وافقت كانت راحت للأولاد وحزنت أن خوفي كان على لا شيء لانه لا ألم هناك ولا أحس أي شيء مطلقا وكنت أرى الأطباء يشتغلون بهمة وضمير وانا طائر فوق جسمي وأسمع كل ما يقولون .. ما حدث كنا شيئا صعبا للغاية .. فانه عندما رفض اخي حسن البيع واجل المساومة لليوم التالي انتهز الفرصة المرض ووقع بامضاء اخي والأستاذ اعطى المرض مائة جنيه كاملة قبضها المرض واختفى والأستاذ اشترى وباع وقبض واختفى كما لو كانوا جميعا ينتظرون موتي .. هل تعلم بكم باع الأستاذ .. ؟ باع الكلوه بأربعين والكبد بستين والعين الواحدة بعشرين والبيعة كلها كانت بمائة وثمانين .. تصور يا أستاذ طارق أنا كنت فاكران العدد بالجنيه طلع بالألف . ثمن جثتي قطع . حسن اخي ذهب للمستشفى اليوم التالي يسأل عني ليساوم مرة أخرى .

قالوا له «خلاص ياعم حسن» البقية في حياتك . برهان أخوك تعيش أنت .. فين برهان .. برهان في الثلاجة .. وسلموه جثة أخرى ملفوفة وجاهزة وعليها ورقة مشبوكة بدبوس مكتوب عليها اسمي برهان عبد المقصود .. حسن بكى من خيبة الأمل والحيرة . بكاء الحزن له شكل تاني ..

لم يكن حسن ليستطيع ان يستلم جثتي . اجرة النقل الى أسيوط غالية . حسن قال يندفن في مصر «وأهي كلها أرض الله» وأخذوا

الجثة دفنوها وخلاص .. أنا فى الثلاجة كام يوم وجهزونى ولفونى فى القماش وورقة مشبوكة بدبوس مكتوب عليها أى اسم وسلمونى لسيدة ترتدى السواد .. بكت دون أن ترى الجثة وشدت شعرها ولطمت وصرخت .. اخرجوها من المشرحة وصندوق وسيارة وعلى هنا طوالى .. السيدة فيها الخير .. كل أسبوع تزورنى وتقرأ الفاتحة لروحى وتبكى كثيرا ، تعتقد انى زوجها ولا تعلم ما حدث . حكايتى فى دقائق طولها أســـابيع والمهم أنا لا أعلم أين دفنونى وليس من المهم أن أعرف لكن كنت اظن أن الدنيا سوف تهدأ بعد موتى .. رأيتهم استفادوا كلهم .. اكلونى لحما ورمونى عظاما لا قيمة لهـــــا .

فهمهم الحاضرون وقال مرحوم آخر يجلس قريبا بلا ذراعين ولا ساقين أنه يطالب بانشاء جمعية للموتى المعاقين بعد ان سرقوا منه ذراعيه وساقيه وانه هكذا أصبح مقيدا مكانه لا يستطيع الحركة الا بمساعدة الزملاء .

وقالتمرحومة اخرى انها سمعت عن عصابة تشترى جماجم الأطفال ليسحقونها ويحصلون على مسحوق الجمجمة يخلطون به الهيروين ويشمونه بحثا عن المزاج العالى ، وضحك الجميع .

ثم وقف مرحوم آخر .. له هيبة واضحة وبصوت قوى قال يا استاذ طارق أنتم تعرفون أنه يتم هنا علنا بيع الأعضاء للطلبة فى كليات الطب وآخرين يستعملونها فى السحر وأشياء اخرى .. تجارة معروفة ولها سوق وسماسرة يقيمون معنا هنا هم حراسنا للأسف ويعرفون كيف يديرون أعمالهم . الحق لا يغضب أحد .. الأجسام لنا نحن ملكنا وحدنا .. ونحن احرار نفعل بها ما نشاء ويستغلنا الآخرون ببشاعة . لذا فانى أطالب بانشاء نقابة أو جمعية

لقدامى الأموات وضحايا بيع الأعضاء يكون مهمتها حمايتنا من هذه الفوضى وانشاء غرفة للمبيع نقدم فيها أعضاءنا بالأثمان التى تروق لنا ، وتخصم منا نسبة نستغلها فى تحسين مستوى الخدمة بالمقابر حتى ننام فى رقدتنا الأخيرة مسترحين كما هو مقدر لنا . ويمكن لنا بالمبالغ التى نحصل عليها أن نشترى مقابر أخرى فى مناطق راقية كمصر الجديدة أو المهندسين مثلا . واطالب بانشاء شرطة لحماية الأموات لحماية مصالحنا . وهنا قاطعه المرحوم سليمان قائلا أنه يجب أن يكون تفكيرهم متطورا مع أحداث العصر وأنه هو نفسه سوف ينتقل الى أبراج المقابر الفاخرة بدلا من وجوده فى هذه المقابر الشعبية المزدحمة حيث اختلط الكل ولا فرق هناك بين عامة الناس والأكابر وانه اشترى مقبرة تمليك فعلا فى البرج الجديد على أطراف المدينة بعيدا عن التلوث وانه يدعوهم جميعا لزيارته هنـــاك والتقط الخيط مرحوم آخر بدأ حديثه فى هدوء وأعلن انه يقوم فعلا ببيـــــع الاعضاء وانه لا يمارس ضغوطا على الزملاء بل انهم يأتون متطوعين باختيارهم ويبيعون ما يشاءون ، وأن شركته لتوظيف وبيع الأعضاء قد انضم اليها عليه القوم ويفخرون بانضــــمامهم اليه وأنهم يقومون بالدعاية لترويج مشروعه ويحصلون على نسبة كبيرة من الأرباح التى يحصل عليها ، علاوة على انه يحتفظ بالأثمان لاستثمارها فى المشروعات التجارية التى تعود بالربح مرة أخرى على الســـادة المرحومين المشتركين معه فى المشروع وانه يضمن أموالهم بكل حياته وموته ايضا .. وأعلن انه يود لو يمتد مشروعه ليشمل أعضاء الأحياء قبل وفاتهم ولكن ذلك يتطلب الكثير وأن الاخوة فى البلاد العربية اتصلوا به أخيرا يطلبون أعضاء طازجة ويعرضون أثمانا خيالية للأجزاء . وتساءلت واحدة منهم بصوت دافىء قالت وهى تحبك كفنها حولها وتشده ليبرز مفاتنها هل تستطيع الآن أن تبيع الأجزاء التى تهم النساء فضج المؤتمر بالضحك والتهكم وثارت التعليقات الخارجة .

وحسم الرجل الموقف وقال : انه سوف يتلقى طلبات البيع وينسق الأعمال وسيعود كل ذلك بالخير لكل الموتى حريم ورجال .

انتهز الفرصة احدهم ليعلن مشروعه لانشاء قرية سياحية للأموات على الساحل الشمالى بنظام تبادل الوقت مع القرى الأخرى على البحر الاحمر وانحاء الجمهورية وانه اشترك مع شركة لتبادل الوقت فى المصايف العالمية واعلن استعداده لتلقى المقدمات من المرحومين ، واعلن عنوان مقبرته لمن شاء الاشتراك وقبل ان يتحول المؤتمر الى فرصة لاعلان النشاطات التجارية وقف المرحوم عبد الستار لينادى ان ما يحدث الآن هو منافسة الأموات للأحياء فى بيع الأعضاء وهذا قد يعارض حرمة الموتى وربما مع الدين أيضا وحذرهم من هروب مدير شركة توظيف الأعضاء بأموالهم كما يحدث فى عالم الأحياء فان احدهم بعد أن جمع مالا كثيرا بنى به مقبرة فاخرة له ولأسرته فى دولة أخرى ثم هرب بما جمع وان الجميع يجب أن يعلم أن الحساب لا مفر منه ويجب على الكل ان يتقوا الله فى أعمالهم فمازالت تحسب عليهم ، وانه يوافق على انشاء شرطة لحماية الموتى ولكن خوفه شديد أن يتحولوا هم الى تجارة الأعضاء أيضا ثم يتخاذلون عن حمايتهم فى الواقع وبذلك يكون الجميع قد استنزفوهم وهم الى ضياع .

مال المرحوم عبد الستار على الأستاذ طارق ناصحا وقال كله الى تراب اللحم والعظم اليوم وغدا تراب أنا وانت وكل بنى آدم .. المسألة وقت فقط ان الأحياء الذين يعيشون فوقهم الآن نشأوا وسط المقابر ، يرون كل طقوس الموت ويرون عشرات الجنازات كل يوم ويتعاملون بالجثث وفى الجثث ويعرفون اثمان القطع فى المنطقة وينافسون فى البيع المناطق الأخرى ولن يخافوا أبدا بعد معايشتهم للموت ليل نهار يعيشون كل حياتهم وسطه يأكلون ويرقصون ويتناسلون وينامون ويضحكون وكأنهم غير

موجودين فوقنا تماما .. انه لا يرى أى انسان فيهم الآن يخافه من شبح ميت او جثة او من افعاله شخصيا .

قرر المجتمعون تشــكيل لجنة لبحث الشـــــكاوى والطلبات وكلفوا الأستاذ طارق بمهمة توصيل توصـــياتهم ورغباتهم الى المسئولين بالدولة وايضا حملوه رسائل الى اصـــحاب القبور الأحياء لوقف الممارسات غير المريحة لرقدتهم الأبدية هذه ، مشى طارق الى سيارته وركب وعجب انها دارت ببساطة ومضى الى منزله مذهولا لا يكلم احدا .. جلس مع نفسه يستعيد ما جرى كأنما يحدث ثانية امامه غير مصدق انه حدث فعلا . أنتظر واقفا ولبس ملابسه مرة اخرى بسرعة وعاد الى طريق المقابر .. نفس المكان ودقق النظر .. لم يجد احدا بتاتا كل المقابر ابوابها مغلقة والمفتوحة منها وجد امامها اناســــا عاديين مظهرهم طبيعى .. واحياء .. سمع دقات سمكرى السيارات المنغومة وترامى الى اذنيه صوت الكاسيت العالى . توقف ليدقق السمع .. فتح بابه مجاور واطلت منه امراة .. جريئة نظراتها تفحصته واقتربت .. ابتسمت .. رأى اسنانها الملونة بدخان السجائر .. ورأى هالات الكحل حول عينيها واحمر شفاه رخيص اثاره على شفتيها وحول فمها .. فتحة قميصها واسعة مترهلة تشير الى عينيه أن ينظر .. اقتربت السيدة اكثر .. تحرك مبتعدا خائفا أن تقتنصه الى المقبرة . صدمت انفه رائحة ماء المجارى المتسربة .. تذكر المرحوم عبد ايضا . اذن كل مايراه فعلا اشتكى منه كل المرحومين الذين حضروا المؤتمر الغريب .

يوم مرهق طويل .. نعس طارق .. زاروه جميعا والحوا عليه طلباتهم ثم تركوه ينام .. استيقظ نشطا لليوم الجديد واتصل بالتليفون بعمله يطلب اجازة وتوجه الى المقابر . هذه المرة نشيطة

جرئيا نادى على الناس وحراس المقابر .. سجل اسماء وعناوين وتليفونات وكتب الملاحظات ثم عاد الى المنزل يجهز خطوته التالية .

كتب الرسائل واتصل بالتليفون وشرح للناس الحال الذى صارت عليه مقابرهم وحذرهم من التهاون . سمع كلمات السخرية واللامبالاة .

اشاعات كثيرة بدأت تظهر .. أحاديث طويلة تدور فى النوادى حول المناضد فى الحديقة وحول حمامات السباحة والصالونات . سيدات البيوت تداولن الحديث .. الحديث لا ينقطع بين الشباب .. كانت الظاهرة قد تفشت ومعظمهم يحكى أنه صاحب التجربة . كثير من الناس ذهبوا الى شوارع المقابر ليروا بأنفسهم ما يحدث ولم يظهر اى تقدم .. كل ما يدور أحاديث فقط ..

المرحوم الحاج عبد الستار طهق من الحديث والشوشرة وقرر أن يكون فعالا .. ارتدى كفنه ومضى انه يعرف طريقه جيدا . وفى الصباح قام عدد من المسئولين بزيارة المنطقة . زارها نائب المحافظ ورئيس الحى وأيضا بعض الصحفيين داروا والتقطوا صورا وحادثوا الناس وانفض الاهتمام وبدأت الاشاعات تخبوا والتفت الناس الى اشاعات واخبار اكثر اثارة ولما مضى شهر آخر ولم يتغير الموقف بالمقابر . استدعى الحاج عبد الستار المؤتمر مرة أخرى ، ودعا أيضا الأستاذ طارق وقرروا أن يكونوا فعالين اكثر .. وزع عليهم المرحوم عبد الستار عناوين أصحاب المقابر والمسئولين وأمرهم بزيارتهم فى منازلهم واقتحامها عنوة وهو شخصيا سوف يزور المحافظ الليلة ومعه المرحوم برهان .

غرفة نوم المحافظ واسعة بها ثلاث تليفونات أحدهما لاسلكى وثيرة الغرفة هذه .. كيف ينام فيها وحوله كل هذه المسئولية . انتظره المرحوم عبد الستار .. جلس فوق أحد الكراسى الوثيرة أيضا .. وقبل الفجر حضر السيد المحافظ تسبقه زوجته وصوته .. انتبه المرحوم عبد الستار واختفى ونظر اليه من بعيد .. انه شخص عادى تماما يرتدى الفانلة والسروال ويغنى وهو ذاهب الى الحمام .. صحيح يبدو أنه مرهق من العمل حتى هذه الساعة .. ثم اكتشف أن المحافظ كان فى سهرة خاصة .. غير ذلك من فكرته عن المحافظ وامتعض قليلا .

بعد أن نام المحافظ وقف المرحوم عبد الستار الى جانبه كأنما يلقنه الحلم .. شرح له ما يدور بالمقابر خاصة مقبرته وحكى عن انزعاج المرحومين مما يدور ولخص تلقينه فى تهديد بالزيارات المستمرة يقوم بها ثانية أو يرسل اليه من ينوب عنه بالمقبرة .

فى الصباح مكالمة واحدة من السيد المحافظ جعلت تليفونات مسئولى القاهرة كلها مشغولة بالحديث كلهم يطلبون ويأمرون ثم فى الصباح التالى تحركت قوافل من عربات الشركات للطرق والبناء والتعمير ومصانع الأسمنت والطوب كلها تجمعت حول أطراف مربع المقابر وبهمة ونشاط عشرات البنائين والملاحظين والمهندسين ، شيدوا سورا حول المقابر .. كان السور عاليا به بوابات محددة وضعوا عليها أفراد الأمن بملابسهم الزرقاء والبيضاء وقد وضعوا شاراتهم على غطاء الرأس وبطاقات الأسماء على الصدور يتدلى من حزام كل منهم مسدس كبير .. وانتهى العمل فى أسبوع ، وجاء يوم الاحتفال .

مر الرئيس بسيارته حول السور وأعجبه لون الطلاء الوردى الذى غطى المواجهة كلها باللون الرقيق .. وأبدى تأثره وامتنانه لأن السور حجب منظر المقابر القديمة الفقيرة عن عيون

المارة بسيـــاراتهم فى الطريق الى مصر الجديدة والمطار .. اما المحافظ فكان أشدهم ســـرورا ، فان السادة المرحومين لن يستطيعوا تســـلق هذا الجدار العالى فسوف يحمى القاهرة كلها من هجماتهم الليلية وازعاجهم المتتالى ومسئول الاسكان كان أكثرهم فخرا فقد استطاع بناء السور فى زمن قياسى وبتكاليف معقولة .. كما ابتســـم مقاولو الباطن فقد ذهب جزء كبير من اعتمادات البناء الى حساباتهم الخاصة فى البنوك .

بعد أن مر أسبوع فان الصبية الاشقياء نقبوا جدار السور للمرور . فتحة صغيرة امام كل شارع صغير حتى لا يدورون حوله ، ثم وسعها حراس المقابر حتى تمر الجنازات منها ولم يتحرك كثيرا رجال الأمن فانهم يرون أنه ليس هناك شىء يمكن سرقته من الموتى وناموا فوق الكراسى على البوابات الكبيرة . وبعضهم انضم الى نشاطات حراس المقابر .

أما سمكرى السيارات فمايزال يدق دقاته المنغومة مع اغانى الشباب الجديدة ومازالت مياه المجارى تكون البركة اياها فى مقبرة الشيخ عيد وما يجاورها والمرحومة ســنية بعد ان فاض بها من ساكنة المقبرة قررت الا تعاديها حتى لا تقلق موتتها بطريقة أخرى والمرحوم الشيخ عبد الستار مازال يجاهد ليعقد المؤتمر مرة ثانية ربما لتكون قراراتهم اكثر فاعلية للأحياء والأموات على حد سواء فكلهم سوف يكونون جيرانا يوما ما فى نفس المكان .

ومازال الأخ طارق يتذكر كل حين هذا الموقف الذى تعرض له مجبرا على المشاركة فيه وان كان يقسم أيمانا كبيرة أنه حضر معهم مؤتمرهم ووافقهم على ما قرروه وأنه شخصيا شـــارك فى الاتصالات مع أصـــحاب المقابر لوقف المهازل وبعضـــهم صدق وآخرون ابتسموا ساخرين .

• انهيـار مع سـبق الاصـرار

عندما اعلن القاضى .. رئيس لجنة انتخابات النادى نتيجـة انتخابات مجلس الادارة لم تكن مفاجأة للأستاذ حامد أنه فاز بمعقد عضو بالمجلس فقد كان يتابع رصـــد الأصوات للجنة الفرز ويرى رصيده من الأصوات يزداد .. لكنه عندما سمع القاضى يعلن اسمه اتخذت فرحته الشكل النهائى لها عندما صفق الحاضرون طويلا .

عندما عاد للمنزل بعد ايام ثلاثة كاملة قضاها كلها فى النادى يناضل معركته عدا ساعات قليلة لنومه كان رنين التليفون لا يتركه لحاله فترك البيت مرة اخرى الى النادى ليحيط به الأصـــدقاء والأقارب يهنئون .

عندما انعقد المجلس لأول مرة وزعوا الأدوار والمسئوليات .. وهو رجل اعمال فأسندوا اليه الاشراف على أعمال النادى للانشاءات والصيانة وأمور المتعهدين وعهدوا اليه بطاقم له مدير ومعاونون وعمال لادارة هذه المسئولية كلها .

عندما بدأت مسئولياته تتخذ شـــكلها التنفيذى توالى عليه المنفذون يتقربون ويطلبون الرضا وأيضا يطلبون التنفيذ . يطلبون فى المكتب والبيت يراهم حوله فى حلقة مغلقة يتمنون رضاه وبسمته وموافقته .

عندما كان الأمر هكذا ولما كان حامد دائما متميزا يجتاز كل امتحان لا يرضى عن النجاح بديلا يسلمه الى نجاح آخر فكون ثروة لا بأس بها .. اذن النقود ليست مشكلة والنجاح تعود عليه وتزوج وأصبح له البيت والأولاد .

عندما زاره مسعود زميل الدراسة عرف أنه يريد أن يكون المتعهد الجديد للنادى فيسر له الأمور ووافق على كل طلبات النادى وشروطه واحتفالا بالموافقة احتفل حامد والأستاذ مسعود بعودة الصداقة القديمة والعمل الجديد جنبا الى جنب وضـــم الاحتفال زجاجة ويسكى فاخرة وسيجار وكافيار فى فندق الخمس نجـــوم حيث الراقصة الألمعية التى بهرت الأستاذ حامد بعد طول غيـــاب عن الجو الجميل أيام الشباب .

عندما رسى العطاء على الأستاذ مسعود ، بعدها بساعات قليلة ذهب حامد للبنك ليسحب بعض المال واخبره موظف الشباك برقم الرصيد الحالى . كان الرقم متضخما هذه المرة وعندما تسائل عن تصحيحه أخبره الموظف أنه اودع بالبنك هذا الصباح لحسابه عشرين الف جنيه .. دفعها شخص اسمه احمد احمد محمود ، وهو لا يعرف اى شخص بهذا الاسم .. فتعجب .

عندما كان المساء فى السهرة الجديدة مع الأستاذ مسعود ، سمع الحكاية من حامد بعد الكأس الرابعة انطلقت الضحكة راقصة فرحة مجلجلة من مسعود تسخر من بطىء فهم حامد لأنه لم يكتشف أن صديق السهرة قد أرسل هذا المبلغ اليه هدية الاتفاق .

عندما كان حامد يستعد لتقمص دوره العادى لرفض مبلغ الرشوة .. كان مسعود جاهزا بالمفاجآت فحضرت راقصــــة الخمس نجوم شخصيا وجلست جوار حامد لتهدىء من روعه قليلا ويبدأ العشاء فى صـــحبتها ويدور الحديث فى اتجاهات أخرى ، ونسى حامد الفضيلة مؤقتا والمبلغ نهائيا وركز أكثر لحديث النغم الجالس الى جواره .

عندما كان الصباح التالى بعد أن ذهب تأثير الخمر عنه حامد كان واقفا يرتدى ملابســـه كعادته أمام المرآة عندما رن جرس التليفون ، وكانت هى رفيقه الأمس . خفق قلبه بشدة أن تحس زوجته بالمكالمة وسريعا ألقى اليها برقم المكتب وموعد لمكالمة أخرى، وحاصر الأستاذ مسعود صديقه حامد فى كل مكان مؤقتا واستخدم راقصة النجوم ببراعة لتنفيذ الحصار وأدمن حامد حصار مسعود واستراح لهذه الطريقة ولم تعد تهمه النقود التى يضعها حامد فى حسابه فهى فى النهاية تصل الى النغم الراقص على أضـــواء الشموع فى ملهى الخمس نجوم .

عندما كانت هناك مناقصـــــات وعطاءات أخرى عرف حامد الطريقة وكلهم يعرفونها ويكفى بعد ذلك مـــكالمة أو زيارة البنك ليعرف رقم الرصيد الجديد . وعرف بعد ذلك كل ملاهى الخمس نجوم وراقصات النغم الحالم والهادىء والنائم أيضا .

عندما أحست مريم زوجة حامد بارهاقه الشديد ليل نهار فى أعمال النادى وعمله الخاص، ظهر عليها القلق واللهفة وأصرت على زيارة الطبيب فطمأنها وطمأنه عن الحـــال وأوصى بالمقــويات والفيتامينات والنوم مبكرا . لـــكن مريم لم تكتف بزيارة الطبيب فلازمته كثيرا حتى لا يرهق نفسه ، وعندما تدق الثانية عشــرة

منتصف الليل يجب أن يكون فى سريره استعدادا ليوم عمل جديد. ولأن مريم بليدة الى حد ما فلم تكتشف وجود اخريات فى حياة حامد الا مؤخرا ، بعد أن مرت سنتان كاملتان على انتخابه عضـــوا بمجلس الادارة حيث توسعت جدا دائرة معارفه من حريم النادى وحريم الموردين والمتعهدين وايضا حريم صـــــالات الخمس نجوم عندما احس أن مريم لا تقنعه فلم يعد يقضى معها وقتا أو يسمع منها حديثا أو حتى يأكل فى بيته شـــــيئا ونحاها جانبا واهمل الأولاد .

عندما تحققت مريم أنه « خلبوص » وتأكدت من مدى بلادتها وضعف غريزتها الأنثوية لاكتشاف انحرافات الزوج لجأت لأمها وصديقة وقريبة لها فأوصوها جميعا بألا تقاوم حامد ويجب عليها أن تغطى نقط الضعف فيها وأن تملأفراغه وتحاول أن تلازمه .

عندما مرت السنة الثالثة كان حامد قد حقق من المكاسب ما لم يحققها فى عمره كله بعد أن تجاوز الخمسين بعامين ولم تعد تثيره النساء كما كان قبلا .. فقط كان محروما وانطلق والآن ينتقى الأفضل ، وهدأت حركته وأصـــبح أكثر رزانة واهتم قليلا بأولاده واعماله وايضا غطى كل مواقفه كعضو مجلس الادارة .

عندما تمرس حامد أصبح هو الآمر الناهى فى موضـــوعات العطاءات والمناقصـــــات وتنافس الموردون والمتعهدون اكثر فى ارضائه واثار ذلك بعضهم واختلفت الآراء ويثورون ثم يهدأون .. فى الوقت الذى مازال حامد ينتقى من الحريم ما لذ وطاب . واصبح مسعود مستشاره فى شئون العطاءات والنساء واعد له المخبأ بعيدا عن العيون بعقد فيه الصفقات حول أنهار الويسكى وجزر المزة على انغام الديسكو الخاص وتمايل حسناوات الاتفاقات من زبانية مسعود الذى أصبح يقاسمه مكاسبه بعد أن تضخمت .

عندما علا نجم حامد وبلغت اتصالاته المدى ملأ مكتبه نوع جديد من اعضاء النادى . كلهم يطلبون وهو ينفذ وهم لا يطلبون الكثير مجرد توصيات . ان كبار القوم هم رواد النادى تجدهم فى كل المواقع يساعدونه كثيرا وكلهم اصبحوا اصدقاء وطلباتهم مجابة دائما . طلباتهم صغيرة جدا عنده .. تصاريح دخول السيارات وبطاقات دعوة مجانية وعضوية شرفية وتخفيض فى أسعار الرحلات وأماكن خالية بالشاليهات وكلها تحت يده ومدير النادى خاتم فى اصبعه وباشارة منه يدفعه خارجا بسرعة البرق فهو الذى عينه .

عندما زاد المريدون فى مكتب حامد ، فانه أعلن لهم أنه يقبل الهدايا الآن . لم يقلها أبدا ولكن فعلها .. فهو يقدم الهدايا أولا عندما يطلبون المساعدة .. ويساعدهم .. ويمتنون ويردون الهدايا اضعافا مضاعفة .. وطبعا كانت هدايا نساء النادى من نوع آخر .. اجمل وارق واغلى كثيرا من هدايا الرجال وكلها يترجمها فورا الى رقم فى الرصيد أو بزيارة لمخبأه .

عندما اشتكاه احد اعضاء النادى القى التهمة على أحد صغار الموظفين وفصله فورا من النادى قبل الشوشرة . بعدها بيومين فقط انضم الموظف للعضو فى شكواه ، وكبر الموضوع وصار حديث النادى .. ! وهناك يتحدثون كلهم حول الموائد وطعامهم المفضل الغيبة والنميمة فى أمور الناس وقطعوا فروة الأستاذ حامد كلها .

عندما يظهر الأستاذ حامد فى النادى الجميع يدعونه الى موائدهم يطلب لهم العشاء على حسابه .. كلهم .. ويمدحونه ويضحكون وينافقون ويتناولون العشاء وينصرفون . ويكملون حديث النميمة ..

عندما كانت نهاية العام الرابع موسم الانتخابات من جديد وكلهم جهزوا لها . وجهز لها أيضا حامد بك هذه المرة بعد أن تأكد من رصيد الأصوات لديه خلال أربعة أعوام مضت .. وساعده مدير النادى جهز له حملة كبيرة لافتات وأوراق واعلانات وهدايا بسيطة وهدايا قيمة وورود للأعضاء وأيضا جهز له جيش المتطوعين من النادى وآخرين دفع أجورهم ورصد بعض الآلاف للدعاية الانتخابية . ثم حلت أيام المعركة عاشها كلها بالطول والعرض صباحا ومساء فى النادى يدور على الجميع يسمع ويقول ويبتسم ويقف ويجلس أدبا واحتراما ويعدهم أن الدنيا كلها ستكون بلون وردى داخل النادى .. وكل النادى انجازات .. معجزة فى السنوات الأربع . ويلتهم الطعام الأعضاء ويشربون على حساب حامد بك .

عندما كانت مريم تعيش هذه السنوات الى جوار حامد كانت بلادتها تؤهلها للقيام بالدور الذى حدده لها ولم تكن تتخطاه ولكن فى نهاية السنوات الأربع فاض بها الكيل وأحست أنها لا لزوم لها وأن حياتها لا يجب أن تنتهى الى جوار حامد الذى يعيش نهاره بالمكتب وليله فى النادي ويحب كل الناس الا هى أم أولاده وحتى الفتات من عواطفه لم يتركه لها أبدا .

عندما قررت مريم أن تخوض المعركة الانتخابية بالنادى هى أيضا لم تكن غبية هذه المرة فلم ترشح نفسها كانت تذهب وتجلس الى الناس وتسمع وتتكلم ولها صديقاتها واللاتى أصبحن صديقاتها .. كلهم يسمعون جيدا ويعيدون الحديث مرات كثيرة . حامد وافق وابتسم فى وجهها عندما أعلنت له أنها سوف تساعده فى حملته الجديدة وتقود أصوات الحريم فى النادى .. بعد أن ابتسم سمح لها ورضى أن تكون بالنادى كل يوم .

عندما كان يوم الانتخابات ذلك اليوم العصيب الذى لم يهدأ فيه حامد وظن أنه لن ينتهى أبدا .. وعندما أنتهى الوقت المخصص للأعضاء وأغلقت الصناديق وحملوها الى قاعة فرز الأصــوات الشهيرة تنفس حامد الصعداء وجلس يحتسى مشـــــروبات باردة يهدىء بها نفسه وأعصابه استعدادا لســـهرة طويلة مع قضاة الفرز .

عندما أصبحت الساعة تشير الى الرابعة صـــباحا كانت الصورة النهائية لأصوات الأعضاء تشير الى المرشحين المتقدمين فى اتجاه احتلال كراسى مجلس الادارة لأربع سنوات قادمة ، ومع تحرك عقارب الساعة تزداد الأعداد وحامد يتابع العملية منذ بدأت فى التاسعة مســـاء يدور على كل الصـــناديق يتابع الأصـــوات ويسجلها فى كشف بيده ويرصد الأعداد أمام الأســـماء ويقوم بتجميعها . صحيح أن رصيده يتزايد لكن ماذا .. !

عندما أعلن القاضى .. رئيس لجنة انتخابات النادى نتيجة انتخابات مجلس الادارة لم تكن مفاجأة للأستاذ حامد أنه لم يفز بمقعد عضوية بالمجلس فقد كان يتابع رصد الأصوات للجنة الفرز ويرى رصيده من الأصوات يقل دائما عن الآخرين لكنه عندما سمع القاضى يعلن اسمه ورصيد الأصوات لديه اتخذت خيبة الأمل الشكل النهائى لها عندما صفق الحاضرون طويلا للأعضاء الذين فازوا .

عندما عاد حامد للمنزل بعد أيام ثلاثة كاملة قضاها كلها فى النادى يناضل معركته عدا ساعات نومه . كان وقتها محتاجا لأن ينام ثلاثة أيام أخرى متصلة . وعندما رأى ابتسامة زوجته لم يفهم أبدا سر هذه الابتسامة فقد كانت تحمل معنى النصر أو الشماتة أو الفرحة فتجاهلها ونام .. ولم تكن مريم بليدة أبدا .

● رجــل يقيس الخطــوات

كانت خطوته الأولى عندما شهق ليملأ صدره من هواء الدنيا لأول مرة واتبع ذلك بالصراخ والثانية كانت عندما حرمته أمه من رضاعة صدرها والثالثة عندما سقطت سنته الأولى وسال الدم أمام عينيه وصـــــــاح مذعورا من الدم والألم وتلاها خطواته من المدرسة حتى وقف على قدميه يملك أمره ويستطيع أن يختار واحتار فى عدد خطواته السابقة هل كانت له أم عليه اذ لولاها ما أصبح رجلا هكذا ، وقرر أنها خطوات سواء كانت له أو عليه فهى محسوبة على أى حال ، ووجد أنه يحصى ذلك لتكون خطوة جديدة ، ويجب أن يفكر فيما سيفعله تجاهها بعد أن يقيس بدقة ما سوف يكون .

عندما قدموا له الرشوة ، قاس المسافات بدقة ، وضميره بحساب ، والمخاطرة والخسارة والربح ووجد أن العملية كلها لا تستحق فرفضها مصمما فرفعوا المبلغ أضـــعافا لعله يغير رأيه وشطب الفكرة نهائيا . وحسبها فى عقله كثيرا أيام أقدم على الزواج ، ووجد أنه من الواجب واللائق أن يتزوج ، فتزوج وأصبح لديه البيت والزوجة ثم الأولاد ولم يكن يطمع فى كل ذلك ولكن وجده أمامه وفى يده فاستسلم لما هو فيه وعقله يدور حتى دارت

السنوات يحسب ويقدر ويقارن ويقرر ويكون صائبا ، وكانت هذه خطوة اخرى . ثم أن امرأته وجدت الجفاف يحيط بها وأنها تحتاج الى كلمة ولمسة لم تجدها لديه فالتمستها عند الناس وكلهم مشغولون بحياتهم وأعمالهم وأولادهم وانصرفوا عن شكاواها .

هو كبر وزاد دخله واهمية وظيفته وغرق فى كل هذه الأهميات وتوارى للخلف البيت والزوجة والأولاد فالحياة تسير سواء قال كلمة أو لم يقلها ، والأولاد يكبرون ويذاكرون وينجحون وزوجته تطبخ وتغسل الأطباق والملابس والستائر وتنظف السجاد والأرض والجدران وتكوى القمصان وتقدم الشاى والسندوتشات وتجلس امام التليفزيون والتليفون والبوتاجاز وفى يدها أعمال الكانافاه والكروشيه والسيرما تصنع اللوحات ولا تعلقها ولا تبيعها ولا يراها أحد .

أبوه وأمه واخوته وأقاربه يراهم ويصافحهم ويسألهم عن احوالهم ولا يسمع اجاباتهم ، وقد يبادلهم كلمات وابتسامات ويتركهم وينصرف ، ليأكل كل شىء وأى شىء ، ويرتدى الملابس التى عليها الدور فى رف الملابس المكوية ، وينام عندما يريد ويصحو على جرس المنبه أو التليفون ، ليقوم بأى عمل يكون عليه الدور فى الأهمية وكانت هذه خطوة أخرى .

علموه فى صغره القرآن والصلاة ، وصلى طوال عمره بقلب خاشع ومنصرف وصام كل أيام رمضان ويخرج زكاته بانتظام عندما يكون عنده مال ، ويستدين ويسدد ديونه ويحس بالانتعاش عندما يعبر ضائقة مالية وتنتهى . رأى الذين حوله منهم من يحبه والآخرين قد لا يحبونه أولا يحسونه على الاطلاق وذلك لا يهمه كثيرا لانه لم يحب أحدا أبدا من كل الناس بدء من الأب حتى بواب العمارة التى يسكن فيها ، ويعاملهم تماما كأمر مفروض عليه ، فيرسل تحياته وتمنياته كما يرسل أوامره وطلباته وابتساماته المفروضة .

اكتشف أن الجميع طيبون أبوه وأمه وأخوته وأولاده وزوجته أيضا ، وباقى الناس يتراوحون بين الأخيار والأشرار ، صنفهم هو هكذا عندما مرض ذات مرة وزارة الناس يحملون الورود والحلوى والعطور ومكالمات وبرقيات الاطمئنان ثم انقطع ذلك بعد أسبوع ، وفهم أن الناس يمكن أن ينسوا كثيرا، ولن يظلوا الى جواره جالسين حتى يبرأ من مرضه ، فانصرفوا لحياتهم وبقى راقدا حتى استرد قواه ولم يعاتب أحدا ، فكلهم ســــألوا عنه وان اختلفت مرات السؤال ، وقرر أن يعيش لنفسه مادام الحال هكذا . وأعطى كل ذى حق حقه فى السؤال والمال والمعروف أيضا ، وحسب هو ذلك خطوة جديدة .

سأل نفسه لماذا ظل بعضهم على اتصال به ، وانقطع الباقى ، ساعتها اكتشف أن من تبقى ينتظرون ما يقدمه لهم ، الأولاد يطلبون البيت والطعام والمدارس والمصــروف ، وزوجته تطمع فى البيت والذهب وأحس بها تتمنى لو أنه انزاح عن طـــريقها ، ولم يكن احساسه كاذبا أبدا وان أقل من يطمع فيه هم أهله فلا ينتظرون منه شيئا حتى الآن ، ولم يقصروا فى حقه مطلقا فاحتفظ لهم فى قلبه بجزء من اهتمامه لا حبه واحتفظ بالباقى لنفسه لا يقدم منه لأحد ، ويقوم بالواجب للجميع كأنما يقدم لهم العزاء دائما مضطرا ، وتقدم خطوة للأمام .

لما أحس بالوحدة كان اقترب من الستين وانفق ماله وعمره ووقته ومجهوده ولم يتبق له الشىء الكثير لا فى العمر ولا المال . زوجته الى جواره كالخيال كأنما غير موجودة ، أو موجودة بلا روح يحس أنها قيد وثقل على أنفاسه فتحرر منها وطلقها واستراح ، واستقبل عاصفة الاعتراضات كان أولها من أولاده ، يستنكرون قبل الآخرين ثم هدأت العواصف فتركوه واحدا بعد الآخر ليدير حياته وحده بعد أن تأكدوا أنه لن يعطى أكثر مما أعطى ، وخطا خطوة تالية .

حاول أن يجرب الحب فى سنه هذه واستملح الفتيات الصغيرات ثم وجد ذلك مستحيلا فرفع سن القبول لديه الى الثلاثين واقتنعت به واحدة عبرت حاجز الخمسة والأربعين ، ولم يقتنع هو بها ، وجدها دون أن تدرى تنضم الى مجموعة الطامعين السابقين تحسب ما لديه وما سيخصها من ميراثه اذا مات بدبلوماسية نائقة فتخلص منها بلا دبلوماسية ، واستمر يبحث عمن يؤنس بدايات شيخوخته واضطر أن يجدد صداقات قديمة سرعان ما عادت الى سابق حرارتها التى بردت بفعل السنوات ، فصادق الصحف والمجلات والراديو والتليفزيون ومللها ، وبقى وحيدا على مدخل الاكتئاب والأوجاع كل ليلة قبل النوم حتى ينشق الفجر فينام ساعات قليلة ليعانى فى اليوم التالى ، وحسب ذلك خطوة عليه .

جرب أن يود أولاده مقتربا بهدوء منهم فأبعدوه بلباقة وصفاقة فقد جافاهم سنواته الأخيرة حتى أصبح مزعجا عندهم حتى بعد أن تخلى عن جفائه وتدخلاته التى لا لزوم لها وانصرفوا هم أيضا يعيشون حياتهم فندم على خطوته تلك ، واضطر بعدها أن يبحث ثانية عما يملأ الفراغ فلم يجد سوى جارته الأرملة التى يطالع وجهها كل صباح منذ سنوات كثيرة لا يعرف عددها ، ولكن يعرف أن أولادها قد تفرقوا فى أنحاء الدنيا وراء رزقهم وتظل وحيدة شهورا طويلة لا تخرج الا نادرا ، وقرر أن يخطو خطوة جديدة .

انتهز فرصة تواجدها أمامه يوما وجاذبها الحديث واستجابت فهى تطمئن اليه ولبت دعوته للقهوة وبادلته الدعوة بأخرى وقضوا معا سهرات فى الشرفة يحكى وتحكى ويعود يدير فى رأسه ماسمعه منها فوجد أن حديثها كل ليلة هو نفسه مع اختلاف البدايات تحكى عن زمان وأيام المرحوم والقرش المخروم والعسلية وشقاوة الأولاد

وجحود الأبناء ، وطعامة الأحفاد وبصمصة الشفاة على أيام ، كانت قبل زمن فيه مئات الألوف ثمنا لسيارة واحدة وعشرات الجنيهات ثمنا لوجبة واحدة ، مل الحديث وانصرف ثم انقطع وتاب عن بحثه لزمالة الشيخوخة واستقر على كرسى فى المقهى بالميدان المجاور .

اعلان عن المصيف قراه فى النقابة وقرر الاشتراك وسافر الى الشاطىء معهم ولم يجد أحدا من الزملاء القدامى ، كلهم اعضاء جدد لا يعرفون أمجاده السابقة .. وكل صباح يزرع شمسيته فى الرمال على الشاطىء يجلس تحتها يحاور الشمس فى دائرة الظل ويبل قدميه فى ماء البحر ويعود ليجلس يقرأ مجلات وصـــــحف ويسمع كلمات الناس تحت الشماسى حوله .. ينام ويصحو على هدير أمواج البحر وصيحات الأطفال ويلم شـــمسيته عند الغروب وفى الصباح التالى .. اشتاق للكلام .

قرر أن يجاذب جيران الشاطىء الحديث ، وزرع الشمسية واعتنى بوضع الكرسى حتى لا ينغرس منه جزء كبير فى الرمال ويميل الى الجنب ، وجلس ينتظر الجيران .. وســــــرحة طويلة اســــــتعرض فيها خطوات حياته ، امتلأ الشاطىء بالشــــماسى والمصيفين وصيحات الأطفال وغفوة اطول ، فتح عينيه بعدها مرة واحدة .

بعد المغرب حراس الشاطىء يدورون يطلقون الصــــفارات للصغار أن يغادروا الماء ، واتسعت المسافات بين الشماسى ، ثم رفعت كلها عدا واحدة يجلس تحتها صاحبنا ، حارس الشاطىء أتى اليه وناداه ، واقترب ثم نادى ثانية وهزه .. وتمتم لا حول ولا قوة الا بالله .. ومشى فى اتجاه التليفون .

* * *

الفهـــرس

الصفحة

رقم الايداع ٢٢٣٤/١٩٩٦
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 4681 — 1

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب